الأثر النسوي في الأعلام الولائي الجزئي

ISBN 978-9922-9464-6-7

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق العراقية ببغداد ٢٨٣٦ لسنة ٢٠٢٠

مصدر الفهرسة: IQ-KaPLI ara IQ-KaPLI rda
رقم تصنيف LC: PN4784.W7 K46 2020
المؤلف الشخصي : الخزاعي، مديحة حسن - مؤلف.
العنوان : الاثر النسوي في الاعلام الولائي الحربي: صفين انموذجا .
بيان المسؤولية : تأليف مديحة حسن الخزاعي.
بيانات الطبع : الطبعة الاولى.
بيانات النشر: كربلاء، العراق: العتبة الحسينية المقدسة، مؤسسة علوم نهج البلاغة ٢٠٢٠ / ١٤٤٠ للهجرة.
الوصف المادي: ٢٩٦ صفحة ؛ ٢٤ سم.
سلسلة النشر: (العتبة الحسينية المقدسة ؛ ٧٠٨).
سلسلة النشر : (مؤسسة علوم نهج البلاغة ؛ ١٨٥).
سلسلة النشر: (سلسلة الدراسات والبحوث العلمية ؛ ٢١).
تبصرة ببليوجرافية : يتضمن هوامش، لائحة المصادر (الصفحات ٢٦٥-٢٩٠).
مصطلح موضوعي : المرأة كإعلامية - عصر صدر الاسلام.
مصطلح موضوعي : المرأة المسلمة - تراجم.
مصطلح موضوعي : الاعلام واللغة.
مصطلح موضوعي : الدعاية - تنظيم وإدارة.
مصطلح موضوعي : الحرب في وسائل الاعلام.
مصطلح موضوعي : معركة صفين، ٣٧ للهجرة.
مصطلح موضوعي : التاريخ الاسلامي - عصر صدر الإسلام، ٦١٠-٦٦١.
اسم هيئة اضافي : العتبة الحسينية المقدسة (كربلاء، العراق)، مؤسسة علوم نهج البلاغة. جهة مصدرة.

تمت الفهرسة قبل النشر في مكتبة العتبة الحسينية

سلسلة الدراسات والبحوث العلمية (٢١)
وحدة الدراسات التاريخية

الأثر النسوي في الإعلام الولائي الحربي

صفين أنموذجا

دراسة وتحليل

تأليف
الحاجة مديحة حسن الخزاعي

إصدار
مؤسسة علوم نهج البلاغة
في العتبة الحسينية المقدسة

جميع الحقوق محفوظة

العتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى

١٤٤٢هـ - ٢٠٢٠م

العراق -كربلاء المقدسة- مجاور مقام علي الأكبر (عليه السلام)

مؤسسة علوم نهج البلاغة

الموقع الألكتروني: www.inahj.org

الإيميل: Inahj.org@gmail.com

موبايل: ٠٧٨١٥٠١٦٦٣٣ - ٠٧٧٢٨٢٤٣٦٠٠

تنويه:

إن الأفكار والآراء المذكورة في هذا الكتاب تعبر عن وجهة نظر كاتبها، ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر العتبة الحسينية المقدسة.

تخلي العتبة الحسينية المقدسة مسؤليتها عن أي انتهاك لحقوق الملكية الفكرية.

الإهْدَاء

إلى بسملة الفداء . . وفاتحة الشهداء . .

إلى من أوّلت رضا الربِّ ولاءً، والسَّخط رفضًا . .

إلى صاحبة ولاية غديرها حيث بابٍ وجدار، وأَحْداج منصتها بين ضلعٍ وجنين . .

إلى ساحة قدس الزهراء فاطمة (صلوات الله وسلامه عليها) أهدي بحثي هذا آملةً منها أن تذيّلَه بتوقيعةِ رضًا وقبول؛ فترسلها إلى حيث روح والدةٍ حبيبتةٍ لم يزل فقدها جديدًا وإن مشت السُّنون، وإلى روح شقيقةٍ غاليةٍ مازالت حاضرةً وإن استأثر بها الموتُ مبكرًا، فترفعهما بها إلى حيث منزلةِ خَيار مُلْتَقَطِيها وأبْرار شيعتها .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤسسة:

الحمد لله على ما أنعم وله الشكر بما ألهم والثناء بما قدم، من عموم نعم ابتدأها وسبوغ آلاء أسداها، وتمام منن والاها، والصلاة والسلام على خير الخلق أجمعين محمد وآله الطاهرين.

أما بعد:

فلم يزل كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) منهلاً للعلوم من حيث التأسيس والتبيين ولم يقتصر الأمر على علوم اللغة العربية أو العلوم الإنسانية فحسب، بل شمل غيرها من العلوم التي تسير بها منظومة الحياة وإن تعددت المعطيات الفكرية، إلا أن التأصيل مثلما يجري في القرآن الكريم الذي ما فرط الله فيه من شيء كما جاء في قوله تعالى: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾، كذا نجد يجري مجراه في قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾، غاية ما في الأمر أن أهل الاختصاصات في العلوم كافة حينما يوفقون للنظر في نصوص الثقلين يجدون ما تخصصوا فيه حاضراً وشاهداً فيهما، أي في القرآن الكريم وحديث العترة النبوية (عليهم السلام) فيسارعون وقد أخذهم الشوق لإرشاد العقول إلى تلك السنن والقوانين والقواعد والمفاهيم والدلالات في القرآن الكريم والعترة النبوية.

من هنا ارتأت مؤسسة علوم نهج البلاغة أن تتناول تلك الدراسات العلمية المختصة بعلوم نهج البلاغة وبسيرة أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) وفكره ضمن سلسلة علمية وفكرية موسومة بـ(سلسلة الدراسات والبحوث) التي يتم عبرها طباعة هذه الكتب وإصدارها ونشرها في داخل العراق وخارجه بغية إيصال هذه العلوم إلى الباحثين والدارسين وإعانتهم على تبين هذا العطاء الفكري والانتهال من علوم أمير المؤمنين علي (عليه السلام) والسير على هديه وتقديم رؤى علمية جديدة تسهم في إثراء المعرفة وحقولها المتعددة.

وما هذه الدراسة التي بين أيدينا إلا واحدة من تلك الدراسات التي وفق صاحبها للإضاءة على دور نسوي ولائي متميز أطلَّ منه بزابة معركة صفّين، إذ تم تناول أثر النسوة المواليات في التثقيف لولاية أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) تحصيلًا لنصرته بالأنحاء المختلفة ضمن ممارسة متقنة منضبطة تحت ما يسمى في الاصطلاح المعاصر بالإعلام الحربي.

السيد نبيل الحسني
رئيس مؤسسة علوم نهج البلاغة

بِسْمِ اللَّهِ الرَحْمَنِ الرَحِيمِ

يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ

صَدَقَ اللّهُ العَلِيُّ العَظِيمِ

إبراهيم: (٢٧)

مقدِّمة الكتاب

الحَمْدُ لله الَّذي لاَ يَبْلُغُ مِدْحَتَهُ القَائِلُونَ، وَلاِ يُحْصِي نَعْمَاءَهُ العَادُّونَ، ولاَ يُؤَدِّي حَقَّهُ المُجْتَهِدُونَ، الَّذِي لاَ يُدْرِكُهُ بُعْدُ الهِمَمِ، وَلاَ يَنَالُهُ غَوْصُ الفِطَنِ، الَّذِي لَيْسَ لِصِفَتِهِ حَدٌّ مَحْدُودٌ، وَلاَ نَعْتٌ مَوْجُودٌ، وَلا وَقْتٌ مَعْدُودٌ، وَلا أَجَلٌ مَمْدُودٌ...

والصلاةُ على حبيبِهِ صاحبِ الزُّلفى، المخصوصِ بالمقامِ الأعلى، حيث قابَ قوسينِ أو أدنى، وعلى آلِهِ الأطهارِ تاليِّه في العُلا، صلاةً مباركةً دائمةً ما صلَّى اللهُ وملائكتِه والمؤمنونَ.

إنَّ لحداثة مصطلح (الإعلام)، وغياب هذه المفردة في أزمان ما قبل اصطلاحها لا يجعل من مدلولها أمرًا جديدًا مستحدثًا؛ بل هو في حقيقته ممارسة قديمة قدم حاجة الإنسان إلى التواصل مع بني جنسه، فجذور هذه المفردة ضاربة في عمق التاريخ الإنساني، ترجمتها ممارسات متنوعة امتدت مع تعاقب الأجيال، الأمر الذي جعل من تلك الممارسات في تطور مطرِّد متناسب والمستوى الحضاري والفكري لكل جيل تلبيةً للتوسع المستجد في متطلباته، إلى إن وصل على ماهو عليه اليوم من ممارسة منضبطة مقننة، ذات أدواتٍ متسلطة ومؤثِّرة في بناء ثقافة المجتمعات، بوصفها ذات دخالة في تكوين قناعات جديدة للأفراد، التي تؤثر بدورها على سلوكياتهم بالشكل المنسجم والأهداف المنظورة من العملية الإعلامية، ومن هنا حاولت

السلطات الحاكمة بكلِّ صنوفها وعلى اختلاف اتجاهاتها السيطرة على المؤثِّرات الإعلامية، لإدراكها بأنَّها أداةٌ فاعلةٌ في تصدير سياساتها ورؤاها بغية إحكام سيطرتها ومدِّ نفوذها على من تحكمهم، ولو رجعنا إلى العصر الإسلامي وتحديدًا بعد حادثة مقتل عثمان بن عفَّان، لوجدنا أنَّ الممارسات الإعلامية كانت حاضرةً بشكل ملفت؛ مجيَّرةً باتجاه الاستقطاب الجماهيري نحو الأطراف المثقِّفة، ولعلَّ أبرز واجهة قدَّمت قراءة وافية لتلك الممارسات الإعلامية هي معركة صفِّين، إذ تجلَّى في كل طرف من طرفي النزاع فيها منبرًا إعلاميًّا داعمًا لقضيته، فأمَّا جبهة معاوية بن أبي سفيان فقد حفلت بجهاز تضليلي إعلامي من الطراز الأول إمكانية وإحكامًا، وضَع حجر أساسه أبان تسلطه على حكومة الشام، ليصدح في صفِّين بظلامة عثمان والقصاص من قتلته، جامعًا إليه بمعية أركان حزبه الفاسد جموع المستغفلين من أهل الشام، أمَّا الإعلام من جهة منصة الحق في جبهة أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) فقد كان منصبًّا على بثِّ فضائل أمير المؤمنين ونشرها، وبيان أحقِّيته بالحكم دون غيره وتبصير الناس بمثالب بني أمية، بممارسة غير مقتصرة على الموالين من الرجال خاصة دون المواليات من النساء، وعليه فقد حفل ميدان صفِّين بمشاركة نسوية متميزة أسهمت بقدر مهم في اشغال الوظيفة الإعلامية، وكان لها من الأثر الملموس ما وثق بشهادات في بطون مصادر التاريخ على ألسنة شخوص المعركة من الطرفين، ويمكن القول بأنَّ جبهة أمير المؤمنين (عليه السلام) كانت متفرِّدة في إسناد وظيفة الإعلام للعنصر النسوي المؤهل وأداء مثل هكذا مَهمة.

ولَمَّا لم نرَ إضاءة بحثية مسلطة على الدور الإعلامي لتلك النسوة المجاهدات من لدن الباحثين والكتَّاب، ارتأينا عرفانًا منا بجميل صنع هؤلاء النسوة وما تحملن من عناء ومشقة في سبيل نصرة جبهة الحق حماسةً وتحريضًا، أن ندرس أثرهن ونساهم بقدر ما في إحياء شيء من سيرتهن التي أضاءت مكتنزة ومختصرة بموقف صفِّين المشرف.

وبعد جمع عينة الدراسة وجدناها تقتضي أن تُقسَّم على تمهيد وبابين، فأمَّا التمهيد فدرسنا فيه: عنوانًا عامًا وهو الانتصار للولاية بين الداعي والتأصيل العملي، وفيه قدَّمنا للمثال الأول في الممارسة الإعلامية الولائية العملية بمعرض من المواجهة والاصطدام بالآخر المغتصب لمقام الخلافة من لدن سيدة النساء الزهراء فاطمة (صلوات الله وسلامه عليها)، الأسوة التي سنَّت للنساء عامة تلك السنة الحسنة، إضافة إلى ترجمة النساء عينة الدِّراسة.

وأمَّا البابان: فجاء الباب الأول بعنوان (الإعلام: قراءة في المفهوم والإجراء والحدث)، وهو مدخل الدراسة النظري، وقد اشتمل على فصلين: وِسِم الأول بـ (الإعلام المفهوم والإجراء)، والآخر حمل عنوان (الإعلام الولائي قراءة في الدواعي والأسباب)، وأمَّا الباب الثاني فعُنّون بـ (عناصر العملية الإعلامية والعوامل المؤثرة في نجاحها) ممثِّلًا الجنبة التطبيقية للدِّراسة، وقد جاء على أربعة فصول: الأول حمل عنوان: (نساء صفِّين وعوامل نجاحهن بوصفهن قائمات بالإرسال) وجاء الفصل الثاني بعنوان (رسالة إعلاميات صفِّين وعوامل نجاحها - العوامل غير اللغوية)، ثمَّ الفصل الثالث بعنوان (رسالة إعلاميات صفِّين وعوامل نجاحها - العوامل اللغوية)، وأخيرًا

الفصل الرابع حمل عنوان: (المتلقي للرسالة الإعلامية النسوية والأثر المتحصِّل منها)، وخُتِمت الدِّراسة بمجموعة من النتائج مثَّلت مُلَخَّصًا لما توصَّل إليه البحث مع بعض التوصيات التي تمثِّل مقترحات لدراساتٍ أخرى بخصوص أوائك النسوة، ومن أبرز النتائج التي توصَّلت لها الدِّراسة، تقديم تعريف للإعلام الولائي بملاقحة كل من مفهومي الولاء والإعلام، وترجيح أن حضور النسوة في صفِّين واضطلاعهن بمهمة التثقيف فيها كان منظورًا من إدارة المعركة ولم يكن عفويًا بلا ضابطة.

أمَّا المنهج الذي اعتمدت عليه الدِّراسة فهو المنهج الوصفي التحليلي الذي يعتمد على وصف الحدث ثمَّ تحليله بالشرح والتفسير بالاعتماد على جمع من المصادر والمراجع ذات العلاقة بالدِّراسة.

فالشكر أولًا لله تعالى إذ وفقني أن أكتب هذه السطور التي أرجو بها نجاة يوم تشهد الأيدي على ما خطت إن كان خيرًا فخير، وإن كان سوءًا فسوء، وفي طول شكري للربِّ المُنعِم، أقدم شكرًا موصولًا لمن سخَّره الله تعالى سببًا في انجاز هذه الدراسة إذ أتاح الفرصة لها متفضلًا واقترح عنوانها داعمًا، السيد نبيل الحسني رئيس مؤسسة علوم نهج البلاغة (دام توفيقه)، وإلى من رافقني مدة الكتابة موجِّها ومقوِّمًا بلا كلالة أو ملل شقيقي ذي الصدر الرحيب الأستاذ عمَّار الخزاعي.

وأخيرًا لا أدَّعي صوابًا مطلقًا في سطور هذه الدراسة، فما أصاب منها كان من توفيق الله تعالى، وتسديد المولى أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه)، وما شطَّ منها عن الصواب فمن نفسي وقصور عقلي والعذير فيه

﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾، ﴿... وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً﴾.

الباحثة

التّمهيد

الانتصار للولاية بين الداعي والتأصيل العملي

ـ اختلاف المسلمين ... طرح الانحراف عن نهج الرسالة:

نزلت الرسالة الخاتمة على أمة العرب ومنهم إلى العالمين كافة، على نحو متدرج في غالب شؤونها وتفصيلاتها؛ مراعيةً قابلية الاستيعاب، فالتغيير المطلوب إحداثه في جوهر النفس الإنسانية لأفراد القابل، ليتسنّى لهم أخذ الدين شيئًا فشيئًا بيسرٍ منسجمين مع رؤيته في التغيير، ومُجسِّدين تباعًا لمراده وصولًا إلى تمامه، والغاية أن يصل البشر إلى أعلى رتبة في التكامل والرقي الإنساني، وبمنهجية التدرج هذه نحو أسمى الغايات كان يعمل الخاتم (صلى الله عليه وآله وسلم) على مدى ثلاث وعشرين سنة في التبليغ والتربية، ويستثنى خارجًا عن دائرة هذا الكلام الشؤون التي تُعَدُّ أصل في بناء الدين، ومسؤولة عن رسم ملامحه الأساس وهويته المميِّزة؛ كأُمهات العقائد مثلًا، وتفريعًا على هذا الكلام كان التثقيف النبوي بولاية أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) مبكِّرًا جدًا إذ تزامن وفجر الرسالة؛ تأصيلًا منه (صلى الله عليه وآله وسلم) لعقيدة الإمامة المتكفلة بحفظ الدين الموازي في الأهمية لأصل نزوله، بصيانته عن التبديل والتحريف، وإيصاله إلى العالمين كافة في جميع أرجاء المعمورة، وبحكايته (جلَّ وعلا) في كتابه المحكم عن مضامين ردِّ ما سواه (أي الاسلام) وغلبته وظهوره في نهاية الأمر، قد بيَّن التزامًا تنقله بين الخلق ووصوله إلى كل جيل، لأنَّ تلك المضامين هي فرع استدامة

الوصول، فقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٨٥ آل عمران)، ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ..﴾ (١٩ آل عمران)، ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (التوبة ٣٣)، ومن لوازم هذه الآيات وغيرها ذات الاتحاد في المضمون تم التأصيل للإمامة الكفيلة بحفظ الدين واستمرارية تنقله بين الأجيال، وفي طول هذا المعنى تنتظم العديد من المضامين الروائية الشريفة الشارحة للمراد الإلهي، والحاصرة للقصد القرآني بنطاق حيزه. ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ (النجم: ٣،٤)، منذ بداية الدعوة ومرورًا بجميع مفاصل أحداثها، إلى حيث غديرها حيث بلوغ الحجة تمامها على جميع المسلمين؛ إذ بيّن الله تعالى حدود دينه المرضي، وعرّفه بتشخيص دقيق، غير محتمل للخطأ أو الاشتباه، مفعِّلًا البيان السابق في حق أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) بتبليغ حاسم بولايته الامتثال من لدن المسلمين للتعامل معه بوصفه خليفة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الشرعي من بعده حصرًا، بأخذ البيعة منهم بمحضر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مُبلِّغ البيان الإلهي في يوم الغدير، إذ صدَّر خطابه (صلى الله عليه وآله وسلم) بقوله: «**أَلَسْتُ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ؟**» قَالُوا: بَلَى، فَأَخَذَ بِيَدِ عَلِيٍّ [عليه السلام]، فَقَالَ: «**مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ، اللهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ**»[1] في الثامن عشر من شهر ذي الحجة في حجة الوداع من السنة العاشرة للهجرة فينزل قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ

(١) ينظر: المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني: ٥/ ١٩٤.

الْإِسْلَامَ دِينًا﴾[1] (المائدة:٣) قرآنًا محفوظًا يتلى آناء الليل وأطراف النهار معرِّفًا دينه المرضي الكامل، ونهج رسالته الخالدة، وبذلك قد أتم الفاعل مَهمته على أكمل وجهٍ وأحسنه، ليأتي دور القابل متباينًا في التعاطي ومقومات الدين المقبول، فقد عمد المنافقين من صحابة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، إلى انتهاج سبيل آخر، مؤسسين بداية الاختلاف عن نهج الرسالة، ومعاداة من يمثل هذا النهج، مُظهرين لكوامن المآرب والغايات من دخولهم في الدين ظاهرًا، مغتصبين محل أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) الشرعي، ومصادرين ما جاء في حقه من نص ديني سواء أكان قرآنًا أم سنة، قد أثبتا له حصرًا هذا المحل في الدين، فكانت النتيجة أن انقسم المسلمون بعد عملية الانحراف المنهج هذه عن خط الرسالة على أكثرية اصطفت في جهة السلطة الحاكمة، كان العماد فيها من نصيب المنافقين، والطلقاء الموتورين بالإسلام، وجماعات أخرى ساقتها أساليب السلطة المختلفة من ترغيب، وترهيب، وتجهيل ونحوها، وقسم آخر هم الأقلية المعارضة التي اصطفت في جهة أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) داعمةً شرعيةَ النَّص في حقه، ومن نقطة الاختلاف في المرجعية العامة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وتخلّف غالبية المسلمين عن المنهج الحق عمليًّا، بدأت محنة الإسلام بتفرق المسلمين، وتخطئة بعضهم للبعض الآخر، ثم تصاعد أثر الاختلاف خطورةً بمرور الوقت إلى أن وصل ذُراه في تكفير الآخر المعارض، واستحلال دمائه، من لدن من يمثل امتداد خط حزب الانقلاب.

(١) ينظر: الكافي (مُشَكَّل)، الشيخ الكليني، (المتوفى: ٣٢٩هـ):١/ ١٩٩.

فكان أُسلوب المحاججة والمجادلة بعرض استنادات النصوص المتعددة المثبتة لحق أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) في خلافة الأمة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مباشرة، هو الاسلوب المتخذ من لدن معارضي الانقلاب في تخطئتهم للانقلابيين؛ مستعرضين مراد الله تبارك وتعالى، ورسوله من الأمة المباين للمؤامرة والمجرِّم لها، محاولين افهام الرأي العام المسلم خطورة ما سيترتب على هذا الأمر من نهايات غير محمودة العواقب، وقد سجَّل التاريخ مناشدات متعددة لأمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه)، ومحاججات لبعض الصحابة من الشيعة (رضوان الله تعالى عليهم) بهذا الشأن، واستمرت منهجية الدليل في التثقيف لولاية أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) منذ عصر الانقلاب وإلى يومنا هذا، مؤتية أُكلًا مباركًا مُنوّع الفائدة، منه أنَّها وقفت حائلًا دون موت النَّص النبوي في حق أمير المؤمنين أو تحريفه، وبها استعلى المذهب الحق متانةً ورصانةً وأصالةً على ما سواه من مذاهب الابتداع والأهواء، وبهذه المنهجية قَويت عقيدة الفرد المسلم الشيعي بدينه وأحقية ماهو عليه، وكذا ساهمت أيضًا على مرِّ العصور بهداية أعدادٍ من المُضَلَلين والمُغَرر بهم من المسلمين إلى سبيل الهدى والرشاد.

ـ الزهراء... والريادة في تفعيل الولاء:

لا يخفى على ذي لُبٍّ ودين ما لفاطمة الزهراء (صلوات الله وسلامه عليها) من مقام عالٍ غيرُ مُدرَك الحقيقة، آثرها الله تبارك وتعالى وخصَّها به دون نساء الكون قاطبة، وما كانت لتنالَ بضعةُ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) هذا المقام إلّا لكونها قابلًا مستأهلًا لحيازة مثل هذا العطاء

والاختصاص به، وقد تكفّل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قولًا ببيان شيئًا من ذلك المقام، إذ قال (صلى الله عليه وآله وسلم) في حقها: (فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي، فَمَنْ أَغْضَبَهَا أَغْضَبَنِي)[١] وأيضًا: (إِنَّمَا فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي يُؤْذِينِي مَا آذَاهَا)[٢]، وكذلك قوله مخاطبًا الزهراء (صلوات الله وسلامه عليها): (إِنَّ اللهَ يَغْضَبُ لِغَضَبِكِ وَيَرْضَى لِرِضَاكَ)[٣].

وسيرةً، كما في المروي عن عائشة مثلًا، إذ قالت واصفةً استقبال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) للزهراء (صلوات الله وسلامه عليها) إذا أقبلت عليه: (... وَكَانَتْ إِذَا دَخَلَتْ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ قَامَ إِلَيْهَا وَقَبَّلَهَا، وَأَجْلَسَهَا فِي مَجْلِسِهِ...)[٤] مُبيّنًا للمسلمين بفعله هذا حقها عليهم، وموجبًا عليهم التعامل معها بما يتناسب وشأنها، متخذين من سيرته معها مثالًا يُحتذى به بوصفه الأُسوة الحسنة لهم كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الاحزاب: ٢١)، خصوصًا وأنّها ستضطلع بمَهمة عظيمة في قابل الأيام تتطلب من المسلمين كافة تفعيل ما سمعوه من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في حقها ونصرتها بكل الإمكانات، درأً للوقوع في دائرة الغضب الإلهي.

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي: ٥/ ٢١ .

(٢) مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري: ٤/ ١٩٠٣ .

(٣) الآحاد والمثاني، أبو بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني: ٥/ ٣٦٣، المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني: ١/ ١٠٨ .

(٤) السنن الكبرى، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي: ٧/ ٣٩٣.

وكذا لا يخفى أيضًا أنَّ أعظم أدوار الزهراء (صلوات الله وسلامه عليها) في حفظ الدين والحيلولة دون ضياع المجهود النبوي المبارك قد تجلّى بعد استشهاد رسول الله (صلى الله عليه وآله) واستيلاء الانقلابين على مقام خلافته، إذ انبرت (عليها السلام) رافضة الانحراف في خط الرسالة بمصادرة حق أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه)، صادحةً بولائه ومذكرة الأمة بحقه الذي أوجبه الله تعالى عليهم، حائزة على صدارة الدفاع عن الولاية في قلب المواجهة مع المعتدي الغاصب مؤسسة بنهضتها (عليها السلام) خط الرفض والتصدي الميداني، جاعلةً من فدك[1] نقطة انطلاقة المواجهة، ورمزًا للخلافة المغتصبة فَتُعرّي حزب الانقلاب ومناصريه، مؤَيّدَةً بشرعية الدليل سواء أكان على مستوى التحرك والمواجهة، أم على مستوى المحاججة والمجادلة، مُفحِمةً العدو الغاصب، الذي لم يكن من شأنه إلّا أن قابل حجتها (صلوات الله عليها) بالعنف والإرهاب.

وتُعَدُّ خطبة الزهراء (عليها السلام) في مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله) في المهاجرين والأنصار عقب الانقلاب، ومن ثم كلامها مع نساءهم عندما جئن لعيادتها في علتها قبيل شهادتها (صلوات الله عليها)، خير موثق لنهضتها واضطلاعها بمهمة الإعلام الولائي مذكِّرة جموع المسلمين بما قد علموه وخالفوه من حقٍ لأمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) في أعناقهم، وسننتخب من خطابها المبارك الموارد التي يستشف منها دواعي نهضتها الولائية.

(١) فدك: أرض أنحلها الرسول (ﷺ) للزهراء بأمر من الله بعد أن انزل قوله تعالى ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ﴾ (الإسراء: ٢٦)، وهي أرض خالصة له دون المسلمين، إذ لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب وكانت تحت يد الزهراء (عليها السلام) في حياة رسول الله (ﷺ)، ثم أُخذت منها غصبًا أبان تسلط حزب الانقلاب، فاستثمرت الزهراء (قضية فدك) في نهضتها ضد الغاصبين. (ينظر: الأمالي للشيخ الصدوق: ص٦١٩).

كقولها الذي انبرت فيه مُعرِّفةً بأمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه)، ومقارِنةً بينه وبين من استولى على محله، موثقةً الانقلاب:

(وبَعدَ أنْ مُنِيَّ ببهم (أي رسول الله) الرجالِ وذؤبانِ العَرب، ومردةِ أهلِ الكتابِ، كُلَّمَا أوقدوا نارًا للحربِ أطفأها اللهُ، أو نَجَمَ قرنُ الشيطانِ أو فَغَرَتْ فاغرةٌ مِنَ المشركينَ قَذَفَ أخاه في لَهواتِها، فَلا ينكفئُ حتى يَطأَ جَناحَها بأخمصهِ، ويُخمدَ لهبَها بسيفِه، مكدودًا في ذاتِ الله، مجتهدًا في أمرِ الله، قريبًا من رسولِ الله، سيدًا في أولياءِ الله، مشمرًا ناصحًا، مجدًا، كادحًا، لا تأخذُه في الله لومةُ لائمٍ، وأنتم في رفاهيةٍ من العيشِ، وادعونَ فاكهونَ آمنونَ، تتربصونَ بنا الدوائرَ وتتوكفونَ الأخبارَ وتَنكِصونَ عندَ النزالِ، وتفرونَ من القتالِ، فلمَّا اختارَ اللهُ لنبيهِ دارَ أنبيائِه، ومأوى أصفيائهِ، ظَهَرَ فيكم حسكةُ النفاقِ، وسَمُلَ جلبابُ الدِّينِ، ونطقَ كاظمُ الغاوينَ، ونبغَ خاملُ الأقلينُ، وهَدَرَ فنيقُ المُبطلينَ، فَخَطَرَ في عَرصاتِكم، وأطْلَعَ الشيطانُ رَأسَهُ من مَغْرِزِه هاتفًا بِكم، فألفاكمْ لِدعوتهِ مُستجيبينَ، وللعزةِ فيه مُلاحظين، ثُمَّ استنهَضَكُم فوجدَكُمْ خِفافًا، وأَحشَمَكم فَألفاكُم غضابًا، فوسمتم غيرَ إبلِكم، ووردتُم غَيرَ مَشْرَبِكُم، هذا والعهدُ قريبٌ والكَلِمُ رَحيبٌ، والجُرحُ لمَّا يَندَمِلُ والرسولُ لمَّا يُقبَرُ، ابتدارًا زَعَمتُم خوفَ الفتنةِ أَلا في الفتنةِ سَقَطُوا وإنَّ جهنَّمَ لَمحيطةٌ بالكافرينَ، فهيهاتَ مِنكم، وكيفَ بكم، وأَنى تُؤفَكُون، وكتابُ الله بينَ أظهركِم، أمورُه ظاهرةٌ، وأحكامُه زاهرةٌ وأعلامُه باهرةٌ، وزواجرُه لايحَةٌ، وأوامرُه واضحةٌ، وقد خلفتموه وراءَ ظهوركِم، أرغبةً عنه تريدون ؟ أم بغيره تحكمون ؟ بئسَ للظالمينَ بدلًا، ومن يبتغِ غيرَ الإسلام دينًا فلن يُقبلَ منه وهو في الآخرةِ من

الخاسرينَ، ثُمَّ لم تَلبثوا إلّا رَيثَ أن تَسكنَ نَفرتُها ويَسلسُ قيادهُا، ثُمَّ أَخذتُم تورونَ وقدتِها، وتهيجون جمرتها، وتستجيبون لهتاف الشيطان الغوي، وإطفاءِ أنوارِ الدِّينِ الجَلِّي، وإهمالِ سنن النبي الصفي، تشربون حسوا في ارتغاء، وتمشون لأهله وولده في الخمرة والضراء، ويصير منكم على مثل حز المدى، ووخز السنان في الحشاء...)[1]، وقولها مخاطِبةً للمغتصب مباشرةً: **(أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمي ؟ فدونكها مخطومة مرحولة، تلقاك يوم حشرك، فنعم الحكم الله، والزعيم محمد، والموعد القيامة، وعند الساعة يخسر المبطلون، ولا ينفعكم إذ تندمون، ولكل نبأ مستقر وسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم)**[2]، ومحل آخر من كلامها ملتفتةً إلى المهاجرين والأنصار تخاطبهم بقولها: **(أتقولون مات محمد صلى الله عليه وآله ؟ فخطب جليل استوسع وهنه واستنهر فتقه وانفتق رتقه، واظلمت الأرض لغيبته، وكسفت الشمس والقمر، وانتثرت النجوم لمصيبته، وأكدت الآمال، وخشعت الجبال، وأضيع الحريم، وأزيلت الحرمة عند مماته، فتلك والله النازلة الكبرى، والمصيبة العظمى، لا مثلها نازلة، ولا بائقة عاجلة، أعلن بها كتاب الله جل ثناؤه، في أفنيتكم، وفي ممساكم ومصبحكم، يهتف في أفنيتكم هتافا، وصراخا، وتلاوة، وألحانا، ولقبله ماحل بأنبياء الله ورسله، حكم فصل، وقضاء حتم: «وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب علي عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين)**[3]، **وأيضًا: (فأنى حزتم بعد البيان؟**

(١) الاحتجاج، الشيخ الطبرسي: ١/ ١٣٦- ١٣٨.

(٢) الاحتجاج : ١/ ١٣٩.

(٣) الاحتجاج : ١/ ١٣٩-١٤٠.

وأسررتم بعد الإعلان؟ ونكصتم بعد الإقدام؟ وأشركتم بعد الإيمان؟ بؤسا لقوم نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم، وهموا بإخراج الرسول، وهم بدؤوكم أول مرة، أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين ألا وقد أرى أن قد أخلدتم إلى الخفض، وأبعدتم من هو أحق بالبسط والقبض، وخلوتم بالدعة، ونجوتم بالضيق من السعة، فمججتم ما وعيتم، ودسعتم الذي تسوغتم، فإن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعا فإن الله لغني حميد، ألا وقد قلت ما قلت هذا على معرفة مني بالجذلة التي خامرتكم، والغدرة التي استشعرتها قلوبكم، ولكنها فيضة النفس، ونفثة الغيظ، وخور القناة، وبثة الصدر، وتقدمة الحجة، فدونكموها فاحتقبوها دبرة الظهر نقبة الخف، باقية العار، موسومة بغضب الجبار، وشنار الأبد، موصولة بنار الله الموقدة، التي تطلع على الأفئدة، فبعين الله ما تفعلون وسيعلم الذين ظلموا أي مقلب ينقلبون، وأنا ابنة نذير لكم بين يدي عذاب شديد فاعملوا إنا عاملون، وانتظروا إنا منتظرون)[1]، وموضع آخر من كلامها وجّهته إلى المسلمين بعدما قال لها أبو بكر بن أبي قحافة بأنَّه ما تولى الأمر إلّا بعد مشورة من المسلمين أنفسهم، واختيارهم له فقالت: **(معاشر المسلمين المسرعة إلى قيل الباطل، المغضية على الفعل القبيح الخاسر أفلا تتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها؟ كلا بل ران على قلوبكم، ما أسأتم من أعمالكم، فأخذ بسمعكم وأبصاركم، ولبئس ما تأولتم، وساء ما به أشرتم، وشر ما منه اغتصبتم لتجدن والله محمله ثقيلا، وغبه وبيلا، إذا كشف لكم الغطاء وبان بأورائه الضراء، وبدا لكم من ربكم ما لم تكونوا تحتسبون، وخسر هنالك المبطلون، ثم عطفت على قبر النبي صلى**

(١) الاحتجاج: ١/ ١٤٠-١٤١.

الله عليه وآله وقالت:

قد كان بعدك أنباء وهنبثة ... لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب

إنَّا فقدناك فقد الأرض وابلها ... واختل قومك فاشهدهم ولا تغب

وكل أهل له قربى ومنزلة ... عند الإله على الأدنين مقترب

أبدت رجال لنا نجوى صدورهم ... لما مضيت وحالت دونك الترب

تجهمتنا رجال واستخف بنا ... لمَّا فقدت وكل الأرض معتصب

وكنت بدرًا ونورًا يستضاء به ... عليكَ ينزل من ذي العزة الكتب

وكان جبريل بالآيات يؤنسنا ... فقد فقدت وكل الخير محتجب

فليت قبلك كان الموت صادفنا ... لما مضيت وحالت دونك الكثب)[1]

وكان آخر ما أدلت به إلى نساء المهاجرين والأنصار هو تخطئة بل؛ تجريم موقف رجالهن من عدم نصرتهم الحق ومسايرتهم للحزب المنقلب: (**لما مرضت فاطمة سلام الله عليها، المرضة التي توفيت فيها، دخلت عليها نساء المهاجرين والأنصار يعدنها، فقلن لها : كيف أصبحت من علتك يا بنت رسول الله ؟ فحمدت الله، وصلت على أبيها، ثم قالت: أصبحت والله: عائفة لدنياكن، قالية لرجالكن، لفظتهم بعد أن عجمتهم وسئمتهم بعد أن سبرتهم**

(١) الاحتجاج: ١/ ١٤٤-١٤٥.

فقبحا لفلول الحد، واللعب بعد الجد، وقرع الصفات وصدع القناة، وختل الآراء وزلل الأهواء، وبئس ما قدمت لهم أنفسهم :أن سخط الله عليهم، وفي العذاب هم خالدون لا جرم لقد قلدتهم ربقتها وحملتهم اوقتها وشننت عليهم غاراتها فجدعا، وعقرا وبعدا، للقوم الظالمين، ويحهم أنى زعزعوها عن رواسي الرسالة، وقواعد النبوة والدلالة، ومهبط الروح الأمين، والطبين بأمور الدنيا والدين ؟ ! ألا ذلك هو الخسران المبين !وما الذي نقموا من أبي الحسن عليه السلام ؟ ! نقموا والله منه نكير سيفه، وقلة مبالاته لحتفه، وشدة وطأته، ونكال وقعته، وتنمره في ذات الله وتالله لو مالوا عن المحجة اللايحة، وزالوا عن قبول الحجة الواضحة، لردهم إليها، وحملهم عليها ولسار بهم سيرا سجحا، لا يكلم حشاشه ولا يكل سائره ولا يمل راكبه، ولأوردهم منهلا نميرا، صافيا، رويا، تطفح ضفتاه ولا يترنق جانباه ولأصدرهم بطانا، ونصح لهم سرا وإعلانا، ولم يكن يتحلى من الدنيا بطائل، ولا يحظى منها بنائل، غير ري الناهل، وشبعة الكافل، ولبان لهم: الزاهد من الراغب والصادق من الكاذب، ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض، ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون، والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا وما هم بمعجزين! ألا هلم فاسمع؟ ! وما عشت أراك الدهر عجبا! وإن تعجب فعجب قولهم ! . . ليت شعري إلى أي أسناد استندوا ؟ ! وإلى أي عماد اعتمدوا ؟ ! وبأية عروة تمسكوا ؟ ! وعلى أية ذرية أقدموا واحتنكوا لبئس المولى ولبئس العشير، وبئس للظالمين بدلا، استبدلوا والله الذنابى بالقوادم والعجز بالكاهل فرغما لمعاطس قوم يحسبون أنهم يحسنون صنعا . ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون،

ويحهم أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أم من لا يهدي إلا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون؟ ! أما لعمري لقد لقحت، فنظرة ريثما تنتج، ثم احتلبوا ملاء القعب دما عبيطا وزعافا مبيدا، هنالك يخسر المبطلون، ويعرف البطالون غب ما أسس الأولون، ثم طيبوا عن دنياكم أنفسا، واطمأنوا للفتنة جاشا، وأبشروا بسيف صارم، وسطوة معتد غاشم، وبهرج شامل، واستبداد من الظالمين يدع فيئكم زهيدًا، وجمعكم حصيدًا، فيا حسرةً لكم! وأنى بكم وقد عَميت عليكم! أنلزمكموها وأنتم لها كارهون)[1]، **إذ استثمرت (صلوات الله وسلامها عليها)** وجودهن في نقل آخر كلمات نهضتها الرسالية الولائية إلى رجالهن- وهي على فراش العلة - في التذكير بحق أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه)، وتقريع خاذليه وتخطئتهم، مستثمرة (صلوات الله وسلامه عليها) كل مناسبة تعرض عليها في تبيان ذلك، إيغالًا منها (صلوات الله وسلامه عليها) في توعية الامة وتبصرتها بخطورة ما أقدمت عليه من مخالفة صريحة للنهج الإلهي النبوي، وما ستترتب على تلك المخالفة من نتائج سترهق المسلمين على المدى القريب والبعيد.

وبنهضتها هذه (صلوات الله وسلامه عليها) خطت دربًا ورسمت منهجًا- بوصفها معصومة وأسوة - مثقِّفةً للإعلام الولائي في قلب المواجهة مع العدو، للمؤمنين عامة وللمؤمنات منهم خاصة، فمن المعلوم أنَّه ليس من شأن المرأة حمل السلاح ومقارعة العدو في ساحة الميدان، فكان توجيهها (عليها السلام) يناسب شأن المرأة وخصوصيتها من خلال ممارسة المَهمة

(١) الاحتجاج: ١/ ١٤٧-١٤٩.

الإعلامية الولائية إذا ما كانت هناك مواجهة تستدعي النصرة، أو الدعوة إليها إن أمكنها ذلك، فكانت نساء صفِّين المواليات مِمَّن حضرنَ أحداث المعركة ومارسن البيان الولائي على منصتها طرح من بذار الزهراء (صلوات الله وسلامه عليها)، مساهمات بقدرٍ ما في تعرية جبهة الباطل، ورفد المجاهدين في جبهة الحق بالروح القتالية والحماسة العالية، فترشح من مشاركاتهن الخطابية تلك إعلامًا ولائيًا رصينًا مستندًا على مستوى التحرك من تأصيل الزهراء له، واقرار أمير المؤمنين ذلك، ومادةً من المعين الروائي النبوي الحاكي عن ثبوت الحق لأمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) في ولاية أمر الأمة مضافًا إلى المنجز العلوي في وضع أساس الدين وتشييده، وعندما نقول تأصيل الزهراء (صلوات الله وسلامه عليها) للمشاركة النسوية، نقصد بأنَّها (صلوات الله وسلامه عليها) أول امرأة خاضت هذا الغمار بتفعيل الثقافة الولائية إلى مواجهة، فالتأصيل من جهتها كان لقضية أمير المؤمنين، وحقه المغتصب خاصةً في حال التصدي للعدو، أمَّا مسألة خروج المرأة مع الجيوش، ومناصرتها للجهة التي تنتمي إليها سواء أكان على مستوى القول في التحريض أو الحماسة أم مستوى الفعل من التطبيب ونحوه، كان عادة جارية ومأنوسة في الحروب قبل الإسلام وبعده .

وسنتعرض (إن شاء الله تعالى) في هذا الكتاب لخصوص إعلام صفِّين الولائي النسوي، وعليه لابد من التقديم للشخصيات النسوية اللاتي مارسن هذا الدور.

ـ ترجمة نساء صفِّين:

١/ أم البراء بنت صفوان[١] بنت هلال[٢]:

(من النسوة الشواعر الفصيحات)[٣]، اللاتي تركن سطورًا مشرفة على صفحات المنجز الولائي الحربي، بحضورها صفِّين، والكون ضمن جهازها الإعلامي النسوي منضمّة إلى رفيقاتها في العقيدة والمَهمة، في التثقيف لحق أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) في هذه المواجهة، وما يتطلبه هذا الحق من الانتصار لجبهته، والتحريض على عدوه الباغي معاوية بن أبي سفيان، وأجناد فئته المنحرفة، وقد سُجّلت لها أبياتًا تحّريضية في صفِّين، أرسل إليها معاوية بن أبي سفيان بعدما آلت إليه مقاليد الحكم مكرًا ودهاءً؛ ليستعرضَ أمامها سلطانه ويشعرها بضعف موقفها مذكِّرًا إياها بما قالته في صفِّين من مقال، فَدخلت وَعَلَيْهَا ثَلَاثَة دروع تسحبها (تسحب خلفها) قد كارت على راسها كورًا كَهَيئَةِ المنسف فَسلمت وَجَلَست، فَقَالَ: لَهَا مُعَاوِيَة كَيفَ حالك قَالَت: ضعفت بعد قُوَّة وكسلت بعد نشاط قَالَ شتان بَيْنك (بين لسانك) الْيَوْم(وبين قولك) وَحين تَقُولِينَ:

يَا عَمْرودُونك صَارِمًا ذَا رونق ... عضب المهزة لَيْسَ بالخوار

أسرج جوادك مسرعًا ومشمرًا ... للحرب غيرمولي فرار

---

(١) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي: ٣/ ١٤٣، شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، بشير يموت البيروتي: ١/ ١٨٤.

(٢) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان، العباس بن بكار(أو ابن الوليد بن بكار) الضبي: ٤٤، تاريخ دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر: ٧٠/ ٢٠٣.

(٣) تاريخ دمشق: ٧٠/ ٢٠٣.

أجب الامام وذب تَحت لوائه ... وافر الْعَـــــدو بصارم بتار
يَا لَيْتَني أَصبَحت لَيْسَ بِعَوْرَة ... فأذب عَنهُ عَسَاكِر الْفجار

قَالَت: قد كَانَ ذَلِك وَمثلك من عَفا وَالله يَقُول ﴿وَأَن تعفوا أقرب للتقوى﴾ قَالَ: هَيْهَات أما وَالله لَو عَاد لعدت وَلَكِن اخترم دُونك، (قالت: أجل والله. إنّي لعلى بينة من ربي وهدى من قولي)، قال لها: فَكيف قَوْلك حِين قتل؟ قَالَت: أُنسيته، فَقَالَ: بعض جُلَسَائِهِ هِيَ وَالله حِين قتل تَقول:

يَا للرِّجَال لعظم هول مُصِيبَة ... فدحت فَلَيْسَ مصابها بالهازلِ
الشّمْس كاسفة لفقد إمامنا ... خير الخلائف والإمام الْعَادِلِ
يَا خير من ركب الْمطِي وَمن مَشى ... فَوق التُّرَاب لمحتف أَوناعلِ
حاشا النَّبِي لقد هددت قواءنا ... فَالحق أصبح خاضعا للباطلِ

فَقَالَ: مُعَاوِيَة قَاتلك الله يَا بنت صَفْوَان مَا كَانَ حسان بن ثَابت يحسن مثل هَذَا وَمَا تركت لقَائِل مقالًا (حسنًا لغيرك)، اذكري حَاجَتك قَالَت: بعد هَذَا وَالله لَا أَسأَلك شَيْئًا ثمَّ نهضت فَعَثَرَتْ فَقَالَت: تعس شانئ عَليّ، فَقَالَ: مُعَاوِيَة يَا بنت صَفْوَان زعمت أن لَا تسأَلي شَيْئا، قَالَت: هُوَ وَالله مَا علمت[1]، وبذلك قد اثبتت (رحمها الله) بموقفها هذا عدم التنازل عن

(١) ينظر: أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٤٤-٤٥، ينظر: بلاغات النساء: ٧٩، ينظر: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، أحمد بن علي القلقشندي: ٣٠٨-٣٠٩، ينظر: جواهر المطالب في مناقب الإمام علي (ع)، محمد بن أحمد الدمشقي الباعوني الشافعي: ٢/ ٢٥٦-٢٥٧، ينظر: سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي: ٣/ ١٤٣.

عقيدتها في الولاء، كما أثبتته سابقًا باقتحامها عُباب الحرب الضروس، والكون بمعرض من أخطارها متحدية أعتى فراعين عصرها وطواغيته، لتبليغ تلك العقيدة بفصاحة عالية، وشجاعة نادرة لخصوص أفراد جنسها، وتفعيلها عملًا بنصرة وثبات، فيوثّق لها التاريخ موقفها هذا ويمنح نصَّها الولائي ديمومة وتنقلًا عبر الزمن .

٢/ أم الخير بنت الحريش:

وهي أم الخير بنت الحريش بن سراقة[١] البارقية[٢] الكوفية[٣]، (من ربات الفصاحة والبلاغة)[٤]، إعلامية من إعلاميات صفِّين المبرزات، التي لعبت دورًا مهمًا في رفع الروح القتالية لأجناد جيش أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) وتحريضهم ضد جبهة الشام، إذ اقتحمت قلب المعركة، وتمركزت بين الصفّين تجهر بوابل منطقها وترسل بشواظ بيانها، قاصدة بذلك إسماع كلا الطرفين، راميةً للتأثير بأكبر عدد من المتلقين، تثقيفًا لعقيدتها بأمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) ونصرةً له، وعلى الرغم من مرور الأيام وتصرم حدث صفِّين، ورجحان كفة معاوية بن أبي سفيان في الحكم، وتمكّنه من عرش البلاد وتسلطه على رقاب العباد، لم ينسَ لأُم الخير موقفها المؤازر والمنتصر لأمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) آنذاك، فأرسل

(١) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٢٧.

(٢) بلاغات النساء: ٤١، التذكرة الحمدونية، ابن حمدون: ٥/ ١٨٦، جواهر المطالب في مناقب الإمام علي (عليه السلام): ٢/ ٢٤٤.

(٣) تاريخ دمشق: ٧٠/ ٢٢٣.

(٤) الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، أحمد الرحماني الهمداني: ٧٧٠ .

إليها ليستعرض أمامها سلطانه ويشعرها بالخيبة لعدم تحقق ما كانت ترجوه من استحكام الأمر لأمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) وهزيمته وزبانيته، فيذكِّرها بأشد مواقفها عليه، إذ قال: أخبريني كَيفَ كَانَ كلامك يَوْم قتل عمار بن يَاسر؟ قَالَت: لم أكن رويته قبل، وَلَا درسته بعد، وَإِنَّهَا كانْت كَلِمَات نفثهن لساني حِين الصدمة، ثمَّ الْتفت إِلَى أصحابه فَقَالَ: أَيُّكم يحفظ كلامها؟ فَقَالَ رجل من الْقَوْم: أَنا أحفظه كحفظي سُورَة الْحَمد قَالَ: هاته، قَالَ: نعم كأَنِّي بهَا فِي ذَلِك الْيَوْم وَعَلَيْهَا بردٌ زبيديٌّ كثيف (بين النسج) الْحَاشِيَة وَهِي على جمل (أورق أربد وقد أحيط حولها حواء) وبيدها سَوط منشورة الضفيرة، وَهِي كالفحل يهدر فِي شقشقته وَهِي تَقول: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ إنَّ الله (عزَّ وَجلَّ) قد أوضح الْحق، وأبان الْبَاطِل، وَنور السبل، وَرفع الْعلم، فَلم يدعكم فِي عمياء مشتبهة، وَلَا عشواء مدلهمة فَإِلَى أَيْنَ تُرِيدُونَ رحمكم الله؟ أفرارًا من أَمِير الْمُؤمنِينَ وَمن الزَّحْف؟ أم رَغْبَة عَن الإسلام؟ أم ارْتِدَادًا عَن الْحق؟ أما سَمِعْتُمْ الله تَعَالَى يَقُول: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ﴾ ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ ثمَّ رفعت رأسها إِلَى السَّمَاء وَقَالَت: اللَّهُمَّ إِنَّه قد عيل الصَّبْر، وَضعف الْيَقِين، وانتشرت الرَّغْبَة، وبيدك يَا ربِّ أزمَّة الْقُلُوب، فاجمع اللَّهُمَّ الْكَلِمَة على التَّقْوَى، وألِّف الْقُلُوب على الهدى، وأردد الْحق إِلَى أَهله هلموا رحمكم الله إِلَى الإمام الْعدْل، والتقي الوفي، وَالصديق(الأكبر) الْوَصِيّ، إِنَّهَا احن بدرية، وضغائن جاهلية، وأحقاد أُحدية، وثب بهَا مُعَاوِيَة عِنْد الْغَفْلَة ليدرك بهَا الفرصة من ثَارَاتِ بني عبد شمس ثمَّ قَالَت: ﴿فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾

صبرًا معاشر المُهَاجِرين وَالْأَنْصَار قَاتلُوا على بَصِيرَة من ربكُم، وثبات من دينكُمْ، وَكُونُوا قوما مستبصرين، فَكَأَنِّي بكم وَقد لَقِيتُم أهل الشَّام كحمر مستنفرة (فرت من قسورة) لَا تَدْرِي ايْنَ يسْلك بهَا من فجاج الأَرْض باعوا الْآخِرَة بالدنيا، واشتروا الضَّلَالَة بِالْهدى، وَبَاعُوا البصيرة بالعمى، ﴿وَعَما قَلِيل لتصبحن نادمين﴾ حِين تحل بكم الندامة فتطلبون الإقالة ﴿وَلَات حِينَ مَنَاصٍ﴾ إِنَّه وَالله من ضل عَن الْحق وَقع فِي الْبَاطِل، وَمن لم يسكن الْجنَّة نزل النَّار ايُّها النَّاس إنَّ (ألا إنَّ أولياء الله) الأكياس استقصروا (استصغروا) عمر الدُّنْيَا فرفضوها، واستطالوا (واستبطئوا) مُدَّة الآخرة فسعوا لَهَا سعيا، وابتاعوا بدار لَا يَدُوم نعيمها، وَلَا تتصرم همومها، ايُّها النَّاس إِنَّه لَوْلَا أن يبطل الْحق، وتعطلُ الْحُدُود، وَيظْهر الظَّالِمُونَ، وتقوى كلمة الشَّيْطَان، لما اخترنا وُرُود المنايا على خفض الْعَيْش، وطيبه فَإِلَى أَيْنَ تُرِيدُونَ رحمكم؟ الله أفرارًا عَن ابْن عَم رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ [وآله] وَسلم، وَزوج ابْنَته، وَأبي سبطيه؟ خلق وَالله من طينته، وتفرع من نبعته، وَخَصَّه بسره، وَجعله بَاب مدينته وَعم (وأعلم) بحبه الْمُسلمين، وأبان ببغضه الْمُنَافِقين، فَلم يزل كَذَلِك حَتَّى ايده الله بمعونته، يمْضِي على سنَن استقامته لَا يعرج لراحة اللَّذَّات هَا هُوَ مفلق إلهام، ومكسر الاصنام، صلى وَالنَّاس مشركون، واطاع وَالنَّاس مخالفون(كارهون) مرتابون، فَلم يزل كَذَلِك حَتَّى قتل مبارزي بدر، وافنى أهل أُحُدُ وَهزمَ الله بِهِ الاحزاب وَقتل (الله به) أهل خَيْبَر، وَفرق بِهِ جمع هوَازن (أهوائهم) فيا لَهَا من وقائع زرعت فِي قُلُوب قوم نفَاقًا، وردة، وشقاقا (وزادت المؤمنين إيمانًا) قد اجتهدت فِي القَوْل، وبالغت فِي النَّصِيحَة، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيق وَالسَّلَام عَلَيْكُم وَرَحْمَة الله وَبَرَكَاته، فَقَالَ : مُعَاوِيَة يَا أم الْخَيْر وَالله

مَا أردْت بِهَذَا الكلام إِلَّا قَتْلِي وَلَو قتلتك لما حرجت فِي ذَلِك قَالَت إِنَّه وَالله إِنَّه ليسرني (والله ما يسوؤني يا ابن هند) أن يجْرِي الله (ذلك) قَتْلِي على يَدي من يسعدني الله بشقائه فَقَالَ هَيْهَات يَا كَثِيرَة الفضول... [١]، وبحضورها ذلك المجلس ارتسم لها نصرٌ من نوع آخر ومن حيث لا يشعر العدو، إذ به تحول كلامها من محفوظ في ذاكرة أحدهم إلى سطور مضيئة في صفحة تاريخ النصرة في أقسى ظروفها وأشدِّها، ألا وهو ظرف الحرب، فتتناقلها الكتب وتتلقاها الأجيال، ليصبح موقفها في صفِّين بعد ذلك مترجمًا لكل حياتها وموثِّقًا لولائها، فيشكر لها التاريخ ذلك الموقف جاعلًا منها مثالًا يضرب به في حسن البلاء على مرِّ الزمان، وأنموذجًا يستشهد به أهل العلم والبحث في إيراد بعض الالفاظ الدالة على أحقية أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) بخلافة رسول الله مباشرة وبلا فصل كلفظ الوصي الواردة في خطابها[٢]، ولم يكن ليصلنا كل هذا لولا موقف اشخاصها إلى مجلس معاوية بن أبي سفيان، وتوثيق ما حدث هناك من حوار كُشِف به عن تفصيل مشاركتها في صفِّين، باضطلاعها بمهمة الإعلام فيها بوعي عالٍ وشجاعة نادرة وثقافة متميزة .

(١) ينظر: أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٢٨-٣١، ينظر: بلاغات النساء: ٣٥٦، ينظر: التذكرة الحمدونية: ٥/ ١٨٨.

(٢) ينظر: الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف، السيد ابن طاووس: ٢٨، ينظر: الغدير، الشيخ الأميني: ٣/ ٢١.

٣/ أم سنان بنت (جشمة)[١] خيثمة بن حرشة[٢] (خرشة)[٣] المذحجية:

امرأة، شاعرة[٤]، من شواعر القرن الأوّل[٥]، من عرب اليمن، وكانت تقيم في المدينة أيام ولاية مروان ابن الحكم عليها لمعاوية بن أبي سفيان[٦]، حضرت صفيِّن فألهبت ميدانها تأليبًا وتحريضًا تاركةً أثرًا متميزًا حكته أسياف الرجال قعقعة وقتلًا، وممّا رويَّ في وصف أثر مشاركتها هناك، (وجعلت أم سنان المذحجية تحرّض قومها على قتال معاوية، وتشتم أهل الشام وتذكرهم بكل قبيح، ومعاوية يسمع ذلك كله إلى أن جاء الليل فحجز بين الفريقين، فبات معاوية ليلته وليس عليه شيء أشد من تحريض أم سنان في ذلك اليوم)[٧]، ووصفت بشهادة المخالفين بأنهَّا (إحدى نساء عصر التابعين، وممَّن فطرت نفسها على الصفاء والصراحة، وأوتيت شطرًا من البلاغة والحكمة ما جعلها في سجل ناصع يحكي خلودها وخلود أمثالها ولم تكن أم سنان المذحجية وحدها التي كانت تعبر عن رأيها، وتتكلم بوضوح عن معتقداتها؛ بل كانت مثيلاتها كثير مثل الزرقاء بنت عدي، وأم الخير بنت

(١) الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف: ٢٧ .

(٢) بلاغات النساء: ٦٧، تاريخ دمشق: ٧٠/ ٢٤٧.

(٣) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٢٣، الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، أبو الفرج المعافى بن زكريا بن يحيى الجريرى النهرواني: ٧٤٠.

(٤) تاريخ دمشق: ٧٠/ ٢٤٧ .

(٥) موسوعة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في الكتاب والسنة والتاريخ، محمد الريشهري: ٩/ ١٤.

(٦) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام: ١٨٣.

(٧) الفتوح، أحمد بن أعثم الكوفي: ٣/ ٦٥

الحريش...)[1]، وأيضًا تم توثيق شيئًا من مشاركتها في صفِّين عند حضورها لدى معاوية شاكية له تجاوزات مروان بن الحكم وتماديه في الظلم، وبعدما عرّفت بنفسها قال معاوية لها: ما أقدمك أرضنا وقد عهدتك تشنئين قربي وتحرضين عليَّ (تحضين) عدوي، ثم قال لها: فكيف قولك:

عزب الرقاد فمقلتي لا ترقد ... والليل يصدر بالهموم ويورد

يا آل مذحج لا مقام فشمِّروا ... إنَّ العدو لآل أحمد يقصد

هذا علي كالهلال تحفه ... وسط السماء من الكواكب أسعد

خير الخلائف وابن عم محمد ... فكفى بذاك لمن شناه تهدد

مازال مذ عرف الحروب مظفرًا ... والنصر فوق لوائه ما يفقد

بعد ذلك قام رجل من جلسائه مذكِّرًا معاوية بأبياتها عند شهادة أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) إذ قالت:

إما هلكت ابا الحسين فلم تزل ... بالحق تعرف هاديا مهديا

فاذهب عليك صلاة ربك ما دعت ... فوق الغصون حمامة قمريا

قد كنت بعد محمد خلفا لنا ... أوصى اليك بنا فكنت وفيا

فاليوم لا خلف يؤمل بعده ... هيهات نأمل (نمدح) بعده انسيا

(١) معاوية بن أبي سفيان، شخصيته وعصره، عَلي محمد محمد الصَّلاَّبي: ١/ ٢٢٢.

فالتفتت إليه وقالت : أما والله لقد قلت ذلك والمخفي عنك أكبر، وقالت: لسان نطق وقول صدق... [١]، غير منكرة لمشاركتها في صفِّين ولا لمحبتها لأمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه)، فتركت أبياتًا في الحماسة والولاء أثرت ذكرها وقدّمتها شخصية موالية مؤثرة.

٤/ بكارة الهلالية[٢] خَالَة مَيْمُونَة زوج النَّبي (صلى الله عَلَيْهِ [وآله] وَسلم)[٣]:

وممّا جاء في بطون الكتب من وصف لها (رحمها الله) يثبت ولائها المتزايد وحماستها المتقدة في نصرة أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه)، أنَّها كانت (من نساء العرب الموصوفات بالشجاعة، والإقدام، والفصاحة، والشعر، والنثر والخطابة حضرت مع علي بن أبي طالب [عليه السلام] حرب صفِّين ولها هناك مقالات حماسية جعلت كل من سمعها يقدم على الهلاك بدون مبالاة بالعواقب)[٤]، وكذلك وصفت بأنهَّا (كانت من أصحاب أمير المؤمنين علي (عليه السلام) ومواليه، وناصريه، والمتهالكين في حبه....)[٥]، وأيضًا (شاعرة إسلامية، من نصيرات علي بن أبي طالب، ولها شعر في الحث على

(١) ينظر: أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٢٣-٢٥، طبائع النساء وما جاء فيها من عجائب وأخبار وأسرار، ابن عبد ربه الأندلسي:٢٢٩-٢٣٠، ينظر: بلاغات النساء: ٦٨، ينظر: الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي:٧٤٠ .

(٢) بلاغات النساء: ٣٩، طبائع النساء وما جاء فيها من عجائب وأخبار وأسرار: ٢٢٥، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، سبط ابن الجوزي : ٨/ ٩٠، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي: ٣/ ١٤١، الدر المنثور في طبقات ربات الخدور زينب بنت علي بن حسين بن عبيد الله بن حسن بن إبراهيم بن محمد بن يوسف فواز العاملي: ٩٩ .

(٣) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٧١.

(٤) الدر المنثور في طبقات ربات الخدور: ٩٩.

(٥) أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين: ٣/ ٥٨٩.

نصرته، كما أن لها شعرًا في التعريض بالحكم الأموي)[١]، ولعل أهم وصف لأثر إعلامها الولائي الحربي في صفِّين ما ذكر بأنَّ (كان جنده (أي أمير المؤمنين) أحفل الأجناد بذوات القول الفصل، والرأي الجزل من النساء، ولهن في صفِّين مقامات ومواقف، أشجت حلوق العدو، وصكَّت أسماعهم، وروَّعت نفوسهم، ومن هؤلاء بَكَّارة الهلالية، وسودة ابنة عمارة، وآمنة بنت الشريد، وأم سنان بنت خيثمة، وكثيرات من نظائرهن وأشباههن، ممن أوتين جوامع الكلم، وجمعن أشتات الحكم)[٢]، ولعل ما تكفّل واضطلع بمهمة ترجمتها وتعريفها وتقديمها بوصفها مثال متميز يقتدى به في نصرة الحق والثبات على الاعتقاد، هو موقف حضورها عند معاوية بن أبي سفيان، وما تضمّنه سياق الحديث هناك من بيان لموقفها الشجاع وقولها المحكم في الولاء لأمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) والبراء من عدوه، إذ حضرت إلى معاوية بعد أن قدم الْمَدِينَة فاستأذنت عَلَيْهِ فَدخلت، وكانت (قد أسنت وعشي بصرها وضعفت قوتها، ترتعش بين خادمتين، بِيَدِهَا عكازها فَسلمت وجلست فَرد مُعَاوِيَة عَلَيْهَا السَّلَام وَقَالَ: لَهَا كَيفَ أَنْت يَا خَالَة قَالَت: بِخَير، قَالَ: لَهَا غَيْرك الدَّهْر قَالَت: كَذَلِك هُوَ ذُو غير من عَاشَ كبر وَمن مَاتَ قبر فَقَالَ: عَمْرو بن الْعَاصِ هِيَ وَالله القائلة لأخيها:

زيد دُونك فاحتفر(فاستتر) من دَارنَا ... سَيْفا حساما فِي التُّرَاب دَفِينا

قد كنت اذخره ليَوْم كريهة ... فاليوم ابرزه الزَّمَان مصونا

(١) معجم الشعراء العرب، تم جمعه من موقع الموسوعة الشعرية: ١/ ١٠٠٤.

(٢) المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها، عبد الله بن عفيفي الباجوري: ٢/ ١٢٠ .

فَقَالَ مَرْوَان بن الحكم وَهِي القائلة:

أَتَــرَى ابْن هِنْد للخلافة مَالِــكًا هَيْــهَات ذَاك وان اراد بـــــعيد

منتك نَفسـك فِي الْخَلاء ضَــلالَة أغراك عَمْرو للشـــقا وَســـَعِيد

ارْجـــع بأنكد طَائِر منحوســـة لاقت عليا اِسْـــعَدْ وســـــعود

وفقال سعيد بن الْعَاصِ وَهِي القائلة:

قد كنت أطمع أن أَمُوت وَلَا أرى فَوق المنابر من أُمــيَّة خاطـــبا

فَالله أخّرَ مـــدتي فتطـــــاولت حَتَّى رأيت من الــزَّمَان عجائبــا

في كل يَوْم لَا يزَال (للزمان) خطيبهم بَين الجموع (الجميع) لآل أحْمَد عائبا

ثـمَّ سـكتوا فَقَالَـت: يَـا مُعَاوِيَـة نبحتني كلابـك واعتورتنـي بعـد أن عـشي بَـصرِي، وَقـصرت محجتـي، وَأَنـا وَالله القائلـة مَـا قَالُـوا، لا أدفـع ذلـك بتكذيـب فامـض لشـأنك فـلا خـير في العيـش بعـد أمـير المؤمنـين، وَمَـا خَفِـي عَلَيْـك منـي اكثـر، فَضَحِـك مُعَاوِيَـة وَقَـالَ: لَيْسَ ذَاك بِالَّـذِي يمنعنـا مـن بـرك يَا خَالَـة فاذكري حَاجَتك قَالَـت: أمـا السَّـاعَة فَـلَا، وقامـت وَخرجت مغضبة[1]، وبقولهـا: (لاخير في العيـش بعـد أمـير المؤمنـين)، أوجـزت القـول في وصـف حيـاة عاشـتها عامـرة بالـولاء وأمنيـة في خاتمـة تكـون عليـه، وهـي تشـخص عنـد أعتـى أعـداء أمـير

(١) ينظـر: أخبـار الوافـدات مـن النسـاء عـلى معاويـة بـن أبي سـفيان: ٧١-٧٢، ينظـر: بلاغـات النسـاء: ١/ ٣٩-٤٠، ينظـر: العقـد الفريـد، ابـن عبـد ربـه الأندلـسي: ١/ ٣٤٦.

المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) وهو في أوج سلطانه وتجبره، لتضيف إلى درس صفِّين درسًا آخر في الثبات على الموقف والمبدأ حتى مع الكون بحال الضعف والخسارة، فاستأهلت أن تكون في مقدمة النساء المواليات العاملات.

٥/ الزرقاء بنت عدي[١] بن غالب[٢] بن قيس الهمدانية[٣]:

شخصية فذة متميزة، من اللواتي ارتقين منصَّة صفِّين الإعلامية بجدارة، مساهمةً في التثقيف للحق والدعوة إلى نصرته، وتعّرية الباطل والتحريض ضده، (وَهِي امرأة من أهل الْكُوفَة شهِدت مَعَ قَومهَا صفّين وَكَانَ لَهَا لِسَان وعقل)[٤]، ووصفت أيضًا بأَنهَّا كانت (امرأةً فصيحةً، جَزْلَةَ الرأي، سريعةَ الجواب، وكانت في أيام صِفِّين تقومُ بين الصفوف، وتُحرِّضُ الناسَ على قتال معاوية، وكانت تحبُّ أميرَ المؤمنين (عليه السلام))[٥]، وأيضًا (خطيبة، من ذوات الشجاعة من أهل الكوفة، شهدت مع قومها واقعة صفين، وخطبت فيها مرات تحرّض الناس على قتال معاوية)[٦]، ومن خبر وفودها على معاوية بن أبي سفيان سجَّل التاريخ منجزها إذ وثّق شيئًا من مشاركتها في صفِّين بتدوينه نزرًا من حروف بيانها، لتُحكى للأجيال أُنموذجًا للنصرة في القول والفعل، وممَّا جاء في خبرها مع معاوية بن أبي سفيان، أنَّه بعدما استذكر

(١) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان: ٨/ ٩١.
(٢) الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي: ٣/ ٤٤.
(٣) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٦٣.
(٤) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٦٣.
(٥) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان: ٨/ ٩١.
(٦) الأعلام: ٣/ ٤٤.

وحاشيته نصرتها لأمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه)، سألهم في أمرها فأشار عليه بعضهم بقتلها فرفض قولهم[١] فأرسل في طلبها وعندما علمت بذلك قالت: (إنْ كان الأمرُ إليَّ؛ فلا حاجةَ لي إليه، وإن كنتُ مُكْرَهة فالمُكْره معذور)[٢]، وعندما شخصت عنده سألها قَائلاً: السِّتِ راكبة الجْمل الأحمر يَوْم صفّين وَأَنت بَين الصفين توقدين الْحَرْب وتحرضين عَلَيْهَا؟ قَالَت: بلَى، قال: فإنَّك قد شَرَكْتِ ابنَ أبي طالب في كل دم سفَكَه، فقالت: أحسنَ اللهُ بِشارَتَك، فقال: والله لَوَفاؤُكم له بعد وفاتِه أعجبُ من حُبِّكم له في حال حياته! قَالَ: فَمَا حملك علىَ ذَلِك؟ قَالَت: إِنَّه قد مَاتَ الرَّأْس وبتر الذَّنب والدهر ذُو غير وَمن تذكر ابصر والأمر يحدث بعد الأمر، قَالَ لَهَا صدقت فَهَل تحفظين كلامك (وهل تحفظين مِمَّا كنتِ تقولين شيئًا) قَالَت: وَالله مَا أحفظه، قَالَ لكنّي وَالله أحفظه (أحفظُ منه) لله أَبوك لقد سَمِعتك تَقُولِينَ: (ايُّها النَّاس انَّكم فِي فتْنَة غشيتكم (غشتكم) جلابيب الظُّلم وحادت (جارت) بكم عَن قصد المحجة يَا لَهَا من فتْنَة عمياء صماء (بكماء) لَا يسمع لداعيها وَلَا ينقاد لسائقها (ولا تسلس لقائدها)، أيُّها النَّاس إنَّ الْمِصْبَاح لَا يضيء فِي الشَّمْس، وإنَّ الْكَوْكَب لَا ينير فِي الْقَمَر، وإنَّ الْبَغْل لَا يسْبق الْفرس، وإنَّ الدق لَا يوازي الْحجر، وَلَا يقطع الْحَدِيد إِلَّا الْحَدِيد (وإن الحديد بالحديد يُفْلَح)، ألا من استرشدنا أرشدناه، وَمن سألنا اخبرناه، إنَّ الْحق كَانَ يطْلب ضَالَّة فأصابها، فصبرًا يَا معاشر الْمُهَاجِرِي والأنصار على المضض فَكَانَ قد التأم شعب الشتات، وَظَهَرت كلمة الْعدْل، وَغلب الْحق باطله، فَلَا يعجلن أُحْدُ فَيَقُول كَيفَ وأنى؟ وَلَكِن ليقضي الله أمرا

(١) ينظر: أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٦٣.

(٢) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان: ٨/ ٩١.

كَانَ مَفْعُولا، وَللهَّ عَاقِبَة الْأُمُور، إنَّ خضاب النِّسَاء الْحِنَّاء وإنَّ خضاب الرِّجَال الدِّمَاء، وَلِهَذَا مَا بعده وَالصَّبْر خير فِي العواقب، إيهٍ إِلَى الْحَرْب قدمًا غير ناكصين، ولا متشاكسين فَهَذَا يَوْم لَهُ مَا بعده[١]، وكان هذا بعض ممَّا سجله التاريخ من مشاركاتها التي لم يصل إلينا غالبها، ولكن يمكن أن نقرأ شيئًا من نتائج تلك المشاركات المتميزة التي جعلت بعض من حاشية معاوية يطلب قتلها، ممّا يعني أنَّ لإعلامها الولائي التحريضي في صفِّين وقعًا كبيرًا قد أسهم بقدر ما في توجيه الناس، ورسم بعض الأحداث فعلق مع طياتها، واختزن في ذاكرة من عايشها فاستأهلت أن يقترن اسمها بحدث صفِّين بوصفها عدو مباشر لجبهة البغي، منتصرةً للحق ومثقفةً له.

٦/ سودة بنت عمارة[٢] بن الأشل[٣] بن زهير[٤] بن الاشتر[٥] بن الأسد[٦] بن الأسك الهمدانية اليمانية[٧]:

من ذوات القول الفصل والرأي الجزل، شاركت في أحداث صفِّين وكانت لها مواقف ومقامات محّدِثة أثرًا بالغًا مع رفيقاتها في جبهة العدو[٨]،

(١) ينظر: أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٦٤-٦٥، ينظر: مرآة الزمان في تواريخ الأعيان: ٨/ ٩١-٩٢.

(٢) مستدركات علم رجال الحديث، الشيخ علي النمازي الشاهرودي: ٨/ ٥٨٢.

(٣) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٦٧.

(٤) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان: ٨/ ٩٢.

(٥) طبائع النساء وما جاء فيها من عجائب وأخبار وأسرار: ١٨٦.

(٦) نوادر الخلفاء المشهور بـ «إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس»، محمد، المعروف بديباب الإتليدي: ٣٢.

(٧) تاريخ دمشق: ٦٩/ ٢٢٤.

(٨) ينظر: المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها: ٢/ ١٢٠.

وورد في حقها أَنَّها (امرأة شاعرة)[١]، و(كانت مِمَّن شَهِدْنَ صِفِّين مع أمير المؤمنين عليٍّ بنِ أبي طالب [عليه السلام])[٢] وكانت من أنصاره [عليه السلام][٣]، ويذكر لها التاريخ موقفًا حيث وفدت على عدو الامس معاوية بن أبي سفيان عندما ألجأتها حاجة إلى ذلك، فاستأذنت وأُذِنَ لها بالدخول، (فَلَمَّا أن دخلت عَلَيْهِ قَالَ هيه يَا ابنة الأشل (الأسك) السِّت القائلة لأخيك يَوْم صفين:

شمِّر كَفعل أَبيك يَا بن عمَارَة ... يَوْم الطعان (الظِّعان) وملتقى الأقران

وانصر عليًا وَالْحُسَيْن ورهطه ... واقصد لهِنْد وَابْنهَا بهوان

إِنَّ الإمام اخا النَّبِي مُحَمَّد ... علم الهدى ومنارة الإيمان

فقه الحتوف (الحِمام) وسر أمام لوائه ... قِدمًا بأبيض صارمٍ وَسنَان

قَالَت: بلَى، وَمَا مثلي رغب عَن الْحق وَاعْتذر بِالْكَذِبِ قَالَ: فَمَا حملك على ذَلِك قَالَت حب عَليّ وَاتِّبَاع الْحق قَالَ: وَالله مَا ارى عَلَيْك من عَليّ اثرا،... ثمَّ قَالَ لها: هَيْهَات مَا مثل مقَام اخيك ينسى وَمَا لقِيت من أُحْدُ مَا لقِيت من قَوْمك قَالَت صدق فوك، لم يكن أخي وَالله ذميم الْمقَام، وَلَا خَفِي الْمَكَان كَانَ وَالله كَقَوْل الخنساء:

(١) تاريخ دمشق: ٦٩/ ٢٢٤

(٢) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان: ٨/ ٩٢.

(٣) ينظر: شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام: ١٨٦.

وإنَّ صخرًا لتأتمَ الهُـــداة بِهِ كأنَّه علـــمٌ فِي رَأسه نَارُ[1]

غير منكرة لمقالتها التحريضية في صفِّين، معللة فعلها بحب أمير المؤمنين واتباع الحق الذي تجلّى فيه، مؤكدة بطولات أخيها آنذاك، مؤيدة شدة بأسه على جبهة العدو، مثنية على شجاعته ومطرية له، ممّا يعني أنَّ موقفها آنذاك كان مُمتَنًا بعقيدة راسخة بأمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) ولم يكن موقفًا ارتجاليًا عفويًا، أو قد أسهمت الظروف آنذاك مثلًا في تبنيها له، ثم تذكِّر بعد ذلك معاوية بعدل أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) في موقف لها معه وتقايسه بفعل معاوية اليوم لموقف مشابه، فترسم افتراقًا شاسعًا بين المنهجين، وتخط مضمون إجابة اخرى في علة حبِّها لأمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) واتباعها له، إذ قالت لمعاوية : إِنَّك أَصبَحت للنَّاس سيدًا، ولأمورهم مُتَقَلِّدًا، وَالله سَائِلك عَن أمرنَا، وَمَا افْترض عَلَيْك من حَقنا، وَلَا يزَال يقدم علينا من ينوء بعزك، ويبطش بسلطانك فيحصدنا حصاد السنبل، ويدوسنا دياس(دوس) الْبَقر، ويسومنا الْخَسْف (الخسيسة)، ويسألنا الجليلة هَذَا ابْن ارطاة قدم (بلادي)، فَقتل رجالنا (رجالي)، واخذ (واستصفى) أَمْوَالنَا، يَقُول لي فوهى بِمَا استعصم بِاللَّهَّ مِنْهُ والجا إِلَيْهِ فِيهِ وَلَوْلَا الطَّاعَة لَكَانَ فِينَا عز ومنعة، فَأَمَّا عزلته فشكرناك، وَإِمَّا لَا فعرفناك (وإمَّا تركتَه فذَمَمْناك)، فَقَالَ: مُعَاوِيَة أ بقومك تهددين لقد هَمَمْت أن أحملك على قتب اشرس (وهو المائل المعرج) فادرك إِلَيْهِ، فَينفذ فِيك حكمه، فأطرقت

(١) ينظر: أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٦٧-٦٨، ينظر: تاريخ دمشق: ٦٩/ ٢٢٤-٢٢٥، ينظر: مرآة الزمان في تواريخ الأعيان: ٨/ ٩٢-٩٣.

ثـمَّ بَكـت ثـمَّ رفعـت رأسـها وَهِـي تَقـول:

صلى الإلـه على روح تضمنهـا قـبرفَأصْبح فِيهَـا الْعـدْل مَدْفُونا

قدحَالف الْحق لَا يَبْغِي بِهِ بَدَلا فَصَارَ بِالْحَقِّ والإيمـان مَقْرُونا

قَـالَ وَمـن ذَلِـك قَالَـت عَـليّ بـن أبي طَالـب (عَلَيْـهِ السَّـلَام)، أمـير المؤمنـين أبـو حسـن، قَـالَ: وَمَـا علمـك بِـهِ، قَالَـت: أتيتـه فِي رجـل ولاه صَدَقَاتنَـا لم يكـن بَيْننَـا وَبَينـه إِلَّا مَـا بَـين الغـث والسـمين، فَوَجَدتـه قَائِـما يُصَـلِّي فَلَـمَّا نظـر الي انْفَتَـلَ مـن صلَاتـه (مصـلاه)، ثـمَّ قَـالَ لي: برأفـة ورحمـة وتعطـف ألـك حَاجَـة؟ فأخبرتـه الْخَبَر فَبكـى، ثـم رفـع طرفـه إلى السـماء ثـمَّ قَـالَ: اللَّهُـمَّ أَنْـت الشَّـاهِد عَـليّ وَعَلَيْهِـم إِنِّي لم أَمرهـم بظُلْـم خلقـك وَلَا بـترك حَقـك، ولا أَرْضَى بظلـم الرعيَّـة، ثـمَّ اخْـرُج مـن جيبـه قِطْعَـة جلـد كَهَيئَـةِ طـرف الجـراب ثـمَّ كتـب فِيهَـا، بِسـم الله الرَّحْمَـن الرَّحِيـم ﴿قد جَاءَكُـم بَيِّنَة من ربكُـم فأوفوا الْكَيْل وَالْمِيزَان بِالْقِسْطِ وَلَا تبخسوا النَّاس أشياءهم وَلَا تعثوا فِي الأَرْض مفسدين بَقِيَّة الله خيرلكـم إِن كُنْتُم مُؤمنين وَمَا أَنا عَلَيْكُـم بحفيظ﴾، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُـمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُـمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ﴾)، إِذا أتـاك كتـابي هَـذَا فاحتفـظ بِمَا فِي يَديـك مـن عَملنَـا (فاعتـزل عملنـا) حَتَّـى يقـدم عَلَيْـك مـن يقبضـهُ مِنْـك وَالسَّـلَام، فَأَخَذتـه وَالله وَمَـا خزمـه بخـزام وَلَا خَتمـه بطـين، فعزلتـه بـه فَقَـالَ: رحـم الله ابـا الْحسـن اكتبـوا لَهَـا بِالْعَـدْلِ قَالَـت: لي خَاصَّـة أم لقومـي عَامَّـة، قَـالَ: مَـا أَنْـت وَغَيْرك، قَالَـت هِـيَ وَالله إِذا الْفَحْشَـاء واللؤم إن كَانَ عـدلا شـاملًا، وَإِلَّا فَأَنـا كَسَـائِر قومِـي، فَقَـالَ: هَيْهَـات يَـا أهـل الْعـرَاق لمظكم عَـليّ بـن أبي طَالـب الجـرأة عـلى السُّـلْطَان فبطـيء مَـا تفطمـون اكتبـوا لَهَـا ولقومهـا

وعلى نقل آخر (يا أهل العراق لقد جرَّأكم ابنُ أبي طالب على الولاة، وغَرَّكم قولُه: فلو كنتُ بوَّابًا على بابِ جنَّةٍ، لقلتُ لهَمْدان ادخُلي بسلامِ)[١].

فجاءت (رحمها الله) مجلسه وهو ينكر عليها موقفها المناصر لأمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) في صفِّين، ويُعظِّم حنقًا بسالة أخيها وشدة بأسه، فتخرج من ذلك المجلس وقد أضافت إلى رصيدها الولائي رواية ينقلها الرواة على مرِّ الزمان، وتعاقب الأجيال عن عدل أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) وعطفه ورأفته على رعيته، منتصرة له مرة أُخرى مؤكِّدة ولائها وثباتها على مبدئها.

٧/ عكرشة بنت الأطش[٢] الأطرش[٣] بن رواحة[٤]:

(سيدة جليلة القدر، تُعَدُّ في طليعة نساء زمانها في شجاعتها وقوة بيانها، عُرفت بالولاء والاخلاص لأمير المؤمنين علي (عليه السلام)، وكانت في صفِّين تدعو الناس إلى نصرة الامام أمير المؤمنين علي عليه السلام ومناجزة عدوه، شادّة وسطها، متقلدة بحمائل السيف، واقفة بين الصفِّين تحرّض المؤمنين على قتال العدو)[٥]، فقدّمت إعلامًا رصينًا مؤثرًا، وتجسيدًا عمليًا للنصرة والدعوة إليها، فعُرِفت وشُخصت لدى العدو بمنجزها الولائي

(١) ينظر: أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٦٨-٧٠، ينظر: تاريخ دمشق: ٦٩/ ٢٢٥-٢٢٦، ينظر: مرآة الزمان في تواريخ الأعيان: ٨/ ٩٣-٩٤.

(٢) أخبار الوافدات على معاوية بن أبي سفيان: ٣٧.

(٣) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان: ٨/ ٩٤.

(٤) تاريخ دمشق: ٦٩/ ٢٩٠.

(٥) الأعلام من الصحابة والتابعين، الحاج حسين الشاكري: ١٢/ ٦٣.

التحريضي، وفدت على معاوية بن أبي سفيان، وتم استذكار مشاركتها في صفِّين وبيان أثر تلك المشاركة، (دخلت عكرشة بنت الاطش على مُعَاوِيَة وَهِي متوكأة على عكاز (في أسفله زج مسقي) لَهَا فَسلمت عَلَيْهِ... فَقَالَ: لَهَا مُعَاوِيَة السِّت صَاحِبَة الكور المسدول، وَالْوسط المشدود والمتقلدة بِالسَّيْفِ ذِي الحمائل وَأَنت واقفة (تجولين) بَين الصفين يَوْم صفّين تَقُولِينَ: (ايُّها النَّاس عَلَيْكُم انفسكم لَا يضركم من ضل اذ اهْتَدَيْتُمْ، إِنَّ الْجَنَّة دَار لَا يرحل من قطنها، وَلَا يحزن من سكنها، وَلَا يَمُوت من دَخلهَا فَلَا تَبِيعُوهَا بدار لَا يَدُوم نعيمها، وَلَا تتصرم همومها، فكونوا قومًا مستبصرين، إِنَّ مُعَاوِيَة دلف اليكم بعجم الْعَرَب غلف الْقُلُوب، لَا يعْرفُونَ ما الإيمان، وَلَا يَدْرُونَ مَا الْحِكْمَة، دعاهم بالدنيا فَأَجَابُوهُ واستدعاهم إِلَى الْبَاطِل فلبوه فَالله الله عباد الله فِي دين الله وإياكم والتواكل فانَّ ذَلِك نقض عُرى الاسلام، واطفاء نور الْحق، واظهار الْبَاطِل، وَذَهَاب للسّنة، هَذِه بدر الصُّغْرَى، والعقبة الأخرى، يَا معاشر الْمُهَاجِرين والانصار أمضوا على بصيرتكم واصبروا على نياتكم (عزيمتكم) فَكَأَنِّي بكم غَدًا وَقد لَقِيتُم أهل الشام وهم كالحمر الناهقة وَالْبِغَال الشاحجة (الشحاجة)، يضجون ضجيج الْبَقر(تصفق صفق البقر) وَلَا يروثون رَوْث الْعتاق (ولا تروب روب العناق))، فَقَالَ مُعَاوِيَة وَكَأَنِّي أراك على عكازتك هَذِه وَقد انكفأ عَلَيْك العسكران يَقُولُونَ هَذِه عكرشة بنت الاطش، فان كدت لتؤلبين عَليّ أهل الشَّام لَوْلَا مَا قدر الله...)[1]، معترفًا بسطوة بيانها وقوة إنجازه في رفع الروح القتالية، وشد الهمم باتجاه الملاقاة،

(١) ينظر: أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٣٧-٣٨، ينظر: بلاغات النساء: ٧٥، ينظر: تاريخ دمشق: ٦٩/ ٢٩٠-٢٩١.

متعديًا الأثر في التأليب والتحريض إلى أجناد جبهته، وترجح مرة أخرى كفة قوة بيانها على حجة معاوية حين مقدمها عليه إذ سائلته بشأن ما يستقطعه من أموالهم بلا وجه حق، فيعترف قولًا بعجزه أمام قوة دليلها، وعملًا برده أموالها (قَالَ مُعَاوِيَة: يَا هَذِه إِنَّه تنوبنا النوائب هِيَ أولى بِنَا مِنْكُم من بحور تنبثق وثغور تنفتق قَالَت يَا سُبْحَانَ الله مَا فرض الله لنا حَقًا جعل فِيهِ ضَرَرا على غَيرنَا وَلَو علم جلّ ثَنَاؤُهُ ان فِي مَا جعل لنا ضَرَرا على غَيرنَا لما جعله لنا وَهُوَ علام الغيوب قَالَ: مُعَاوِيَة هَيْهَات يَا أهل الْعرَاق قد فقهكم عَليّ بن أبي طَالب فَلَنْ تطاقوا ثمَّ أَمر لَهَا برد صدقاتها...)[1]، ونخلص إلى أنَّ هذه المرأة (رحمها الله) قد حازت على مؤهل الكون في واجهة صفِّين الاعلامية مثرية ميدانها، مثقفة باتجاه تولي أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) ونصرته، لحيازتها ملكة البيان، وبلاغة المقال، وجودة الحضور.

(١) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٣٩، ينظر: تاريخ دمشق: ٦٩/ ٢٩١-٢٩٢.

الباب الأول

الإعلام .. قراءة في المفهوم والاجراء والحدث

الفصل الأول

الإعلام .. المفهوم والاجراء

أولاً/ الإعلام في اللغة والاصطلاح.

أ ـ الإعلام لغة:

على الرغم من خلو معجمات اللغة العربية وقواميسها من معنى مفردة الإعلام بدلالتها المعاصرة، إلَّا إنَّنا نستطيع الخروج بمعنى يُغني المطلوب في بيان هذه اللفظة بالرجوع إليها.

فالإعلام من الجذر اللغوي: لـ (عَلِمَ يَعْلَمُ عِلْماً، نقيض جَهِلَ... وأعلمته بكذا، أي: أَشْعَرْتُه وعلّمته تعليماً. والله العالِمُ العَليمُ العلاّمُ)[1]، وهو أي (علم) (أَصْلٌ صَحِيحٌ وَاحِدٌ، يَدُلُّ عَلَى أَثَرٍ بِالشَّيْءِ يَتَمَيَّزُ بِهِ عَنْ غَيْرِهِ... وَكُلُّ شَيءٍ يَكُونُ مَعْلَمًا: خِلَافُ الْمَجْهَلِ)[2]، قال تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ (التغابن: ١٨)، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الْخَلاَّقُ الْعَلِيمُ﴾ (يس:٨١)، وقال تعالى: ﴿عَلاَّمُ الْغُيُوبِ﴾(المائدة ١٠٩).

---

(١) العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، باب العين واللام والميم :٢/ ١٥٢.

(٢) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا شهاب الدين أبو عمر، باب العين واللام والميم وما يثلثهما: ٤/ ١٠٩.

(والْإِعْـلَام: مصـدر (أعلـم) وَهُـوَ عبـارَة عَـن تَحْصِيـل الْعلـم وإحداثـه عِنْـد الْمُخَاطـب جَاهِـلا بِالْعلـمِ بِـهِ ليتَحَقَّـق إِحْـدَاث الْعلـم عِنْـده وتحصيلـه لَدَيْـهِ وَيشْـتَرط الصـدْق فِي الْإِعْـلَام دون الْإِخْبَـار، لِأَن الْإِخْبَـار يَقـع عـلى الْكَـذِب بِحكـم التعـارف، كَمَا يَقـع على الصـدْق قَـالَ الله تَعَـالَى: ﴿إِن جَاءَكُـم فَاسق بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾، اخْتـصَّ الْإِعْـلَام بِمَا إِذا كَانَ بِإِخْبَـار سريـع، والتعليـم بِمَا يكـون بتكريـر وتكثـير حَتَّـى يحصـل مِنْـهُ أثـر فِي نفـس المتعلـم)[1]، وحُـددت معـاني الاعـلام في اللغـة بثلاثـة معـانٍ هـي[2]:

١- الاعـلام بمعنـى نـشر المعلومـة بعـد جمعهـا وانتقائهـا: وأحيانًـا يطلـق عـلى الاسـتعلامات التـي تعنـي إبـراز الأخبـار وتفسـيرها.

٢- الإعـلام بمعنـى الدعـوة: وهـو النشـاط الهـادف الى نـشر الدعـوة وكسـب المؤمنـين بهـا.

٣- وتعني أيضًا نقل المعلومات الى الآخرين عن طريق الكلمة أو غيرها.

وممَّـا تقّـدم نخلـص إلى أنَّ الجامـع في الإعـلام (لغـةً): هـو إيصـال العلـم إلى المخاطـب أو المتلقـي بعـد تحصيلـه وانتقائـه؛ لغـرض تزويـده بالحقائـق المختلفـة الصادقـة، وإنَّ هـذه المعلومـات المُـزَوَدة بالإعـلام، قـد تكـون مجهولـة لـدى المتلقـي فيتحصـل لـه العلـم بهـا، أو معلومـة بنسـبة مـا فيبـان المجهـول منهـا، فتتضـح وتثبـت في الذهـن.

(١) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، الكفوي: ١٤٨.

(٢) مدخل الى وسائل الاعلام الجديد، عبدالرزاق محمد الدليمي: ١٠٧-١١٠.

ب ـ الإعلام اصطلاحًا:

إنَّ لكثرة تناول مفردة الإعلام في الأوساط المختلفة وشيوعها، جعل منها مفهومًا ذي قراءات متنوعة، إذ (تشير الأدبيات في مجال الدراسات الإعلامية الى أَنَّ تعريف الإعلام ليس تعريفًا دقيقًا مانعًا، وينسحب ذلك الى المصطلحات الاخرى للعلوم، وخاصة المرتبطة بالفكر والثقافة، والواقع الاجتماعي)[١]، فلفظة الإعلام أصبح لها من الشمولية والسعة ما لا ينكره أحد، إذ دخلت في مجالات متعددة وأدَّت وظائف متنوعة، وبالخصوص في عصرنا الحاضر الذي أصبح الإعلام فيه لغة العصر المهيمنة، إذ به تُسَوَق هذه المجالات، وتُعرض على الآخرين، وعليه أصبحت هذه اللفظة من الألفاظ المتداولة والمأنوسة (ممّا جعل تقديم تعريف دقيق شامل للفظة الإعلام عسيرًا، لأنَّ كثرة تداول الكلمة وانتشارها جعلها تبدو وكأنَّها لا تحتاج الى تعريف، مع أنَّها مازالت غير واضحة كما ينبغي في أذهان ممن ألفوا استعماله)[٢].

وللسبب المتقدِّم في أنَّ مفهوم الإعلام في العصر الحديث قد شغل حيزًا واسعًا في كل مجالات الحياة وشؤونها تقريبًا؛ كان من الطبيعي أن نجد تعريفات متعددة في الصياغة للعلماء والمفكرين بتعدد المجالات التي ينتمون إليها ومحاولة كلٍّ منهم أبراز هذا المفهوم (الإعلام) بما ينسجم ومتبناه وإن كانت هذه التعريفات متقاربة في المضامين فننتخب منها التعريفات التالية:

(١) وظيفة الأخبار في سورة الأنعام، سيد محمد ساداتي الشنقيطي: ٢٩.

(٢) الإعلام موقف، محمود محمد سفر: ٢١ .

الإعلام: (نشر للأخبار والحقائق والافكار والآراء، يتم التعبير عنها بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، في إطار موضوعي بعيدًا عن الهوى من خلال أدوات ووسائل محايدة، بهدف اتاحة الفرص للانسان للوقوف على الحقائق والافكار ليكون قادرًا على تكوين فكرة الخاص به الذي يمكنه من اتخاذ الموقف الذي يراه ملائمًا)[١].

وأيضًا: (تزويد الناس بالأخبار الصحيحة، والمعلومات السليمة، والحقائق الثابتة التي تساعدهم على تكوين رأي صائب في واقعة من الوقائع، أو مشكلة من المشاكلات بحيث يعبر هذا الرأي تعبيرًا موضوعيًا عن عقلية الجمهور واتجاهاته وميوله)[٢].

وأيضًا: (كافة الأوجه الاتصالية التي تستهدف تزويد الجمهور بكافة الحقائق، والأخبار الصحيحة، والمعلومات السليمة، عن القضايا، والموضوعات، والمشكلات، ومجريات الامور بطريقة موضوعية وبدون تحريف، بما يؤدي إلى خلق أكبر درجة ممكنة من المعرفة، والوعي، والادراك، والاحاطة الشاملة لدى فئات جمهور المتلقين للمادة الإعلامية بكافة الحقائق، والمعلومات الموضوعية الصحيحة، عن هذه القضايا والموضوعات، وبما يسهم في تنوير الرأي العام الصائب لدى الجمهور في الوقائع، والموضوعات، والمشكلات المثارة والمطروحة)[٣].

---

(١) الإعلام موقف: ٢٤.

(٢) إبراهيم إمام: أصول الإعلام الإسلامي: ١٤.

(٣) الإعلام والاتصال بالجماهير والرأي العام، سمير محمد حسين: ٢٢.

وأخيرًا: (عملية نشر وتقديم معلومات صحيحة، وحقائق واضحة، وأخبار صادقة وموضوعات دقيقة، ووقائع محدودة، وأفكار منطقية، وآراء راجحة، للجماهير مع ذكر مصادرها، خدمةً للصالح العام، فالإعلام يقدم حقائق مجردة بعضها سار وبعضها غير سار، وليس للإعلامي غرض معين بنشره للجمهور، والأفكار التي ينقلها الإعلامي تكون موضوعية تمامًا)[١].

وإلى هنا يتضح المفهوم الاصطلاحي لمفردة الإعلام في اطلاقها العام، أمَّا عند تقييدها بوصف (الاسلامي) فتعرف: (تزويد الجماهير بصفة عامة بحقائق الدين الإسلامي المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه [وآله] وسلم) بصفة مباشرة، وغير مباشرة من خلال وسيلة إعلامية دينية متخصصة، أو عامة بواسطة قائم بالاتصال لديه خلفية واسعة وممتعة في موضوع الرسالة التي يتناولها وذلك بغية تكوين رأي عام صائب يعي الحقائق الدينية، ويدركها ويتأثر بها في معتقداته وعباداته ومعاملاته)[٢]، وأيضًا (بيان الحق وتزيينه للناس بكل الطرق والاساليب والوسائل العلمية المشروعة، مع كشف وجوه الباطل، وتقبيحة بالطرق المشروعة بقصد جلب العقول إلى الحق، واشراك الناس في نوال خير الإسلام، وهديه وابعاده عن الباطل)[٣].

ويفاد مما ذُكر من التعريفات الاصطلاحية للإعلام عامةً، أنَّ المعلومات التي يُزَودُ بها جمهور المتلقين لابُدَّ أن تكون صحيحة ودقيقة وهذا يستبطن فرز

(١) سيكولوجية الاتصال والإعلام، اصوله ومبادئه، عبد الفتاح محمد دويدار: ١١٦.
(٢) مقومات رجل الإعلام الاسلامي، تيسير محجوب الفتياني: ٢٩.
(٣) مقومات رجل الإعلام الاسلامي: ٢٩.

وانتقاء المعلومات المطروحة على أساس صدقها وتحققها في الواقع، لكي تؤثر في المتلقين وتسهّل عملية الإقناع، ومن ثم الاستجابة بتكوين موقف معين، وأن تكون موضوعية أي حيادية وبعيدة عن أي تدخل يؤثر في مصداقيتها وبهذا القيد تخرج المعلومات الشخصية أو المعلومات المساقة لأغراض معينة عن دائرة الإعلام الى عنوانات أخرى، إضافة إلى أَنَّ المعلومات مادة الإعلام تكون متنوعة ومختلفة محاكية تنوع واختلاف المجالات التي يشغلها الإعلام ويتبنى تسويقها كما مرَّ، ولأجل هذا التناغم بين المادة الإعلامية والمجال المعالج إعلاميًا، كانت مادة الإعلام الاسلامي مستقاة من معارف الدين وحقائقه، وعليه أصبحت القيود المتقدمة في الإعلام مطلقًا، من صدق المعلومة وموضوعيتها مطلوبة بعناية أكبر في الاعلام الإسلامي ممّا في غيره من التخصصات الأخرى، وذلك لأجل أنَّ غاية هذا النوع من الإعلام في هداية الانسان، وجلبه إلى جادة السواء تتسامى مترفعة على ما سواها من الغايات -مهما كانت سامية ونبيلة- للإعلام في المجالات الأخرى، فتدخل هذه القيود في الإعلام الاسلامي من جهة انطباق قيود الاعلام العامة عليه، وتشتد وتتأكد بوصف أَنَّ تلك القيود متضمنة في أخلاقيات الدين المُثقِّف له هذا النوع من الإعلام، فتنقيه مادةً ووسيلةً، وقائمًا بالإرسال، وهذا لا يعني ألّا يكون هناك خرق أو تجاوز على هذه القيود في بعض التطبيقات الإعلامية على الساحة الإسلامية .

ثانيًا/ وسائل الإعلام (القديمة):

إنَّ الحاجة إلى التواصل بين بني البشر قديمة قدم نشأة الانسان على وجه البسيطة، فمنذ وجد احتاج إلى التفاهم، ونقل أفكاره للآخر من بني جنسه،

وعند كل مرحلة زمنية معاشة لبني البشر تنشط لديهم بعض الوسائل التي تتيح لهم عملية التواصل هذه، إضافة إلى إنَّ هذه الوسائل قد تدرجت في تطورها شيئًا فشيئًا مع تطور الأنسان، واتجاهه نحو التنظيم الاجتماعي والفكري، فأصبح هناك محاكاة وتناسب بين التطور البشري والتطور في وسائل الاتصال والإعلام، ويُعَدُّ اكتشاف الكتابة نقلة نوعية في تطور وسائل الاتصال والإعلام عند الإنسان، الأمر الذي جعل تأثيرها يكون أوسع نطاقًا ممّا كان عليه سابقًا، ونستطيع القول عامةً إنَّه قد سادت قديمًا وسائل إعلام محدودة العدد متباينة التأثير إذا ما قيست وواقع الإعلام اليوم، وإن كانت في نفسها ملبية للحاجة آنذاك بقدر مهم، وسنقتصر على بيان موجز للوسائل التي نشطت واحتفظت بمكانتها على قِدمَها في إعلام الواقع الإسلامي، لدخول النُّصوص موضوع الدراسة ضمن مفهوم الاعلام الاسلامي الولائي، واندراج تلك النُّصوص تحت عناوين بعضها كالخطابة والشعر وهي:

١. الكتابة ٢. الندوة ٣. البعثات ٤. القصيدة الشعرية ٥. الخطابة

١. الكتابة:

تُعَدُّ الكتابة أحد أبرز وأهم طرق التواصل بين الناس قديمًا وحديثًا، وكان يُمارسُ بواسطتها دورًا إعلاميًا متميزًا؛ إذ بها يتم بثُّ الأفكار وإيصالها الى أكبر عدد من المتلقين والمتفاعلين، ويعدُّ اكتشاف الكتابة أحد أهم الإنجازات البشرية على مدى التأريخ، وقد مرَّت الكتابة بمراحل بناء وتطور في الأُسلوب و الصناعة اللفظية على مرِّ العصور بما ينسجم ومتطلبات كل عصر، فقد تميزت الكتابة قديمًا بالأسلوب المسّهب والتكلَف في الصناعة،

أما اليوم فقد غلبت عليها ميزة السرعة مع بساطة الاسلوب، وخلوه من التكلّف تماشيًا وحاجة العصر .

٢. الندوة:

ويطلق عليها أيضًا المأدبة الفكرية وتعرف الندوة بأنَها «عبارة عن اجتماع رسمي يلتقي فيه مجموعة من الأشخاص ذوي الاختصاص في موضوع معين لمناقشته، ويكون اجتماعهم في مكان وزمان محددين، ويختلف الموضوع المعين محل النقاش فقد يكون أدبيًا، أو اجتماعيًا، أو ثقافيًا، أو علميًا، وما الى ذلك[١] وفي الندوة يطرح كل من المجتمعين رأيهم حول القضية التي يتناقشون بها، كما ينقل كل منم آراء أشخاص آخرين يكونون قد سمعوها من قبل؛ الامر الذي يزيد من جودة الاجتماع وتحقيق الهدف المرجو منه[٢]، وتعدُّ من وسائل الإعلام القديمة المعاصِرة ومن أنجح وسائل الإعلام وقد نشطت في المجتمع العربي بصورة ملحوظة قبل الإسلام وبعده، إذ تُعَدُّ ملتقى للأفكار والرؤى ومحلًا لمناقشة الأمور ذات الاهتمام والتأثير.

٣. البعثات :

ومعناها ارسال أشخاص ذوي مؤهلات معينة الى مجتمعات اخرى لأداء رسالة محددة، وقد اعتمد الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) على البعثات الإسلامية اعتمادًا ملحوظًا في التثقيف للدين الجديد ونشره، (ويذكر التأريخ

---

(١) ينظر: مهارات الاتصال الإداري والحوار، عبد الله حسن مسلم: ١٢٧-١٢٩ .

(٢) Retrieved.“www.dictionary.com،” symposium “ Edited.٣٠-٦-٢٠١٨ موقع الكتروني.

أن النبي (صلى الله عليه وآله) قد ابتعث رسلًا الى النجاشي ملك لحبشة والى كسرى ملك الفرس، ومن البعثات الإسلامية أيضًا، بعثة مولاه أُسامة بن زيد، وبعثة شجاع بن وهب الأسدي الى الغساني ملك تخوم الشام، وبعثة العلاء بن الحضرمي الى ملك البحرين وكانت البعثات النبوية حركة إعلامية واسعة من أخطر ما عرف التأريخ وكان لها دور في نشر الإسلام)[1].

٤. القصيدة الشعرية:

إنَّ للشعر مقامًا رفيعًا ومنزلة عالية في نفوس العرب قديمًا، ولعله قد ظفر بالرتبة الأُولى في سلم أولويات اهتماماتهم؛ إذ إنَّهم كانوا يَعدونه سجلًا يدّونون فيه أمجادهم ومفاخرهم، وميدانًا يتبارون فيه موثِّقين فصاحتهم وبلاغتهم، وقد تنوّعت موضوعات الشعر قديمًا وتباينت فيما تضمّنته من قيم وأفكار، فكان منها الرّصين ومنها المبتذل، وقد لعب الإسلام دورًا متميزًا في تهذيب تلك الموضوعات فقنّنَ أدبًا شعريًّا يليق بالفرد المسلم يتسم بالعفة، وترك فاحش الكلام، وباطل القول وزوره ...، أمّا القصيدة الشعرية فهي عبارة عن مجموعة من الأبيات تتمحّور حول موضوع واحد وتقتصر عليه ولا تتشعب في الأفكار، فهي أخصُّ من الشعر الذي يتناول موضوعات كثيرة متنوعة، وقد برزت للقصيدة الشعرية وظائف متعددة احتفظت بمكانتها منها سياسية، اجتماعية، إعلامية، دعائية[2]، تبعا لما تحمله في طياتها من موضوع وتبعًا للغرض الذي من أجله نُظِمت؛ ولعل أهم تلك

(١) عبد السلام هارون، تهذيب سيرة ابن هشام: ص٣٧١ وما بعدها.

(٢) ينظر: الحياة الأدبية في عصر صدر الإسلام، محمد عبد المنعم خفاجي: ص١٦١ وما بعدها. ينظر: الإعلام والدعاية، عبد اللطيف حمزة: ص٢٦ وما بعدها.

الوظائف هي الوظيفة الإعلامية كونها مستبطنة في بقية الوظائف الأُخرى إضافة إلى استقلالها بعنوانها الخاص بها، وقد وجدت تلك الوظائف انتعاشًا في سوق الشعر نظرًا لاتساع جمهور القصيدة الشعرية فيستطيع الشاعر بث فكرته أو رسالته في أيِّ موضوع يتبناه بقالب شعري مؤثر.

٥. الخطابة:

تعدُّ الخطبة من الفنون الأدبية الأخرى التي ساهمت بشكل ملموس في الجانب الإعلامي قديمًا وحاضرًا، وعُرِّفت بأنَّها: (صفة راسخة في نفس المتكلم، يقتدر بها على التصرف في فنون القول، لمحاولة التأثير في نفوس السامعين، وحملهم على ما يراد منهم بترغيبهم، واقناعهم)[1]، بمعنى أنَّ الخطيب يوجه رسالته الى الجمهور بطريقة تلقائية مقنعة، محاولًا إحداث تأثيرٍ في النفوس واستمالة للعواطف، وبالتالي تحصيل الاستجابة لما يطرحه، ولو تتبعنا مكانة الخطابة في حياة العرب قديمًا لوجدنا أنَّ العرب في الجاهلية قد اعتنوا بالخطابة اعتناءً مهمًا، فكانت الخطابة فيهم فطرية ولهم ضرورية مع ما فيهم من زلاقة اللسان وقوة البيان، فتفتقت بها ألسنة أبناءها، فكانت لهم محاورات شديدة وجدال عنيف وكانت الحرب بينهم لا تكاد تضع أوزارها، وبرزت لهم مجاميع يعرضون فيها مصنوعات قرائحهم ليباهوا بما فيها من بلاغة وحكمة، غير أنَّ اهتمامهم بالخطابة لم يرقَ ابتداءً إلى مستوى اهتمامهم بالشعر، ولعل هذا من أسباب عدم وصول أخبار خطبائهم وخطبهم مقارنةً بما وصل من أخبار الشعر والشعراء، إلاّ أنَّ مكانة الخطابة

(١) الخطابة أصولها، تاريخها في أزهر عصورها عند العرب، محمد أبو زهرة :١٥.

في العصر الجاهلي بدأت تتزايد نسبيًا متخطيةً مكانة الشعر في وقت ما؛ وذلك بسبب ابتذال ما يطرح في بعض الاشعار من موضوعات، إذ أصبح الشعر صنعة يتعاطاها العامة والسفهاء من القوم، فكَثُرَ الفحش في القول، والطعن والخوض في الأعراض، الأمر الذي أدى الى رواج الخطابة، وتقدمها على الشعر، ترفعًا عمَّا يتناول في بعض الأشعار، فأصبح لكل قبيلة خطيب مختص بها، وقد اشتهرت أشراف القبائل بالخطابة وكثر استعمالها في الحثِّ على القتال والإصلاح والوفادة على الأمراء والملوك بقصد الاستمالة والتأثير في النفوس[1]، وعليه قد ساهمت الخطابة مساهمةً فاعلةً في التثقيف والتعريف بأمجاد ومآثر وأنساب كل قبيلة ونستطيع القول بأنَّها كانت تمثل واجهة إعلامية مهمة بنطاق ضيِّق يتحدد بأبعاد القبيلة، أمَّا في عصر الاسلام فقد لعبت الخطبة دورًا إعلاميًا متميزًا، واحتلت المرتبة الأولى في وسائل الإعلام التي أعتمدها صاحب الشريعة، إذ انبرى (صلى الله عليه وآله وسلم) خطيبًا حين صدع برسالة ربه مبشرًا ومنذرًا، فتصدّى النص الديني (قرآنًا وسنةً) إلى تهذيبها وأُسلوب الشريعة المهذّب، مع توجيهها وأهداف الرسالة الرحبة، فوظِفَت لنشر رسالة الإسلام، والتعريف بالمبادئ الحقة، وإقناع الناس بتلك المبادئ والتأثير فيهم واستمالتهم باتجاهها، مع تقديم الأسلوب الخطابي القرآني والنبوي نماذج للاقتداء والاقتفاء، وقد عُبِّرَ عن أهميتها ودورها المتجدد بالقول بأنَّها (ستظل أداة قيمة من أدوات الإعلام لايمكن الاستغناء عنها أو زحزحتها عن مكانتها الكبيرة بين الوسائل الإعلامية الأخرى)[2].

(١) ينظر: الخطابة واعداد الخطيب، الشيخ علي محفوظ: ٢١-٢٢.

(٢) ينظر: الخطابة واعداد الخطيب، عبد الجليل عبده شلبي: ١٣ وما بعدها.

ثالثًا/ عناصر العملية الإعلامية:

العملية الإعلامية عبارة عن منظومة مؤلفة من مجموعة من العناصر، وعناصر العميلة الإعلامية خمسة بإجماع العلماء[1]، سنُعرِّف بها موجزًا على أن يتم تفصيل الكلام فيها، والعلاقة فيما بينها، وعوامل النجاح في كل منها في (الباب الثاني، الفصل الأول (إن شاء الله تعالى)) .

١.المرسل للرسالة الإعلامية ٢. الرسالة الإعلامية ٣. الوسيلة التي تقوم بنقل الرسالة ٤.المتلقي أو المستقبل للرسالة الإعلامية ٥.الأثر أو رجع الصدى.

* **المرسل أو القائم بالاتصال:** ويقصد به الجهة التي تصدر عنها المعلومات، وهو العنصر الأساس في العملية الإعلامية وقد يكون المرسل شخصًا أو جهة، ويشمل كل من يشترك في إعداد الرسالة الإعلامية، وبمقدار إيمان صاحب الرسالة برسالته، يقاس التأثير على المتلقي، بالإضافة إلى ما يحوزه من صفات، ومؤهلات تمكنه من ذلك كامتلاكه لغة طلقة، ومنطقًا سليمًا، يساعده على الإقناع، وبلاغة في صياغة المعلومات وعرضها لكي تصل إلى المتلقي بأحسن صورة، وعرض المعلومات بصورة مترابطة، بالإضافة الى الإلمام والإحاطة بجميع المعلومات المتعلقة بموضوع الرسالة.

* **الرسالة:** ويقصد بها الفكرة أو الحقيقة التي تحويها الرموز والعبارات والمطلوب ايصالها إلى جمهور المتلقين، ويتم التعبير عنها رمزيًا باللغة المنطوقة أوغير

(١) ينظر: الإعلام الإسلامي في مواجهة الإعلام المعاصر بوسائله المعاصرة، عبد الله قاسم الوشلي: ٢٧.

المنطوقة، (وحتى تصل الرسالة إلى المتلقي لابُدَّ أن تمر بمراحل ثلاث هي[١]:

١. تخطيط المعنى: حيث تأتي الفكرة إلى الشخص القائم بالاتصال، مقتنصًا إياها من المجتمع وقضاياه أو غير ذلك.

٢. تحويل المعنى إلى رموز: وتعني صياغة الفكرة في صورة معينة حتى تخرج إلى المتلقي.

٣.أرسال الرسالة إلى المتلقي بعد أن تكون قد وصلت إلى مرحلتها النهائية.

الوسيلة : وهي الأداة التي يتم عن طريقها نقل الرسالة من المرسل إلى المتلقي، واختلفت الوسائل مع اختلاف الأزمنة، ومتطلبات كل عصر ولكي تصل الرسالة على النحو الأفضل يتعين على المرسل اختيار الوسيلة الأكثر انتشارًا والأكثر جذبًا للمتلقين .

* **المتلقي**: وهو الجمهور الذي يتلقى الرسالة ويتأثر بها ويتفاعل معها وهو الهدف المقصود من العملية الإعلامية، وإنَّ دراسة خصائص المتلقي وظروفه يلعب دورًا مهمًا في التأثير والاستجابة علمًا أنَّه ليس بالضرورة أن يستجيب الجمهور ويتفاعل مع محتوى الرسالة دائمًا.

* **الأثر**: ويطلق عليه رجع الصدى أو التغذية الراجعة وهو ردة فعل المتلقي على الرسالة، وعن طريقه يقاس مدى فهم الجمهور للرسالة، واستجابته لها وهو المطلوب من العملية الإعلامية.

(١) ينظر: مدخل إلى الإعلام والرأي العام، د. محمد عبد الملك المتوكل:١٧.

رابعًا/ أهداف الإعلام:

يعرف الهدف لغة بأنه: (كل شيء عظيم مرتفع، ... ومنه سمي الغرض من الشيء هدفًا)[١]، فالهدف هو القصد من الشيء وغايته، واصطلاحًا: (هو النتيجة المبتغاة من عمل تروم القيام به، أو هو نهاية عملية لبداية نظرية)[٢]، إما الهدف الاعلامي: (فهو الغاية النهائية التي يروم الاعلامي تحقيقها من وراء نشاطه الإعلامي، أو هو الغرض الذي يريد الإعلامي الوصول إليه من خلال رسالته الإعلامية، أو هو الأثر الذي يريد تركه في الفرد والمجتمع اللذين وجه إليهما رسالته)[٣]، وقد برزت للإعلام الاسلامي أهدافًا متعددة، بتعدد النواحي والشؤون التي تبنَّى معالجتها، وسنقتصر في الكلام على الأهداف المقروءة والمُضَمَنة داخل النصوص الولائية موضوع الدراسة وهي[٤]:

١- الهدف العقائدي : ويتضمن تبليغ الدعوة وبيان العقيدة صافية نقية، لترسيخها في نفوس المتلقين، ورد الشبهات المعروضة من لدن المناوئين لصد الآخرين من الوصول إليها.

٢- الهدف السياسي: ويتمثل بالتوجيه والإرشاد والنصح والمشورة، والتسديد والإصلاح، وتوثيق العلاقة وتنميتها بين الحاكم والأمة على

(١) لسان العرب، فصل الهاء/ مادة هدف: ٩/ ٣٤٦.

(٢) الاعلام الاسلامي، مفهومه، مشروعيته ضوابطه، عادل السيد محمد علي: ٢٣.

(٣) المنهجية في تحصيل الخبرة الإعلامية، سلسلة تدريبية للمجاهد الإعلامي، تحت شعار نحو ترشيد الاعلام الجهادي وأداء إعلامي متميز، الحلقة الثامنة، أهداف الاعلامي المسلم، مؤسسة الفرقان: ٩-١٠، الاعلام الاسلامي، مفهومه، مشروعيته ضوابطه، عادل السيد محمد علي:٢٣.

(٤) ينظر: الإعلام الاسلامي في مواجهة الإعلام المعاصر بوسائله المعاصرة:٤٠-٤١ .

أساس من العدل والطاعة والالتزام، والرعاية لمصالح الأمة.

٣- الهدف العسكري والجهادي: ويتجلى بالتوعية والاستنفار ورفع الروح المعنوية في صفوف المجاهدين، واشاعة الحرب النفسية في الأعداء المحاربين، وكذلك كشف المخططات، وفضح المؤامرات، والاسهام في التعبئة العامة، والإعداد الشامل من الناحية الفكرية والمعنوية والروح القتالية.

ونستطيع القول أنَّ خصوص هذه الأهداف قد أُبرزت بجلاء في الرسالة الإعلامية النسوية في صفِّين، فالمتفحص للنَّص (موضوع الدراسة) يجد أنَّ هناك تنويعًا واضحًا في الهدف الإعلامي داخل النَّص الولائي الواحد منسجمًا والظرف العام للنَّص، وهو معركة صفّين ذلك العنوان المنطوي على التخالف العقدي، والاختلاف السياسي، والمستدعي تفعيل النصرة جهادًا في الميدان، وتبعًا لذلك فقد وظّفت نسوة صفِّين الولائيات طاقاتهن في إغناء تلك الجوانب ضمن الرسالة الإعلامية في النَّص الولائي، إذ تم إبراز الجانب العقدي، وإيصال المبادئ الحقة وترسيخها في نفوس المتلقين، فَتَصَدَّينَ لرد الضلالات والأكاذيب المُرَوَجَة من لدن جبهة العدو الباغي، وساهمنَ أيضًا في تبني الطرح السياسي، بملاحظة أنَّ ظرف النُّصوص هو المعركة ولأن المعارك عادة ما تكون نتاج اختلاف في سياسات الأطراف المتنازعة - بغض النظر عن أصول تنازعها- فيظهر الهدف السياسي جليًا في طرح المتكلم المتبني لسياسة بعينها، ووظِّف هذا الهدف ببيان سبب الصراع، وكشف المخططات، وفضح المؤامرات التي اتخذها العدو سياسة ومنهجًا في المواجهة، وأيضًا توجيه أجناد جبهة الحق بالالتفاف حول أمير المؤمنين (صلوات الله

وسلامه عليه) بوصفه قائدًا لهذه الجبهة، وحاكمًا تجلَّت فيه معاني العدل، ورعاية شأن الأمة وإصلاحها، كما وقد ألهبن ميدان الحرب حماسة وتحريضًا، إذ انسابت من قرائحهن عبارات التعبئة المتضمنة روح التغيير والثبات على المبدأ والإعداد المعنوي والنفسي والفكري للمجاهدين، والإسهام بقدر مهم في محاربة العدو نفسيًا، وتثبيط همته القتالية وعزيمته في الملاقاة.

ولو أمعنا النظر في هذه الأهداف من جهة، والطرف الذي كانت تثقف له هذه الشخصيات (موضوع الدراسة) في المعركة، وما كانت تتبناه من عقيدة من جهة ثانية، وأساس هذه العقيدة من الكتاب والسنة من جهة ثالثة؛ نجد أنَّ مدار كل هذه الجهات، والقطب الذي تدور حوله هو الولاء أو الولاية، فممارسة النسوة في صفِّين بعملية تزويد المتلقي بالحقائق الثابتة الدافعة باتجاه رفع المعنويات للمجاهدين، والتحريض على ملاقاة الاعداء، تعد نشاطًا إعلاميًا من جهة، ومن جهة أخرى أنَّ هذا النشاط قد اعتمد على مادة الولاء لأمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) في التثقيف، لذا فقد وسمت تلك الممارسة من لدن النسوة في ميدان صفِّين بالإعلام الولائي.

خامسًا/ الإعلام الولائي:

إِنَّ مصطلح الإعلام الولائي متقوم بكل من مفهومي الإعلام والولاء، وقد مرَّ معنا تعريف مفهوم الإعلام وقيوده، فأصبح من المهم التعريج على بيان موجز لمفهوم المقوِّم الآخر لهذا المصطلح وهو الولاء.

فالولاء (لغةً): (مصدر واليت بَين الشَّيْئَيْنِ مُوالَاة وَوَلَاء. وَالْوَلَاء: مصدر

مولى بَين الْوَلَاء. وَالْولَايَة: الْإِمَارَة. وَالْوَلِيّ: خلاف الْعَدو[١]، والواو واللام والياء أصل صحيح يدل على قرب،... من ذلك الوَلْيِ: القرب،...، وَفُلَانٌ أَوْلَى بِكَذَا، [أَيْ أَحْرَى بِهِ وَأَجْدَرُ]، ... والوِلاء : الموالون، يقال هؤلاء ولاء فلان، والباب كله راجع الى القرب[٢]، والمَوالي من أهل بيتِ النّبيّ (صلى الله عليه وآله وسلّم) من يحرم عليه الصّدقة ... والوالي المعتق والحليف، والولي والموالاة: اتخاذ المولى[٣]، والولاء والتوالي: أن يحصل شيآن فصاعدًا حصولًا ليس بينهما تباعد، ويستعار ذلك القرب من حيث المكان، ومن حيث النسبة، ومن حيث الدين، ومن حيث الصداقة والنصرة والاعتقاد، والولاية : النصرة، وتولي الأمر)[٤] .

وممَّا تقدَّم يتبين أنَّ المعنى اللغوي للولاء يشير الى مطلق القرب وينسحب إلى المعاني التي يتحقق فيها قربًا سواءً أكان ماديًا كالمكان أم معنويًا، كالصداقة، والدين والاعتقاد، ولذلك استعمل الولاء في اللغة لإرادة معنى المحبة والنصرة والاتباع،..

أما مفهوم الولاء أو الولاية شرعًا (في الفكر الشيعي الإمامي): هو الاعتقاد بأحقية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (صلوات الله وسلامه عليه) بوجوب الاتباع والنصرة من غيره، وثبوت هذا الحق من بعده لأبنائه

(١) جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، مادة ولي: ١/ ٢٤٦.
(٢) معجم مقاييس اللغة، مادة ولي: ٦/ ١٤١-١٤٢.
(٣) كتاب العين: ٨/ ٣٦٥.
(٤) المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني: ٨٨٥.

المنصوص عليهم[١]، ومستند هذا الاعتقاد النصوص الدينية من كتاب وسنة في وجوب هذا الإتباع بحقهم، إضافة إلى الأدلة العقلية الحاكمة بذلك، وسنورد دليلًا واحدًا من القرآن وآخر من السنة في الزام المسلمين بولاية أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه)، فالقرآني، قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ (المائدة: ٥٥)، إذ (إنَّ الوصف المذكور في الآية الشريفة «الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ ويُؤْتُونَ الزَّكاةَ وهُمْ راكِعُونَ» قد اتّفق جميع المفسّرين أنّها نزلت في عليّ بن أبي طالب (عليه السّلام) حين تصدّق بخاتمه في الصلاة راكعًا، وقد تواترت بذلك الأخبار من الطرفين[٢]، ووجه الاستدلال من الآية أَنَّ معنى «وليكم» في الآية من كان مستحقا للأمر، وأولى القيام به وتجب طاعته، وثبت أيضا أن المراد بـ (الذين آمنوا) أمير المؤمنين (عليه السلام)، وإذا ثبت الأمران ثبتت إمامته (عليه السلام)... [٣]، وقد وثَّقَ حسان بن ثابت هذا المعنى شعرًا فقال[٤]:

(١) كقول النبي للسائل عن الأئمة من بعده (بعدد حواريّ عيسى وأسباط موسى ونقباء بني اسرائيل، فقيل له فكم كانوا قال: اثنا عشر والأئمة بعدي اثنا عشر أولهم علي بن أبي طالب، وبعده سبطاي الحسن والحسين، فإذا انقضى الحسين فابنه علي، فإذا انقضى علي فابنه محمد، فإذا انقضى محمد فابنه جعفر، فإذا انقضى جعفر فابنه موسى، فإذا انقضى موسى فابنه علي، فإذا انقضى علي فابنه محمد، فإذا انقضى محمد فابنه علي، فإذا انقضى علي فابنه الحسن، فإذا انقضى الحسن فابنه الحجة، ثم قال هم الأئمة بعدي وإن نهروا أُمناء معصومون نجباء أخيار) كفاية الأثر، الخزاز القمي:١٧-١٨.

(٢) مسالك الأفهام إلى آيات الأحكام، الجواد الكاظمي:٢٣٩.

(٣) الاقتصاد، الشيخ الطوسي: ١٩٨.

(٤) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب: ٢/ ٢١١.

علي أمير المؤمنين أخو الهدى وأفضل ذي نعل ومن كان حافيًا

وأول من أدى الزكاة بكفه وأول من صلى ومن صام طاويًا

فلما أتاه سائل مد كفه إليه ولم يبخل ولم يك جافيًا

فدس إليه خاتما وهو راكع وما زال أواهًا إلى الخير داعيًا

فبشَّر جبريل النبي محمدًا بذاك وجاء الوحي في ذاك ضاحيًا

وفي السُّنة الشريفة نذكر حديثًا عن ابن عباس عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنَّه قال: (ولاية علي بن أبي طالب ولاية الله، وحبه عبادة الله، واتباعه فريضة الله، وأولياؤه أولياء الله، وأعداءه أعداء الله، وحربه حرب الله، وسلمه سلم الله (عزَّ وجلَّ))[1].

ومما ذُكِر يتضح معنى الولاء والولاية، وهو الإعتقاد المبني على الأدلة النقلية، والعقلية في وجوب الطاعة، والإتباع، والنصرة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (صلوات الله وسلامه عليه) ومن يمثله من بعده، وعليه فإنَّ كل ممارسة تتحقق فيها قيود هذا المفهوم وتُبرز هذا الإعتقاد الى الخارج مفَعَّلًا بهيئة من قول، أو فعل فإنَّها تدخل تحت مظلة مفهوم الولاء، وعليه يمكن بيان مفهوم الإعلام الولائي بملاحظة كل من تعريفي الإعلام والولاء بإضافة:

الإعلام الولائي: هو تزويد الجمهور المتلقي بالحقائق الثابتة، والمعلومات الصائبة المستندة في الحجية على كل من النُّصوص الدينية من (كتاب أو سنة)،

(١) الأمالي، الشيخ الصدوق: ٨٥، روضة الواعظين، الفتال النيسابوري: ١٠١.

والأدلة العقلية، حول أحقية أولياء الله تعالى بالطاعة، والإتباع، والنصرة من غيرهم، على وفق منهجية موضوعية، بهدف خلق إقناع وتأثير لدى المخاطبين يتصاعد إلى استجابة وموقف. وإذا أضفنا قيد الحربي للمفهوم المتناسب والوظيفة النسوية (موضوع الدراسة)، معناه قد قُيِّد ظرف مهمة هذا النوع من الإعلام بالحرب.

ونستطيع القول بأنَّ غاية الإعلام الولائي هو التثقيف العام باتجاه ولاية أمير المؤمنين (عليه السلام) سواء أكان على مستوى الاعتقاد (الولاية)، أم على مستوى التفعيل الخارجي لهذا الإعقاد بهيئة نصرة، واتباع خارجيينِ (التولي) .

والدعوة إلى تفعيل دور الإعلام الولائي القاضي بنشر فضائل أُس الولاية الأعظم أمير المؤمنين (عليه السلام) له ما يسنده ويدعمه من الأثر الروائي، وممَّا ورد بهذا المضمون عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في فضل من يذكر أو يكتب أو يستمع أو ينظر إلى فضائل أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه)، إذ قال (صلى الله عليه وآله وسلم): (إن الله تبارك وتعالى جعل لأخي علي بن أبي طالب فضائل لا تحصى كثيرة؛ فمن ذكر فضيلة من فضائله مُقِرًّا بها، غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ومن كتب فضيلة من فضائله لم تزل الملائكة تستغفر له ما بقى لتلك الكتابة رسم، ومن استمع فضيلة من فضائله غفر الله له الذنوب التي اكتسبها بالاستماع، ومن نظر إلى كتاب فيه فضيلة من فضائل علي (عليه السلام) غفر الله له الذنوب التي اكتسبها بالنظر، ثم قال النظر إلى علي (عليه السلام) عبادة، وذكره عبادة، ولا يقبل الله إيمان عبد إلّا بولايته، والبراءة من أعدائه)[1]، ويمكن أن نقرأ من هذا الحديث الشريف الآتي :

(١) الأمالي، الشيخ الصدوق: ٢٠١، المناقب، الموفق الخوارزمي:٣٢، كشف اليقين، العلامة الحلي: ٤.

أولًا: بيان رفعة منزلة ومقام أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) عندما وصف النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) فضائله بأنَّها (لا تُحصى)، حتى مع فرض تظافر الإمكانات وتعاظمها، فعن ابن عباس عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «ولو أنَّ الغياضَ أقلامٌ، والبحرَ مدادٌ، والجنَّ حسابٌ والإنسَ كُتاب، ما أحصَوا فضائلَ عليَّ بن أبي طالب (عليه السلام)»[١]، ونُقِل القول عن أحمد بن حنبل، وإسماعيل بن إسحاق القاضي، وأحمد بن شعيب بن علي النسائي وأبو علي النيسابوري أنَّه: لم يُروَ في فضائل أحدٍ من الصحابة بالأسانيد الحسان ما رويَ في فضائلِ عليٍّ بن أبي طالب (عليه السلام)[٢]، لذا فلا عجب أنَّ مقامه (صلوات الله وسلامه عليه) لا يُدرك.

ثانيًا: وجّه (صلى الله عليه وآله وسلم) باتجاه الإعلام الولائي عن طريق بيان أساليب التعاطي مع هذه الفضائل (الذكر مع الإعتقاد، الكتابة) وهي من وظائف القائم بالإرسال، (القراءة، الاستماع) وهي من وظائف المتلقي أو الجمهور.

ثالثًا: وعد (صلى الله عليه وآله وسلم) كل من يتعاطى مع هذه الفضائل، مرسلًا، أو متلقيًا بمراتب من الغفران، أعلاها في الذكر مع الاعتقاد، فإنَّه يستوجب غفران الذنب مطلقًا ما تقدّم منه وما تأخر، ولا غرابة من هذا الكم والتنوع في الأجر، لارتباط هذا الأفعال (ذات البعد الإعلامي) بهداية

---

(١) مناقب الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)، محمد بن سليمان الكوفي: ١/ ٥٥٧، كنز الفوائد، أبي الفتح الكراجكي: ١٢٩، المناقب: ٣٢.

(٢) ينظر: مائة منقبة، محمد بن أحمد بن علي بن الحسن القمي (ابن شاذان): ٤، ينظر: الاستيعاب، ابن عبد البر: ٣/ ١١٤، ينظر: الرياض النضرة في مناقب العشرة، أبي جعفر أحمد (المحب الطبري): ٣/ ١٨٧.

الناس نحو الدين الحق، حيث الولاية المقوِّمة له، التي بها يُقبل الدين وبدونها يكون الرد والخسران.

رابعًا: من الملاحظة الأولى لهذه الرواية الشريفة، يتبادر إلى الذهن مدى العناية الإلهية، والاهتمام النبوي باتجاه التثقيف بفضائل أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) ونشرها بأيِّ وسيلة متاحة، وهذا ما يتناسب ومحورية الولاية في الدين أولًا، وما ستتعرض له تلك الفضائل من محاولات انتحال، أو اخفاء فيما بعد من لدن حكام الجور ووعّاظهم المأجورين ثانيًا، ويقرأ من ذلك بأنَّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أراد توجيه معالجة استباقية لفعل العدو وتهيئة المؤمنين (إعلاميًا) لمواجهة حملات الدس والتضييع والتحريف للحفاظ على جوهر الدين، والخروج بأقل نسبة ممكنة من الخسائر بزمن متقدم على الحدث، وقد نجح (صلى الله عليه وآله وسلم) بحملاته التعبوية التحشيدية هذه أيّما نجاح، إذ ساهمت توجيهاته (صلى الله عليه وآله وسلم) في تحصيل النتيجة التي عبَّر عنها محمد بن إدريس الشافعي (إمام الشافعية) قائلًا: (عجبت لرجل كتم أعداؤه فضائله حسدًا، وكتمها محبوه خوفًا، وخرج ما بين ذين ما طبق الخافقين)[1]، فكان للإعلام الولائي دورًا مهما جدًا في اظهار تلكم النفائس الولائية العلوية على مرِّ العصور.

سادسًا/ (الحب والبغض في الله) سنة الهية :

احتل عنوان الولاء لأمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) والبراء من عدوه في الدين الخاتم رتبة المصداق الأبرز، للسُنَّة الإلهية العامة في الخلق

(١) الروضة في فضائل أمير المؤمنين (عليه السلام)، شاذان بن جبرئيل القمي (ابن شاذان): ١٩.

التي رافقت الرسالات الإلهية على تعاقبها بوصفها إلزام الهي حافظ للأديان، وهي سنة الحبِّ في الله بتولي أوليائه، والبغض في الله بمعاداة أعدائه والبراءة منهم، وقد أجمع المسلمون على أنَّ الله تعالى فرض عداوة أعدائه وولاية أوليائه، وعلى أنَّ البغض في الله واجب والحب في الله واجب[1]، وسنستعرض منتخب من الآيات الكاشفة عن تلك السنة الإلهية في الخلق:

* قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(المجادلة:٢٢).

* وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ﴾ (الممتحنة:١).

* وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (النساء:١٤٤).

أمَّا الروايات الشريفة المتضمنة بيان أهمية تلك السُنَّة، ومحوريتها في تحقق الإيمان عند المنتمين إلى دائرة الدين فننتخب منها:

* روي أنَّ الله تعالى قال لموسى (عليه السلام): (هل عملت لي عملًا

(١) ينظر: الإيضاح، الفضل بن شاذان الأزدي: ٥٠٨، ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٢٠/ ١٣.

قط؟ قال: صليت لك وصمت (وتصدقت) (وذكرت لك) قال الله تبارك وتعالى: أما الصلاة فلك برهان، والصوم جُنَّة، والصدقة ظل، والذكر نور، فأي عمل عملت لي؟ قال موسى (عليه السلام): دُلَّني على العمل الذي هو لك قال: يا موسى هل واليتَ لي وليًّا (وهل عاديتَ لي عدوًا قط؟)، فعلم موسى أنَّ أفضل الأعمال الحبُّ في الله، والبغض في الله)[١].

* وورد عن نبينا (صلى الله عليه وآله وسلم) أنَّه قال: (أوثق عُرى الإيمان الحب في الله، والبغض في الله، والولاية لأولياء الله، والعداوة لأعداء الله)[٢].

* وقوله (صلى الله عليه وآله وسلم) لأصحابه: (أي عُرى الإيمان أوثق؟ فقالوا: الله ورسوله أعلم، وقال بعضهم: الصلاة، وقال بعضهم: الزكاة، وقال بعضهم: الصيام، وقال بعضهم: الحج والعمرة، وقال بعضهم: الجهاد، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): لكل ما قلتم فضل وليس به، ولكن أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله وتولي أولياء الله والتبري من أعداء الله (عزَّ وجلَّ))[٣].

* وقوله (صلى الله عليه وآله وسلم): من أحب أعدائنا فقد عادانا ونحن منه بُراء والله عزّ و جلّ منه برئ)[٤].

* وعن جعفر بن محمد الصادق (عليهما السلام)، قال: من جالس لنا

(١) الدعوات (سلوة الحزين)، قطب الدين الراوندي: ٢٨.
(٢) المقنعة، الشيخ المفيد:٣٣.
(٣) معاني الأخبار، الشيخ الصدوق: ٣٩٨-٣٩٩.
(٤) أسس النظام السياسي عند الإمامية، الشيخ محمد السند: ١٥٥.

عائبًا، أو مدح لنا غاليًّا، أو واصل لنا قاطعًا، أو قطع لنا واصلًا، أو والَ لنا عدوًا، أو عاد لنا وليًّا، فقد كفر بالذي أنزل السبع المثاني والقرآن العظيم)[1].

وممّا تقدم يتضح أنَّ مسألة الحب في الله والبغض في الله ليست أمرًا مستحدثًا ومبتدعًا في الدين من لدن الشيعة الأبرار في تولي أولياء الله تعالى وفي مقدمتهم أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه)، والبراءة من أعداء الله وفي مقدمتهم أعداء أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه)؛ بل هي سُنَّة الهية ثابتة، وجارية ومؤيَّدة بالدليل الشرعي فضلًا عن الدليل العقلي هذا أولًا، وثانيًا أنَّ هذه المسألة ليست أمرًا ترفيًّا أو ثانويًّا، بحيث يمكن الاستغناء عنه تحت عناوين الوحدة،والتآلف والمجاملات من دون ترتب أثر على ذلك؛ بل هي مسألة غاية في الأهمية والخطورة، إذ نصَّ بعضُ ما تقدَّم من الروايات على إنَّها أوثق عُرى الإيمان، وبها تتحقق حقيقة الإيمان كما دلَّ بعضها الآخر، فالإعلام الولائي بوصفه وظيفة مندوب إليها شرعًا كما مرَّ في رواية فضائل أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) يندرج تحت هذا العنوان الواسع، إذ به يتم التثقيف لأولياء الله تعالى تحصيلًا لمحبتهم وتوليهم ونصرتهم، وتعّرية أعداء الله تعالى تحصيلًا لبغضهم ومعاداتهم ومحاربتهم.

سابعًا/ الولاء في النص الروائي والأدبي:

حلّت لفظة الولاء مطرِّزة العديد من الروايات الشريفة الواردة عن المعصومين (صلوات الله وسلامه عليهم) على اختلاف أزمانهم، وتعكس كثرة ورودها في النَّص الروائي عن أهمية ما تحمله من معنىً مقوِّم للدين كما مرَّ، ومن النصوص

(١) الأمالي، الشيخ الصدوق: ١١١.

الروائية التي استعملت فيه لفظة الولاء نصًا أو معنى ننتخب:

١/ عن الزهراء (صلوات الله وسلامه عليها) مخاطبةً القوم من خلف الباب إذ قالت: (لا عهد لي بقوم أسوء محضرا منكم، تركتم رسول الله (صلى الله عليه وآله) جنازة بين أيدينا، وقطعتم أمركم فيما بينكم، ولم تؤمرونا ولم تروا لنا حقًا، كأنَّكم لم تعلموا ما قال يوم غدير خُم، والله لقد عقد له يومئذ الولاء ليقطع منكم بذلك منها الرجاء، ولكنكم قطعتم الأسباب بينكم وبين نبيكم، والله حسيب بيننا وبينكم في الدنيا والآخرة)[١].

٢/ عن الإمام الصادق (صلوات الله وسلامه عليه) قال لأحدهم: (..يا سهل، إنَّ لشيعتنا بولايتنا عصمة، لو سلكوا بها في لُجَّة البحار الغامرة، وسباسب البيداء الغائرة، بين سباع وذئاب، وأعادي الجن والإنس، لآمنوا من مخاوفهم بولايتهم لنا، فثق بالله (عزَّ وجلَّ)، وأخلص في الولاء لائمتك الطاهرين، وتوجه حيث شئت، واقصد ما شئت)[٢].

٣/ عن أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) قال :(أنا صراط الله المستقيم، وعروته الوثقى التي لا انفصام لها)، قال الشيخ المفيد أبو عبد الله (رحمه الله): الصراط في اللغة هو الطريق، فلذلك سمي الدين صراطًا، لأنه طريق إلى الصواب، [وله سمي] الولاء لأمير المؤمنين، والأئمة من ذريته (عليهم السلام) صراطًا، يعني: أنَّ معرفته والتمسك به طريق إلى الله سبحانه)[٣].

---

(١) الاحتجاج: ١/ ١٠٥، بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢٨/ ٢٠٥.

(٢) الأمالي، الشيخ الطوسي: ٢٧٧.

(٣) ينظر: تصحيح اعتقادات الإمامية، الشيخ المفيد: ١٠٨، بحار الأنوار: ٨/ ٧٠ .

بالإضافة على النَّص الروائي، كذلك قد كثر استعمال هذه اللفظة في النُّصوص الأدبية على اختلاف العصور، وأصبحت مادة مترجمة عن العقيدة الحقة، فراق الشعراء الموالون أن يزينوا بها قصائدهم، وراق أسماع المتلقين الموالين سماع النَّص المتضمن لها، وعلى رأس هذه النصوص ما سطّره أمير المؤمنين (عليه السلام) من أبيات مفاخرًا[1]:

محمد النبي أخي وصنوي ... وحمزة سيد الشهداء عمي

وجعفر الذي أضحى وأمسى ... يطيرمع الملائكة ابن أمي

وبنت محمد سكني وعرسي ... منوط لحمها بدمي ولحمي

وسبطا أحمد ولداي منها ... فأيكم له سهم كسهمي

سبقتكم إلى الإسلام طُرًا ... على ما كان من فهمي وعلمي

وأوجب لي الولاء معًا عليكم ... رسول الله يوم غديرخم

فويل ثم ويل ثم ويل ... لمن يلقى الإله غدًا بظلمي

ومن النُّصوص الأدبية نختار مقطوعات من شعر السيد الحميري (رضوان الله تعالى عليه) إذ قال[2]:

(١) الفصول المختارة، الشيخ المفيد: ٢٨٠ .

(٢) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب : ٢/ ٢١١.

وأول مؤمن صلّى وزكّـــى بخاتمه على رغم الكفـــور

وقد وجب الـــولاء له علينا بذلك في الجهاد وفي الضمير

وله أيضًا في قصيدته المعروفة بالمذهبة[١]:

خير البرية بعد احمد من لـه مـني الـولاء والـى بنيه تطربي

أمسى وأصبح معصما مني لـه يهوى وحبل هداية لم تقصب

ردت عليه الشمس لما فاته وقت الصلاة وقد دنت للمغرب

حتى تبلج نورها في وقتها للعصر ثم هوت هوى الكوكب

وأيضًا[٢]:

تعالـــوا ندع أنفسنا فندعـــو جميعًا والأهالـــي والبنينا

وأنفســكم فنبتهل ابتهـــالا إليه ليلعـــن المتكبرينا

فقد قـــال النبي وكان طبًا بما يأتي وأزكـــى القائلينا

إذا جحدوا الولاء فباهلـــوهم إلـــى الرحمن تأتوا غالبينا

(١) عيون المعجزات، حسين بن عبد الوهاب: ٣.

(٢) مناقب آل أبي طالب: ٣/ ١٤٤ .

ثامنًا/ الإعلام الولائي بدايته، وممارسوه:

ظهرت بدايات الإعلام الولائي -بعيدًا عن حداثة المصطلح- بوصفه ممارسة ووظيفة مبكرًا، إذ تزامنت البدايات وبزوغ فجر الدعوة الإسلامية، وقد تكفَّل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بهذه الوظيفة؛ كون متعلقها يُعَدُّ مرتكز أساس من مرتكزات العقيدة الإسلامية الضامنة لحفظ الرسالة وديمومتها، جاعلًا من نفسه المقدسة أسوة وقدوة، مستثمرًا كل مايمكن استثماره بهذا الاتجاه، متأدبًا بأدب الله تعالى، فكانت ولاية أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) حاضرة والانطلاقة الأُولى للدعوة، كما نصَّ على ذلك حديث الدار(حيث نزل الأمر الإلهي بقوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾، فدعا عليّاً (عليه السلام)؛ فأمره أن يصنع طعاماً، ويدعو له بني عبد المطلب ليكلمهم، ويبلغهم ما أُمِر به فصنع علي (عليه السلام) صاعاً من طعام، وجعل عليه رجل شاة، وملأ عساً من لبن، ثم دعاهم، وهم يومئذٍ أربعون رجلاً، يزيدون رجلاً، أو ينقصونه، فيهم أعمامه: أبو طالب، وحمزة والعباس، وأبو لهب، فأكلوا قال علي (عليه السلام) فأكل القوم، حتى مالهم بشيء من حاجة، وما أرى إلا موضع أيديهم، وأيُّم الله الذي نفس علي بيده، وإن كان الرجل الواحد منهم ليأكل ما قدمت لجميعهم ثم قال: اسق القوم؛ فجئتهم بذلك العس؛ فشربوا منه حتى رووا منه جميعاً، وأيُّم الله، إن كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله، فلما أراد رسول الله (صلّى الله عليه وآله) أن يكلمهم بدره أبو لهب فقال: لِقدْماً سحركم صاحبكم، فتفرق القوم، ولم يكلمهم الرسول (صلّى الله عليه

وآلـه)، فأمـر (صـلّى الله عليـه وآلـه) عليـاً في اليـوم الثـاني: أن يفعـل كـما فعـل آنفـاً، وبعـد أن أكلـوا وشربـوا قـال لهـم رسـول الله (صـلّى الله عليـه وآلـه): يـا بنـي عبـد المطلـب، إني والله مـا أعلـم شـاباً في العـرب جـاء قومـه بأفضـل ممـا قـد جئتكـم بـه، إني قـد جئتكـم بخـير الدنيـا والآخـرة وقـد أمـرني الله تعـالى أن أدعوكـم إليـه؛ فأيُّكـم يـؤازرني عـلى هـذا الأمـر عـلى أن يكـون أخـي، ووصيّ، وخليفتـي فيكـم، قـال: فأحجـم القـوم عنهـا جميعـاً، وقـال عـلي: أنـا يـا نبـي الله أكـون وزيـرك عليـه فأخـذ برقبتـي، ثـم قـال: إن هـذا أخـي، ووصي، وخليفتـي فيكـم؛ فاسـمعوا لـه وأطيعـوا ...)[1]، وبلفـظ آخـر: أنـه (صـلّى الله عليـه وآلـه) قـال: (هـذا أخـي ووصي وخليفتـي مـن بعـدي ...)[2]، واسـتمر الرسـول (صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم) عـلى نهجـه التبليغـي الإعلامـي إلى أُخريـات عمـره الشريـف، فـكان آخـر مـا بلّـغ بـه (صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم) يـوم الغديـر بعـد رجوعـه مـن حجـة الـوداع هـو ولايـة أمـير المؤمنـين، بممارسـة إعلاميـة كـبرى وبأعـلى مسـتوى حضـور مـن الصحابـة، فقـام رافعًـا بيـده يـد عـليٍّ صادحًـا في النـاس (ألا مَـن كُنـت مـولاه فهـذا عـليٌّ مـولاه، اللَّهـم والِ مَـن والاه، وعـادِ مـن عـاداه، وانـصر مَـن نـصره، واخـذل مَـن خذلـه)[3]، ولم يكتـفِ (صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم) بممارسـة هـذه الوظيفـة فحسـب؛ بـل وجّـه المسـلمين أيضًـا عـلى اختـلاف أزمنتهـم وأمكنتهـم وأحوالهـم بممارسـتها كـمَّا مـرَّ في روايـة الفضائـل،

(١)) تاريخ الطبري، محمد بن جرير الطبري: ٢/ ٦٣.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٣ / ٢٤٤.

(٣) ينظر: معاني الأخبار: ٦٧، ينظر روضة الواعظين: ٨٩ وما بعدها .

مـورِدًا توجيهـه هـذا عـلى نحـو القضيـة الحقيقيـة المنطقيـة[١]، إضافـة إلى العديـد مـن الروايـات الشريفـة التـي تـبرز هـذا النحـو مـن الإعـلام وتحـث عليـه، الموثقـة مـع أحـداث الرسـالة المختلفـة في الحقبـة الزمنيـة المتوسـطة مـا بـين بـدء الدعـوة وأخـر تبليـغ نبـوي، وعليـه قـد أسّـس (صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم) بذلـك منهجًـا إعلاميًـا ولائيًّـا سـار عليـه أهـل بيتـه (صلـوات الله وسـلامه عليهـم)، وخُلَـص صحابتـه، وقدّمـوا في سـبيله التضحيـات الكبـيرة، لتـأتي النوبـة بعـد ذلـك الى كل منصـف، سـواء أكان مسـلمًا قـد لامـس الإيـمان قلبـه، ويكـون لـه برسـول الله وأهـل بيتـه (صلـوات الله عليهـم) أسـوة حسـنة في اقتفـاء الأثـر والسـير عـلى النهـج في ممارسـة هـذا النـوع مـن الإعـلام، أم غـير مسـلم قـد لامسـت الموضوعيـة فكـره فسـار عـلى نهـج موضوعيتـه مقتفيًـا أثـر الإنسـانية، مُزيّنًـا سـطور كلماتـه بفضائـل المـولى التـي تنبـض كـمالًا وجمـالًا، ومـن الشـواهد التاريخيـة عـلى ممارسـة الإعـلام الولائـي مـا قـام بـه ثُلـة مـن أصحـاب رسـول الله (صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم) بُعيـد استشـهاده، وتقمّـص القـوم لمقـام أمـير المؤمنـين (صلـوات الله وسـلامه عليـه)، إذ بـرزوا بوصفهـم إعلاميـين مـن الطـراز الأول، مسـتغلين تجمهـر النـاس في المسـجد مـن يـوم الجمعـة، يسـوقون الحُجـج بأبلـغ بيـان، مُذكِّريـن القـوم بـما عرفـوا مـن الحـق، ومَغبـة عدولهـم عنـه، ومسـتعظمين ارتقـاء أبي بكـر بـن أبي قحافـة منـبر رسـول الله(صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم)، وقـد وُثِّقَـت أسـماؤهم ونُّصـوص مقالاتهـم (وهـم إثنـا عـشر رجـلًا،

(١) بمعنى أن الموضوع في هذه القضية موجود في نفس الأمر والواقع أي أن الحكم يكون على الأفراد المحققة الوجود والمقدرة الوجود معا، فكل ما يفرض وجوده وإن لم يوجد أصلا فهو داخل في الموضوع ويشمله الحكم، المنطق، الشيخ محمد رضا المظفر: ١٦٦.

ستة من المهاجرين وستة من الأنصار، من المهاجرين: أبو ذر الغفاري، سلمان الفارسي، خالد بن سعيد بن العاص، المقداد بن الأسود، بريدة الأسلمي، عمار بن ياسر، ومن الأنصار : خزيمة بن ثابت، سهل بن حنيف، أبو الهيثم [بن] التيهان، قيس بن سعد بن عبادة الخزرجي، أُبَي بن كعب، أبو أيوب الأنصاري، وكان أول من تكلّم يوم الجمعة خالد بن سعيد بن العاص فقال: يا أبا بكر! أذكرك قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم قريظة: (يا معشر قريش! احفظوا وصيتي؛ أن عليًّا إمامكم بعدي، بذلك أنبأني جبرئيل (عليه السلام)عن ربي عزَّ ذكره، إلا إنّكم إن لم تؤتوه أموركم اختلفتم، وتولى عليكم أشراركم، ألا إن أهل بيتي هم الوارثون لي، والقائمون من أمتي، اللَّهُم من أطاعهم فثبته، ومن نصرهم فانصره، ومن خالف أمري وأقام إماما لم أقمه وترك إماما أقمته ونصبته فأحرمه جنتك، والعنه على لسان أنبيائك)، أتعرف هذا القول يا أبا بكر؟ قال: لا، ثم قال له عمر: اسكت! فلست من أهل المشورة، فقال: بل اسكت أنت يا ابن الخطاب! فإنك تنطق بغير لسانك، وتفوه بغير فوك، وإنك لجبان في الحرب، ما وجدنا لك في قريش فخرًا، ثم قام أبو ذر فقال: يا معشر قريش! قد علم خياركم أنَّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: (هذا الأمر لعليٍّ بعدي ولولده من بعده) فلم تتركون قوله، وتخالفون أمره؟ أنسيتم أم تناسيتم، أو ضللتم واتبعتم الدنيا الفانية، رغبة عن نعمة الآخرة، حذو من كان قبلكم حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة، فعما قليل ترون غب رأيكم، وترون وبال أمركم وما الله يريد ظلما للعباد، ثم قام سلمان فقال: يا أبا بكر! إلى من تستند أمرك إذا الموت نزل بك، وإلى من

تفزع إذا سئلت عن أحكام الأمة عما لا تعلم؟ أتكون إمامًا لمن هو أعلم منك، قدّم من قدمه الله وقدمه رسول الله في حياته، وأوعز إليه فيك وقت وفاته، أنسيت قوله وما تقدم من وصيته أنه لا ينفعك إلَّا عملك ولا تحصل إلا على ما تقدم، فإن رجعت نجوت، فقد سمعت ما سمعنا، وأنكرت و أقررنا، فترد ونرد وما الله بظلام للعبيد، ثم قام المقداد فقال: يا أبا بكر ارجع على غمك، ويسّر يسرك بعسرك، وألزم بيتك، واردد الأمر إلى حيث جعله الله ورسوله، وسلم الحق إلى صاحبه، فإن ذلك أسلم في آجلك وعاجلك، فقد نصحت وبذلت ما عندي والسلام، ثم قام بريدة الأسلمي فقال: يا أبا بكر! أنسيت أم تناسيت ؟ أم خادعتك نفسك فإن الله خادعك، ألم تعلم أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أمرنا فسلمنا عليه بإمرة المؤمنين والرسول فينا، فالله الله في نفسك! أدركها قبل ألا تدركها وأبعدها من هلكها، ورد هذا الأمر إلى من هو أحق به منك، ولا تتماد في غيك فتهلك بطغيانك، وما الله بغافل عمَّا قصدت، إلا إننا ننصح لك ولن نهدي من نحب ولكن الله يهدي من يشاء، ثم قام عمّار بن ياسر فقال: يا أبا بكر! لا تجعل لنفسك حق غيرك فقد أول من عصا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وأنت تجازي بعملك، فانصح لنفسك أو دع، فكل نفس بما كسبت رهينة، ثُمَّ قام قيس بن سعد بن عبادة فقال: يا معشر قريش! قد علم خياركم أنَّ أهل بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أحق بمكانه في سبق سابقة، وحسن عناء، وقد جعل الله هذا الأمر لعليٍّ بمحضر منك وسماع أذنيك، فلا ترجعوا ضُلّالًا فتنقلبوا خاسرين، ثم قام خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين فقال: ألست تعلم يا أبا بكر أن رسول الله (صلى الله

عليه وآله وسلم) قبل شهادتي وحدي؟ قال بلى، قال فإنِّي أشهد بما سمعته منه وهو قوله: (إمامكم بعدي علي لأنه الأنصح لأمتي والعالم فيهم)، ثم قام أبو الهيثم بن التيهان فقال: أنا أشهد أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أقام عليًّا فقال: (إن أهل بيتي يتقدمونكم ولا تتقدموا عليهم) وفي قوله كفاية، ثم قام سهل بن حنيف فقال: أشهد على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال : (أهل بيتي فرق بين الحق والباطل، وهم الأئمة يقتدي بهم أمتي)، وتكلّم أُبي فقال: أشهد أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (علي بن أبي طالب إمامكم بعدي وهو الناصح لأمتي)، ثم قام أبو أيوب الأنصاري فقال اتق الله، وردوا الأمر إلى أهل بيت نبيكم فقد سمعتم ما سمعنا، إنَّ القائم مقام نبينا بعده علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وإنه لا يبلغ عنه إلا هو، ولا ينصح لأمته غيره، قال فنزل أبو بكر من المنبر، فلـمَّا كان يوم الجمعة المقبلة سل عمر سيفه ثم قال: لا أسمع رجلاً يقول مثل مقالته تلك إلّا ضربت عنقه، ثم مضى هو وسالم ومعاذ بن جبل وأبو عبيدة شاهرون سيوفهم، حتى أخرجوا أبا بكر وأصعدوه المنبر)[1]، ودُوِّنت لأمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) مناشدات عدة ذَكَّر القوم بها بحقه في ولاية أمر الأمة، مزوِّدًا الإعلام الولائي بمواقف جديدة، ومُرِّفدًا مادته بحجج متينة مسددة، منها عند اجتماع ما يسمى بأهل الشورى بعد هلاك عمر بن الخطاب، مناشدًا إياهم (صلوات الله وسلامه عليه) قائلًا:(أنشدكم بالله: هل فيكم أحد وحَّد الله، وصلى مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قبلي؟، أم هل فيكم أحد

(١) الرجال، أحمد بن محمد بن خالد البرقي: ٦٣ – ٦٦.

أعظم عند رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مكانا مني؟، أم هل فيكم من كان يأخذ ثلاثة أسهم: سهم القرابة، وسهم الخاصة، وسهم الهجرة أحد غيري؟ أم هل فيكم أحد أخذ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بيده يوم غدير خم وقال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه فليبلغ، الحاضر الغائب، فهل كان فيكم أحد غيري؟ أم هل فيكم من أمر بمودته في القرآن غيري حيث يقول: (قل لا أسئلكم عليه أجرا إلا المودة في القربى) غيري؟، أم هل فيكم من وضع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في حفرته غيري؟ أم هل فيكم من جاءته التعزية مع جبرئيل (عليه السلام)، وليس في البيت إلا أنا وفاطمة والحسن والحسين، فقال جبرئيل (عليه السلام): (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، إنَّ في الله عزاء لكل مصيبة، فبالله تعولوا، وإليه فارجعوا، إنما المنقلب لمن أراد الثواب) غيري؟ أم هل فيكم من ترك بابه مفتوحا من قبل المسجد بما أمر الله، حتى قال عمر: يا رسول الله، أخرجتنا وأدخلته، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (الله عزَّ وجلَّ أدخله وأخرجكم) غيري؟ أم هل فيكم من قاتل وجبرئيل عن يمينه، وميكائيل عن شماله غيري؟ أم هل فيكم من له سبطان مثل سبطي الحسن والحسين، سيدي شباب أهل الجنة لأحد غيري؟ أم هل فيكم من ناجى نبيه أحد غيري؟ أم هل فيكم من قال له النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي غيري؟ أم هل فيكم من قال له النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في حقه يوم خيبر: لأعطين الراية غدا رجلًا يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله كرارًا، غير فرار يفتح الله على يديه بالنصر، فأعطاها أحدا

غيري؟ أم هل فيكم من قال فيه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم الطائر المشوي: اللهم آتني بأحب خلقك إليك يأكل معي، فأتاه أحد غيري؟ أم هل فيكم من سماه الله عزَّ وجلَّ وليه غيري، أم هل فيكم من طهره الله من الرجس في كتابه غيري؟ أم هل فيكم من زوجه الله من السماء بفاطمة (عليها السلام) بنت رسوله غيري؟ أم هل فيكم من باهل به النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أحد غيري ؟...)[1]، ومناشدة أخرى عند الرحبة إذ رويَّ أنَّه (صلوات الله وسلامه عليه) جَمَعَ النَّاسَ فِي الرَّحَبَةِ ثُمَّ قَالَ لَهُمْ:(أَنْشُدُ اللهَ كُلَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ سَمِعَ رَسُولَ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ) يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ مَا سَمِعَ، لَمَّا قَامَ فَقَامَ ثَلَاثُونَ مِنَ النَّاسِ، وَقَالَ أَبُو نُعَيْمٍ: فَقَامَ نَاسٌ كَثِيرٌ فَشَهِدُوا حِينَ أَخَذَهُ بِيَدِهِ، فَقَالَ لِلنَّاسِ: (أَتَعْلَمُونَ أَنِّي أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ؟ قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ الله، قَالَ: مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَهَذَا مَوْلَاهُ، اللهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ...)[2]، وبلفظ آخر(أنشد الله رجلا سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهده يوم غدير خم، إلا قام، فلا يقوم إلا من قد رآه فقام اثنا عشر رجلًا، فقالوا: قد رأيناه وسمعناه حيث أخذ بيده، يقول: «اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله»، فقام إلّا ثلاثة لم يقوموا، فدعا عليهم فأصابتهم دعوته)[3]، وإنَّ ممارسة هذه الوظيفة لم تقتصر على الرجال خاصةً؛ بل برزت جلِّيةً عند بعض النساء اللاتي اقتفين أثر شهيدة الولاء فاطمة الزهراء

(١) ينظر: الروضة في فضائل أمير المؤمنين(عليه السلام): ١١٧-١١٩.

(٢) مسند أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني: ٢٣/ ٥٦.

(٣) تاريخ دمشق لابن عساكر: ٤٢/ ٢٠٧.

(صلوات الله وسلامه عليها) - ومرَّ معنا في التمهيد نهضة الزهراء (صلوات الله وسلامه عليه) ودورها الدفاعي عن حياض الولاية، وخطبتها التي تجلى فيها الإعلام الولائي بأجلى صورة- فوثِّقَت مشاركاتهن الولائية، وأسهمت تلك المشاركات بترجمتهن وتقديمهن للأجيال نساءً ذوات شجاعة، وبلاغة، وغيرة على الدين وأهله، كالنساء اللاتي حضرن صفِّين وأسهمنَ في إعلامها الولائي.

ويحسن الختام بمقطوعات وصف لأمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) بتوقيعة أقلام منصفة مدادها الإنسانية قد تذوقت الجمال العلوي، وغاصت في تفاصيله حَيرةً وتِيهًا، فأطلقت لوصفه العنان، وهي تعلم أنَّها مهما أوغلت في الوصف ستبقى دون الشأن والغاية، فراحت تتنقل بين زوايا المجد العلوي متحيرةً والهةً، منها ما قاله الكاتب المسيحي اللبناني جورج جرداق: (هل عرفت من الخلق عظيماً، يلتقي مع المفكرين بسموّ فكرهم ومع الخيّرين بحبهم العميق للخير، ومع العلماء بعلمهم، ومع الباحثين بتنقيبهم، ومع ذوي المودة بموداتهم، ومع الزهاد بزهدهم، ومع المصلحين بإصلاحهم، ومع المتألمين بآلامهم، ومع المظلومين بمشاعرهم وتمرّدهم، ومع الأُدباء بأدبهم، ومع الأبطال ببطولاتهم، ومع الشهداء بشهادتهم، ومع كل إنسانية بما يشرّفها ويرفع من شأنها ... وماذا عليك يا دنيا لو حشّدت قواك فأعطيت في كل زمن علياً بعقله وقلبه ولسانه وذي فقاره)[1]، ومنها أبيات لعبد المسيح الأنطاكي المصري في قصيدته العلوية وممَّا جاء فيها[2]:

(١) موسوعة طبقات الفقهاء، اللجنة العلمية في مؤسسة الإمام الصادق (عليه السلام): ١٤.

(٢) الأربعين في حب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، علي أبو معاش: ٤/ ٤٩-٥٠.

للمرتضى رتَبةٌ بعد الرسول لـــدَى ... أهـــل اليقين تناهَت في تَعاليـــها

ذو العلم يعرفها ذو العدل ينصفـــها ... ذو الجهل يسرفها ذو الكفر يكميها

وانْ في ذلك اجماعــاً بغير خـــلا ... ف في المذاهب مع شتى مناحيها

وان اقرّبـــها الاسلام لا عجـــبٌ ... فإنه منذ بدء الوحـــــي داريها

وان تناهى جمـــوع المسلمين بها ... فقد وعَت قدَرهَا من هدي هاديـها

بل جاوزتهم إلى الأغيار فانصرفـــت ... نفوسهم نحوها بالحمـــــد تطريها

وذي فلاسفـــة الجحّاد معجبـــة ... بها وقد أكبرت عجباً تساميـــها

ورددّت بين أهل الأرض مدحتـــــها ... فيه وقد صدقت وصفاً وتشبيـــها

كذا النصارى بحب المرتضى شغفت ... ألبابـــها وشدت فيـــه أغانيـــها

فلَستَ تسمع منها غير مدحتـــه الغـ ... رّاء مـــا ذكرتـــه في نواديـــها

فارجع لقسّانها بين الكنائـــس مع ... رهبانها وهي في الأديار تأويـــها

تجـــد مَحبَّتَهُ بالاحترام أتـــت ... نفوسها ولـــه أبدَت تصَبيّـــها

وانظر إلى الديلم الشجعان خائِضة ... الحروب والترك في شتى مغـازيـها

تلف استعاذتها بالمرتضى ولقـــَد ... زانت بصورته الحســـنا مواضيـــها

وآمنَت أن ترصيع السيوف بصُـــو ... رَة الوصي يُنيلُ النصَر منضيـــها

ومنها أبياتٌ لبولس سلامة اللبناني المسيحي إذ قال[1]:

أنت ألهمتني مديح علي ... فهمي غيدق البيان عليا

وتخيرت للأمير وأهل ... البيت قلبا آثرته عيسويا

هكذا كان صهر أحمد يضفي ... نبله ملء سرحة الدهر فيا

هو فخر التاريخ لا فخر شعب ... يدّعيه ويصطفيه ولي

لا تقل شيعة هواة علي ... إن في كل منصف شيعيا

يا علي العصور هذا بياني ... صغت فيه وحي الإمام جليا

أنت سلسلت من جمانك ... للفصحى ونسقت ثوبها السحريا

يا أمير البيان هذا وفائي ... أحمد الله أن خلقت وفيا

جلجل الحق في المسيحي حتى ... عد من فرط حبه علويا

فإذا لم يكن علي نبيا ... فلقد كان خلقه نبويا

سفر خير الأنام من بعد طه ... ما رأى الكون مثله آدميا

يا سماء اشهدي ويا أرض قري ... واخشعي إنني ذكرت عليا

(١) علي في الكتاب والسنة والأدب، الحاج حسين الشاكري: ٥/ ٢٢٨.

الفصل الثاني

الإعلام الولائي الحربي النسوي في صفِّين

ـ قراءة في الدواعي والأسباب :

أولًا/ معركة صفِّين:

وهي ثاني معركة خاضها أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) بعد معركة الجمل ضد الفئة الباغية بزعامة معاوية بن أبي سفيان في (عاشر شهر ربيع الأول سنة سبع وثلاثين، وقيل عاشر شهر صفر)[1]، واستمرت لأربعين صباحًا[2]، في منطقة صفِّين (ما بين أعالي العراق، وبلاد الشام)[3]، وسبب هذه المعركة أنَّ معاوية بن أبي سفيان حاكم الشام آنذاك، رفض قرار أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) بعزله عن ولاية الشام، وتولية عبد الله بن عباس محله، وذلك عقب مقتل عثمان بن عفان، ومبايعة المهاجرين والأنصار لأمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) خليفةً للمسلمين، متذرعًا في عدم الامتثال بالقصاص من قتلة عثمان، إذ طالب أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه)، بتسليمه قتلة عثمان الذين كانوا مع أمير المؤمنين لإقامة الحدِّ عليهم، وأصرَّ على موقفه هذا، ولم تثمر جهود أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) في ثنيه عما كان سادرًا فيه من الغيِّ،

(١) وقعة صفين، ابن مزاحم المنقري: ٤٧٣.

(٢) ينظر: تاريخ اليعقوبي، اليعقوبي: ٢/ ١٨٨.

(٣) وقعة صفين: ٥٦٤.

وظل متمسكًا بذريعة دم عثمان، متخذًا منها حجة في تأليب أهل الشام على أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) وتحشيدهم ضده، ولَّما رأى أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) أنَّ معاوية لم يبقِ له إلّا خيار القتال، قرّر خوض الحرب وكان معه (صلوات الله وسلامه عليه)(من أهل بدر سبعون رجلا، وممَّن بايع تحت الشجرة سبعمائة رجل، ومن سائر المهاجرين والأنصار أربعمائة رجل، ولم يكن مع معاوية من الأنصار إلا النعمان بن بشير، ومسلمة بن مخلد)[1]، واندلعت المعركة وتخللتها تفاصيل كثيرة كانت تتجه باتجاه حسم الصراع لصالح أمير المؤمنين وجيشه، وهزيمة الجيش الشامي، خصوصًا بعد استشهاد الصحابي الجليل عمّار بن ياسر (رضوان الله تعالى عليه)، الذي ساهم في نزع القناع عن وجوه الباغين، مصدِّقًا قول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) له: (يا عمّار ستكون بعدي فتنة، فإذا كان ذلك فاتبع عليًّا وحزبه، فإنَّه مع الحق والحق معه، يا عمّار إنَّك ستقاتل بعدي مع علي صنفين: الناكثين والقاسطين، ثم تقتلك الفئة الباغية، قلت(أي عمّار): يا رسول الله أليس ذلك على رضا الله ورضاك؟ قال: نعم على رضا الله ورضاي، ويكون آخر زادك من الدنيا شربة من لبن تشربه)[2]، لتقلب الكفة بحيلة رفع المصاحف على رؤوس الرماح، فتنقدح شرارة الفتنة في جيش أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) وينقسمون على فريقين، وتنتهي المعركة بمكيدة التحكيم، فتهيئ المعطيات لمعركة النهروان وحزب المارقين، وكان

(١) تاريخ اليعقوبي: ٢/ ١٨٨.

(٢) كفاية الأثر، الخزاز القمي: ١٢١-١٢٢.

عدد القتلى في صفِّين من الفريقين ستون الفًا[١]، وقيل سبعون ألفًا[٢]، وقيل تسعون ألفًا[٣]، وكان من جملة شهداء جبهة الحق، الصحابي الجليل عمّار بن ياسر (رضوان الله تعالى عليه)[٤]، وسهيل بن عمرو الأنصاري[٥]، وخزيمة ذو الشهادتين (رضوان الله تعالى عليه)[٦]، وكان لإعلام معاوية وتضليله دورٌ بارزٌ في إدارة فلك الحرب إليه، بعد أن كادت النهاية تحسم بنصر مؤزَّر لأمير المؤمنين (عليه السلام).

والذي يهمنا في معركة صفِّين هو جانبها الإعلامي، المعضِّد للجانب القتالي في جبهة الحق، الذي شكّل حاجزًا دُحِظت بقدر كبير عنده أباطيل جبهة العدو، وتضليلاته، كما وأسهم بقدر مهم في رفع روح الحماسة القتالية لدى المجاهدين، والتحريض على ملاقاة الباغين، وتحديدًا الإعلام الولائي النسوي الذي كان حاضرًا بقوة، وتجلّى في المفترقات الحساسة من مجريات

(١) ينظر: تاريخ خليفة بن خياط، أبو عمرو خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني العصفري البصري: ١/ ١٩٦، تاريخ بغداد، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بم مهدي الخطيب البغدادي: ١٠/ ١٧٢.

(٢) ينظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي: ٣/ ٥٤٥، بغية الطلب في تاريخ حلب، عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي، كمال الدين، ابن العديم: ١/ ٣١١.

(٣) ينظر: المستخرج من كتب الناس للتذكرة والمستطرف من أحوال الرجال للمعرفة، عبد الرحمن بن محمد بن اسحاق، ابن مندة العبدي الأصبهاني، أبو القاسم: ٢/ ٥٧١.

(٤) ينظر: الطبقات الكبرى، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد: ٣/ ١٩٤.

(٥) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي: ٢/ ٦٦٩.

(٦) ينظر: الطبقات الكبرى: ٤/ ٢٨٠.

المعركة، وكان له الأثر الواضح في طرفي القتال وسيتضح ذلك (إن شاء الله تعالى) في محله عند تناول النماذج الإعلامية النسوية، ولكن قبل الدخول في ذلك لابُدَّ من بيان نوعية الإعلام في المجتمع الشامي بصورة عامة.

ثانيًا/ الإعلام الأموي والمجتمع الشامي :

لو رجعنا الى طبيعة المجتمع الشامي من جهة تعاطيه مع السلطة الحاكمة، لوجدناه في الغالب مجتمعًا بُنِّي على وفق إرادة الحاكم، فكان يرى ما ترى السلطة المتمثلة آنذاك بمعاوية بن أبي سفيان وحزبه الأموي، متقبِلًا كل ما تُسَّوقُه له من متبنيات وأفكار، بعد أن أغلقت عليه مصادر المعلومات، عاملة على اسكات كل صوت يعارض منهجها وسنورد (إن شاء الله تعالى) ثلاثة شواهد تاريخية تبين جهتين ببيان ميسر، وهما:

أ ـ إعلام السلطة وتفرده في المشهد الديني والسياسي:

كان الإعلام في الشام أبان حكومة معاوية بن أبي سفيان منحصرًا بيد السلطة، وكان أمويًّا بامتياز، فلم تسمح السلطة آنذاك بأي صوت آخر يكون بالعرض من إعلامها وتثقيفها، ومن شواهد ذلك ما قام به معاوية بن أبي سفيان بمعية عثمان بن عفان، من اجراءات تعسفية ضد معارضي منهجه البعيد عن روح الإسلام وجوهره، كالصحابي الجليل أبو ذر الغفاري (رضوان الله تعالى عليه)، الذي يُعدُّ من أهل الثقل والسابقة في الإسلام، المُوثَّق من لدن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ومن المشهود لهم بحسن العقيدة والسيرة، إذ إنَّه لّما بلغه (رضوان الله تعالى عليه) وهو في الشام، ما أحدثه عثمان بن عفان في الدين من إحداثات، وما انتهجه من سُنَّة

بالغ فيها بالعدول عن منهج الحق والعدل، أخذ يجهر بإنكار ذلك، معرِّيًا بفساد الحاكم وحاشيته، ومنبِّهًا الناس إلى ما آلت إليه الأمور من التدهور والأزمات، جراء تصدي غير المؤهلين لمقاليد الأمور، وتحكمهم الجائر في البلاد والعباد، فلم يروق معاوية بن أبي سفيان مقالات أبي ذر (رضوان الله تعالى عليه)، وأن يكون هناك صوت يشذ عن بوقه الإعلامي، فشكاه إلى عثمان بن عفان، فطلب الأخير من معاوية إشخاص أبي ذر إليه في المدينة، بحالة مهينة على مركب وعِر وسائق عنيف، ولمّا وصل قرّعه عثمان وقال له: لِمَ تفسد عليّ؟ فردَّ عليه بقول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلًا، جعلوا مال الله دولًا، وعباد الله خولًا، ودين الله دغلاً، ثم يريح الله العباد منهم»، فسأل عثمان من بحضرته هل سمعوا هذا الحديث من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قالوا: ما سمعنا ذلك، فدعا عثمان أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) وسأله هل سمع هذا الحديث من رسول الله، قال له: لا، ولكنّي سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: «ما أظلت الخضراء، ولا أقلت الغبراء أصدق لهجة من أبي ذر» فاغتاظ عثمان وقال لأبي ذر: اخرج من هذه البلدة، فخرج منها إلى الربذة فكان بها إلى أن مات[1]، ويُفاد من هذه الحادثة أنَّ معاوية قد أسس بزمن سابق قواعد جهازه الإعلامي التضليلي في الشام، وهيئ لترويج مادته المُسوَقة في أوساطها؛ وجرَّم من يروج بخلافها، مهما كان له من الشأن والمقام.

(١) ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ١/ ٢٥٢، الرياض النضرة في مناقب العشرة: ٣/ ٨٣-٨٤.

ب- تأثر المجتمع الشامي بإعلام السلطة:

استسلم المجتمع الشامي لإعلام السلطة وتبنى إياه بالكامل، لأنَّه كان يرى في السلطة الحاكمة أنَّها تمثل الإسلام، فالشام تلك البلاد التي فتحت ما بين عهدي كل من أبي بكر وعمر، وكان فتح دمشق خاصةً بعد هلاك أبي بكر في حكومة عمر بنحو أحد عشر شهراً أي في سنة أربع عشرة من الهجرة[١]، وتعاقب على حكومة الشام كل من أبي عبيدة ومعاذ بن جبل، ويزيد بن أبي سفيان، الذي استخلف أخاه معاوية من بعده[٢]، والملاحظ أنَّ اختيار هذه الشخصيات في قيادة جيوش الفتح، ومن ثم الإمارة على الشام لم يكن عشوائيًا؛ بل معتنًى به إذ من المعروف أنّ تلك الشخصيات كانت ممَّن قد أبرز الولاء لحكومة الانقلاب، وكما يقال أنَّ الناس على دين ملوكهم، وملوك الشام المنتخبين من لدن السلطات، كانوا بعيدين عن النهج النبوي الحق المتمثل بأمير المؤمنين (عليه السلام)، فأخذت الناس عن هؤلاء دينًا محرَّفًا، لاسيَّما في عهد معاوية بن أبي سفيان، خصمًا كان يرى في أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) الممثل الحق للمنهج النبوي، الذي لا يجيز له ولا على من على شاكلته الإمارة والحكم، فتوجه في جعل جلَّ مادة إعلامه في التثقيف لبغض أمير المؤمنين، مسخِّرًا شتى الأدوات في هذا السبيل، ومن الشواهد الحيَّة على هذه الحقيقة في التعمية التضليل موقف تجلَّى في معترك صفين، حين برز فتى من جبهة الشام متحمسًا لقتال جبهة أمير المؤمنين

(١) ينظر: جوامع السيرة وخمس رسائل أخرى لابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري: ٣٤٢ .

(٢) معاوية بن أبي سفيان: ٢٢.

(صلوات الله عليه) معتقدًا بتخطئة تلك الجبهة وأحقية ما هو عليه من موقف، فراح يرتجز:

أنا ابن أرباب الملوك غسان والدائن اليوم بدين غسان
أنبأنا أقوامنا بما كان أنَّ عليًّا قتل ابن عفان

ثم شدَّ فلا يثني يضرب بسيفه، ثم جعل يلعن عليًّا ويشتمه ويسهب في ذمه، فانبرى له هاشم بن عتبة (المرقال) أحد أجناد الحق قائلًا: إنَّ هذا الكلام بعده الخصام، وإنَّ هذا القتال بعده الحساب، فاتق الله فإنَّك راجع إلى ربك فسائلك عن هذا الموقف وما أردت به. قال الفتى الشامي: فإنِّي أقاتلكم لأنَّ صاحبكم لا يصلي كما ذُكِر لي، وأنَّكم لا تصلون، وأقاتلكم أن صاحبكم قتل خليفتنا وأنتم وازرتموه على قتله، فقال له هاشم: وما أنت وابن عفان؟ إنَّما قتله أصحاب محمد وقُراء الناس، حين أحدث أحداثًا وخالف حكم الكتاب، وأصحاب محمد هم أصحاب الدين، وأولى بالنظر في أمور المسلمين، وما أظن أنَّ أمر هذه الأمة ولا أمر هذا الدين عناك طرفة عين قط ، قال الفتى: أجل أجل، والله لا أكذب فإنَّ الكذب يضر ولا ينفع، ويشين ولا يزين، فقال له هاشم: إنَّ هذا الأمر لا علم لك به، فخله وأهل العلم به، قال: أظنك والله قد نصحتني، وقال له هاشم: وأمَّا قولك إنَّ صاحبنا لا يصلي فهو أول من صلى مع رسول الله، وأفقهه في دين الله، وأولاه برسول الله، وأما من ترى معه فكلهم قارئ الكتاب، لا ينامون الليل تهجدًا، فلا يغررك عن دينك الأشقياء المغرورون، قال الفتى: يا عبد الله، إنِّي لأظنك

امرئً صالحًا، وأظنني مخطئًا آثمًا، أخبرني هل تجد لي من توبة؟ قال: نعم. تب إلى الله يتب عليك، فإنَّه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات، ويحبُّ التوابين ويحبُّ المتطهرين، قال: فذهب الفتى بين الناس راجعًا، فقال له رجل من أهل الشام: خدعك العراقي! قال: لا، ولكن نصحني العراقي[١].

فمن ملاحظة هذا النموذج الذي يعد نتاج سنوات تضليل الإعلام الأموي وخصوصًا المتبنى من لدن معاوية ندرك سقف مستوى النجاح الذي حققه ذلك الإعلام الأصفر في متلقيه، وقد استمرت ثقافة إظهار العداء من لدن الشاميين لأهل البيت وفي طليعتهم أمير المؤمنين (عليه السلام) حتى بعد استشهاده، ومن شواهد ذلك موقف لأحد الشاميين، الذي ردَّ مستغربًا بعد أن سمع أنّ أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) قتل في المحراب بقوله: أو علي يصلي!؟[٢]، وشاهد آخر مع شامي آخر عندما رأى الإمام الحسن (صلوات الله وسلامه عليه) (راكبًا فجعل يلعنه والحسن لا يرد فلمَّا فرغ أقبل الحسن (عليه السلام) فسلم عليه، وضحك فقال: أيها الشيخ أظنك غريبًا، ولعلك شبهت، فلو استعتبتنا أعتبناك، ولو سألتنا أعطيناك، ولو استرشدتنا أرشدناك، ولو استحملتنا أحملناك، وإن كنت جائعًا أشبعناك، وإن كنت عريانًا كسوناك، وإن كنت محتاجًا أغنيناك، وإن كنت طريدًا آويناك، وإن كان لك حاجة قضيناها لك، فلو حركت رحلك إلينا، وكنت ضيفنا إلى وقت ارتحالك كان أعود عليك، لانَّ لنا موضعًا رحبًا وجاهًا عريضًا ومالًا كثيرًا، فلما سمع الرجل كلامه، بكى ثم قال: أشهد أنك خليفة الله في أرضه، الله أعلم حيث يجعل رسالته وكنت

(١) وقعة صفين: ٣٥٤-٣٥٥.

(٢) ينظر: لقد شيعني الحسين: ٢٤ .

أنت وأبوك أبغض خلق الله إليَّ، والآن أنت أحبُّ خلق الله إليَّ وحول رحله إليه، وكان ضيفه إلى أن ارتحل، وصار معتقدًا لمحبتهم)[١]، ونقرأ من هذا الشاهد مدى بغض الشاميين لأمير المؤمنين وأولاده (عليهم السلام) متأثرين بإعلام السلطة المستغفِل لهم والمغرِّر بهم، واستحواذه على الساحة بلا بدائل، كما ويقرأ أيضًا أنَّه لو كان يُسمح للشاميين بالاطلاع على حقائق الأمور؛ لوجدنا حال بعضهم على أقل التقادير كحال هذا الشامي المستغفَل، فعن الإمام الرضا (صلوات الله وسلامه عليه) قال حاكيًا عن مثل هذه المواقف: (.. إنَّ الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتبعونا...)[٢].

وقد اتضح ممّا تقدّم منهج السلطة الأموية المتمثلة بمعاوية وحزبه في التأصيل لحالة من العداء والكراهية لأمير المؤمنين ومنهجه ومن يمثل ذلك، مستنفرة طاقاتها ومستثمرة كل الأدوات في سبيل ذلك متسلطة على جهتين وهما، الجهة الأولى التفرد بتسويق المعلومات، والجهة الأخرى التحكّم بنوعية المادة المسّوقَة، مستعينة بالوضّاعين والكذَّابين، مصدّقين بذلك حديث الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي بيّنه أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) لسليم بن قيس عندما سأله عن كثرة ما في أيدي الناس من أحاديث لرسول الله، واختلافهم فيها، وهل من الممكن أن يُكذَب على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)؟ فأجابه أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه بقول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (أيُّها الناس قد كثرت عليَّ الكذابة، فمن كذب عليَّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار، ثم قال أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه): لسليم بن

(١) بحار الأنوار: ٤٣/ ٣٤٤.

(٢) عيون أخبار الرضا (عليه السلام)، الشيخ الصدوق: ١/ ٢٧٥.

قيس ثم كذب عليه من بعده، إنما أتاكم الحديث من أربعة ليس لهم خامس: رجل منافق يظهر الايمان متصنع بالإسلام لا يتأثم ولا يتحرج أن يكذب على رسول الله متعمدًا، فلو علم الناس أنَّه منافق كذاب لم يقبلوا منه، ولم يصدقوه، ولكنَّهم قالوا: هذا قد صحب رسول الله (صلى الله عليه وآله) ورآه وسمع منه فأخذوا عنه، وهم لا يعرفون حاله وقد أخبره الله عن المنافقين بما أخبره ووصفهم بما وصفهم فقال (عزَّ وجلَّ): (وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم)، ثم بقوا بعده فتقربوا إلى أئمة الضلالة، والدعاة إلى النار بالزور والكذب والبهتان فولوهم الأعمال، وحملوهم على رقاب الناس وأكلوا بهم الدنيا وإنَّما الناس مع الملوك والدنيا إلا من عصم الله، فهذا أحد الأربعة ...[1]، فكان هذا حال الماكينة الإعلامية الأموية مع المجتمع الشامي، ونحن إذ نسمي عملية التضليل هذه بالإعلام من باب المسامحة في التعبير أولًا؛ لما تقدّم من أن الإعلام يدور ضمن إطار الصدق والموضوعية وما خرج عن هذا النطاق يدخل تحت مسميات أخرى، وثانيًا أنَّ لفظة الإعلام حاليًا قد جُرّت مطلقًا إلى كل ممارسة تتضمن نشر المعلومات بغض النظر عن أي قيد، وهذا واضح جدًا في إعلام اليوم الذي يفتقر في غالبه إلى المهنية والرصانة والموضوعية.

ثالثًا/ صفّين والإعلام الحربي:

لم تكن صفّين ميدان قتال ومواجهة سلاح فحسب؛ بل كانت أيضًا مِنبرًا ومِنصَّةً إعلامية، تبارت فيها الألسنة شعرًا وخطبًا، لم تشذّ في هذا الجانب عمَّا كان متداولًا ومأنوسًا في المعارك والحروب، إذ كان من العادة فيها أن يتبنى كل

(١) ينظر: كتاب سليم بن قيس، سليم بن قيس الهلالي الكوفي: ١٨١.

طرف من طرفي المواجهة ثقافة أو حجة في خروجه يُعرب عنها ببيانه، وعن مدى التزامه بها، مع تفنيده حجة الطرف الآخر وتسقيطها، فضلًا عمَّا كان معهودًا أيضًا في الحرب من عادات دأب عليها المتحاربين كالتباهي، والفخر بالشجاعة، والمهارة في القتال، والاعتداد بالنفس والأهل والعشيرة ونحوها، ولكي نرسم صورةً واضحة تعكس الإعلام الذي ساد جبهة صفِّين، لابدَّ من تسليط الضوء على القضية الإعلامية الأبرز التي تبناها كل من الطرفين، وجعل منها حجة تُسَوِّغ له خوض غمار الحرب.

وممَّا تجدر الإشارة إليه أنّهَ قد غلب على أُسلوب المحاججة المتبنى من طرفي النزاع في صفِّين، مسألة توظيف النَصِّ الديني من قرآن كريم، أو سنة نبوية في الاحتجاج، اضفاءً للشرعية على الحجة المتبناة من لدن كل طرف، ومن ثم إثبات أحقية موقفه في هذا الصراع، وهذا الأمر إنَّما استجدَّ في حجاج القوم، كون كلا الطرفين يؤمنون بقدسية النَّصِّ الديني ولو ظاهرًا كمَّا هو الحال في جبهة معاوية الباغية.

الجهة الأولى/ الإعلام المضلِّل:

بفعل ما تقدَّم من الممارسات الأموية المضلِّلة التي استمرت لمدَّة ليست بالقليلة، أُفرِزَت المعطيات التي عبّدت الطريق أمام معاوية وحزبه الأموي في مسك زمام الأمور في المجتمع الشامي، وبالتالي سهولة توجيهه بأي اتجاه يريد؛ فقد أصبح الجمهور الشامي معبئًا فكريًا، ومتهيئًا لأي تحرك يؤمر به، فتأتي النوبة بعد ذلك في ترجمة تلك التعبئة الفكرية الى واقع ملموس يصبُّ في صالح المعبئين وأهدافهم، ويكفي معاوية أن يقود حملة إعلام مُضلِلَة، وهي

الثأر للخليفة المقتول ليرى تجسد تلك التعبئة الفكرية بهيئة جند مجندة مستعدة للقتال، ومحرِّضَة عليه، وهذا ما حدث عقيب مقتل عثمان بن عفان، واتخاذ الثأر لدمة ذريعةً من جهة معاوية لقتال أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه)، إذ إنَّه وظَّف أدوات إعلامه المضلِّل ورموزه توظيفًا ساق له ما أراد، من التأثر أولًا، والتصعيد إلى موقف عملي ثانيًا، وممَّا ينقل بهذا الشأن أنَّه (لَّما قتل عثمان بن عفان خرج النعمان بن بشير ومعه قميص عثمان مُضمَّخ بدمه، ومعه أصابع نائلة التي أصيبت حين حاجفت عنه بيدها، فقطعت مع بعض الكف فورد به على معاوية بالشام، فوضعه معاوية على المنبر ليراه الناس، وعلق الأصابع في كم القميص، وندب الناس إلى الاخذ بهذا الثأر والدم وصاحبه، فتباكى الناس حول المنبر، وجعل القميص يرفع تارة ويوضع تارة، والناس يتباكون حوله سنة، وحثَّ بعضهم بعضًا على الأخذ بثأره، واعتزل أكثر الناس النساء في هذا العام، وقام في الناس معاوية وجماعة من الصحابة معه يحرِّضون النَّاس على المطالبة بدم عثمان)[1]، وينجح معاوية ابن أبي سفيان وحزبه التضليلي في تأليب الناس على المطالبة بدم عثمان، وتهيئة أسباب المعركة، وكانت تلك الحملة الإعلامية التضليلية كفيلة بقدح شرارة صفِّين الأولى، ومن المواقف التي كشفت عن نجاح التضليل الأموي مُفَعَّلًا بالاستجابة الخارجية، الرد الشامي على مستوى القول في الاستعداد للمواجهة، ما كان عقب كلام معاوية بن أبي سفيان وهو على المنبر بعد وصول رسول أمير المؤمنين (عليه السلام) جرير بن عبد الله ومطالبة معاوية بالبيعة لِأمير المؤمنين: (... وأنِّي وليُّ عثمان وقد قتل مظلومًا، والله يقول: (ومن قتل مظلومًا فقد جعلنا لوليه سلطانًا فلا يسرف في

(١) البداية والنهاية، ابن كثير: ٧/ ٢٥٥.

القتل إنَّه كان منصورًا)، وأنا أحبُّ أن تعلموني ذات أنفسكم في قتل عثمان، فقام أهل الشام بأجمعهم فأجابوا إلى الطلب بدم عثمان، وبايعوه على ذلك، وأوثقوا له على أن يبذلوا أنفسهم وأموالهم أو يدركوا بثأره، أو يفني الله أرواحهم)[1]، وموقف آخر يحكي الاستعداد الفعلي للمواجهة، عندما أخبر معاوية بن أبي سفيان جنده بعبور أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) وأصحابه الجسر الذي نصبه لهم أهل الرقة على شاطئ الفرات، وأنَّهم ليسوا بالعدو الهين؛ أجابه البعض مصعِّدًا باتجاه القتال (فوثب نبهان بن الحكم فقال: يا معاوية! والله لقد جهدت يوم الجمل أن أموت فلم أمت وأبت المقادير ذلك، و والله لئن رأيت عليًّا لأجهدن في قتله أو أموت، دعوتنا إليه فجعلونا بينك وبينهم وقد جعلها بيننا وبين الله عزَّ وجلَّ، فأمرنا بما تحب وانهنا عما تكره ...ثم وثب أبو الأعور السلمي فقال: يا معاوية! إننا لو شهدنا مقتل عثمان وعرفنا من قتله بأعيانهم لما دخلنا في ذلك الشك، ولكنّا نصدقك على ما غاب والسلام، ثم وثب شاعر أهل الشام فجعل يُحرِّض على القتال وهو يقول أبياتًا مطلعها:

إنَّ بالشام يا معاوي قومًا ... يبذلون النفوس والأموالا[2]

ولا ننسى أيضًا دور الأموال وشراء الذمم، وتقريب رؤوس القوم واستمالتهم مع استغفال عامة الناس في إعمال هذه النتيجة، ومن شواهد ذلك عندما (طلب معاوية إلى عمرو بن العاص أن يسوى صفوف أهل الشام، فقال له عمرو: على أنَّ ليَّ حكمي إن قتل الله ابن أبي طالب، واستوثقت لك

(١) وقعة صفين: ٣٢-٣٣.

(٢) الفتوح: ٢/ ٥٦٥-٥٦٦ .

البلاد، فقال: أليس حكمك في مصر!؟ قال: وهل مصر تكون عوضًا عن الجنة، وقتل ابن أبي طالب ثمنًا لعذاب النار الذي (لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون)، فقال معاوية: إنَّ لك حكمك أبا عبد الله إن قُتِل ابن أبي طالب، رويدًا لا يسمع أهل الشام كلامك، فقام عمرو فقال: معاشر أهل الشام، سووا صفوفكم قص الشارب..)[1]، ونخلص بالقول إلى أنَّ إعلام معاوية المُضلِل الذي امتد لزمن ليس بالقليل، وأساليبه المتنوعة في إيصال هذا الإعلام؛ كان له الدور الأبرز في تكوين الموقف الشامي المضاد لأمير المؤمنين (عليه السلام)، الذي تصاعد بعد ذلك إلى تحرك ومواجهة في معركة صفِّين، تتقدمه أكذوبة نصرة الخليفة المقتول، وعليه كانت القضية الإعلامية الأبرز في ساحة العدو هي الثأر لدم عثمان!!.

الجهة الثانية/ الإعلام الولائي المضاد للإعلام المُضَلِل:

تبينَ ممّا تقدّم أنَّ معاوية بن أبي سفيان لم يدَّخر وسعًا، ولم يستثنِ وسيلة، ولم يظن بمال لإضفاء شرعية مصطنعة بإزاء كل تحرك يقوم به، مستثّمرًا تلك الشرعية المزيفة في إيهام الناس وتضليلهم ضمانةً لتأييدهم، وتحصيلًا لاستعدادهم للمواجهة متى ما أراد، وفي صفِّين غطى على مآربه في السلطة، والتشبث بالحكم بغطاء شرعية الثأر للخليفة المظلوم!! فتصدَّرت تلك القضية ساحة العدو الإعلامية كما مرَّ، لذا كان من الطبيعي أن يتصدّى في جبهة أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) من يفنّد هذه الأباطيل، ويُعرِّي عن تلك المآرب، ويُبرز الحق واضحًا جليًا مجلَّلًا بشرعية الكتاب والسُنّة، فبرزت شخصيات

(١) وقعة صفين: ٢٣٧.

مارست هذه المَهمة على أكمل وجه، فعلى مستوى الرجال قد تميّز أبطالٌ في كلا جانبي المواجهة، من قتال إذ وترت سيوفهم جبهة الباغين بكُماتها، وبرقت مشهودٌ لها بحسن صنيعها، وبيان إذ أعيت سياط ألسنتهم ذرائع البُغاة حجةً حين هدرت بفصيح الكلام، وجودة المقال، صانعةً أثرًا لا يقل عن حدِّ البواتر وقعًا، فلمعت في صفِّين أسماء العديد من الشخصيات التي صاغت الحق خطبًا وشعرًا، مفنِّدَةً أباطيل العدو، كاشفة ضلالاته، داعيةً لبذل كل الوسع؛ نصرةً للحق وإعلاء كلمته، وعلى مستوى النساء، فقد جعلنا من إعلامهن في صفِّين، ودورهن في رفع حماسة المقاتلين، والتحريض على قتال الباغين، موضوع هذه الدراسة، وسنتعرض لأثرهن الولائي الإعلامي الحربي بشيء من التفصيل ضمن موضوعات هذا الكتاب (إن شاء الله تعالى)، غير تاركين الإعلام الولائي الذي مارسه الرجال في صفِّين بالكلية، فنستأنس بمثالٍ على إعلام الرجال الولائي الحربي، ونسطِّر شيئًا من مقالات ولاءٍ لبطل من أبطال صفِّين، الذي أرشق معاوية بن أبي سفيان بوابل بيانه، مثل ما أوجعه بصقيل سيفه وهو الصحابي الجليل قيس بن سعد الأنصاري، الذي بلغ من أمره أن أرسل إليه معاوية رجالًا من الأنصار يطلبوا منه أن يكف عن شتم معاوية فقال: لهم (إنَّ مثلي لا يشتم، ولكنِّي لا أكف عن حربه حتى ألقى الله)[1]، وكما قال (رضوان الله تعالى عليه) فلم يكفَّ سيفه ولسانه عن معاوية؛ الأمر الذي جعل معاوية يرسل إليه مرة أخرى يسأله الكف والسلم، والرسول هذه المرة النعمان بن البشير الذي وقف بين الصفَّين معاتبًا سعد بن قيس، وسائر الأنصار على قضية خذلان عثمان بن عفان، وقتل أنصاره يوم الجمل، صادحًا بضلالات معاوية وأباطيله فيرد سعد

(١) ينظر: وقعة صفين: ٤٤٨.

بن قيس بقوله مُفنّدًا مقالة النعمان: (ماكنت أراك يا نعمان تجترئ على هذه المقالة، أنَّه لا ينصح أخاه من غش نفسه، وأنت والله الغاش الضال المضل، أمَّا ذكرك عثمان فإن كانت الأخبار تكفيك فخذها منِّي، واحدة بواحدة قتلَ عثمان من لست خيرًا منه، وخذله من هو خير منك، وأمَّا أصحاب الجمل فقاتلناهم على النكث، وأمَّا معاوية فوالله أن لو اجتمعت عليه العرب قاطبة لقاتلته الأنصار، وأمَّا قولك إنَّا لسنا كالناس، فنحن في هذه الحرب كما كنَّا مع رسول الله، نتَّقي السيوف بوجوهنا، والرِّماح بنحورنا، حتَّى جاء الحقَّ وظهر أمر الله وهم كارهون، ولكن انظر يا نعمان هل ترى مع معاوية إلَّا طليقًا أو أعرابيًا أو يمانيًا مستدرجًا بغرور، انظر أين المهاجرون والأنصار والتابعون بإحسان، الذين رضي الله عنهم، ثُّم انظر هل ترى مع معاوية غيرك وصويحبك، ولسّتما والله ببدريين ولا عقبيين ولا أحديين، ولا لكما سابقة في الإسلام ولا آية في القرآن، ولعمري لئن شغبت علينا لقد شغب علينا أبوك)[1]، ثم أنشأ يقول[2]:

والراقصات بكلِّ أشعث أغبر ... خوص العيون تحثّها الركبانُ

ما ابن مخلد مفلتًا أسيافنا ... عمَّن نحاربه ولا نعمانُ

تركنا العيان وفي العيان كفايةٌ ... لو كان يدفع صاحبيك عيانُ

وجدا معاوية بن صخر شبهةً ... فيها التلبس والبيان يهانُ

ذكرا بن عفان فقلت ألا أربعا ... ما أنتما سفهًا ولا عثمانُ

(١) ينظر: وقعة صفين: ٤٤٩.

(٢) الفتوح: ٣/ ١٦٨.

ما تعـــدل الأنصار ساعـــةً والحق في الأنصار والبرهـانُ

وجدت قريشًا في الحوادث منطقًا هذا الشقـي وصهـره مـروانُ

لم تبسـطوا كفًا لنصرة هالكٍ لا لا ولا عصبت علينا بنانُ

وممّا نقل عن أثر شعره، وشدة وقعه على معاوية بعد سماعه شعر قيس بن سعد الذي قال فيه:

يابن هند دع التوثب في الحر ب إذا نحن في البلاد نأينا)[1]

أنَّه قال لعمرو بن العاص (إنَّ خطيب الأنصار قيس بن سعد يقوم كل يوم خطيبًا، وهو والله يريد أن يفنينا غدًا إن لم يحبسه حابس الفيل، فما الرأي؟ قال الرأي التوكل والصبر)[2]، فكان (رضوان الله تعالى عليه) وأمثاله من المخلِصين المعتقدين بالشرعية الحقة لأمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه)، قد شكّلوا رقمًا صعبًا في معادلة المعركة ومجرياتها، فشهدت لهم الأحداث بأنَّهم لم يتوانوا في النصرة لأمير المؤمنين (عليه السلام)، ولم يدّخروا جهدًا في الردِّ على العدو وأباطيله، فبرزوا متهيئين قد صقلوا حدَّ سيوفهم بهمم نفوسهم العالية وعزائمها الثابتة، وزينوا حدَّ ألسنتهم بالدليل القاطع والبرهان الناصع، فأبلوا البلاء الحسن في هذا وذاك.

(١) ينظر: وقعة صفين: ٤٤٧، أعيان الشيعة: ١/ ٥٠٧.

(٢) وقعة صفين:٤٤٧، أعيان الشيعة: ١/ ٥٠٧.

ونخلص إلى القول بأنَّ القضية الإعلامية الأبرز في جبهة الحق هو الدفاع عن شرعية الخلافة لأمير المؤمنين (عليه السلام)، وإن أُختلِف في فهم ماهية هذه الشرعية، إذ كان هناك من يعتقد بشرعية الإمام، وكونه الخليفة الحق بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بلا فصل كما في المثال المتقدم، ومنهم من فسّرها بشرعية الخليفة الرابع، ممَّا يعني أنَّه كان في جبهة أمير المؤمنين (عليه السلام) من يعتقد بمن سبق أمير المؤمنين من الحكام الثلاثة، كما جاء في مقولة الأشعث بن قيس[١] حين قال: (أيُّها النَّاس إنَّ أمير المؤمنين عثمان ولاني أذربيجان، فهلك وهي في يدي، وقد بايع الناس عليًّا، وطاعتنا له كطاعة من كان قبله، وقد كان من أمره وأمر طلحة والزبير ما قد بلغكم، وعلى المأمون على ما غاب عنا وعنكم من ذلك الأمر)[٢]، والمحصّلة كان هناك اجماع في جبهة أمير المؤمنين على أحقيته (عليه السلام) في ولاية أمر الأمة من غيره.

رابعًا/ صفّين والإعلام الولائي النسوي الحربي:

تميَّز جانب جبهة الحق بفاعلية الجهاز الإعلامي النسوي، الداعي الى الثبات ونصرة أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) والتحريض على أعدائه، وحضوره بقوة في مجريات الأحداث، فكان لبعض النسوة اللاتي حضرنَ صفّين مواقفٌ مشرّفةٌ وُثِّقت مع الأحداث، ترجمها فصيح البيان وبليغ الكلام، جعل

(١) من الشخصيات التي حضرت بقوة في بدايات صفين في جبهة أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه)، ثم ارتدَّ بعد التحكيم ليصبح من رؤوس الخوارج، وقد أسهم محرِّضًا في مقتل أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه)، منقلبًا إلى أسوء خاتمة (لعنه الله)، ينظر: الإرشاد: ١/ ١٩.

(٢) وقعة صفين: ٢١.

من العدو يحفظ مقال كل واحدة ويسترجعه بعد مرور الزمن وتغير الأحوال؛ لشدة تأثيره فيه ووقعه عليه، وهذا يجعلنا ندرك كم الأثر الذي تركته تلك المقالات بوقتها وحينها، فتصدينَ تلك النسوة لَمهمة بيان الحق وتعّرية الباطل ورفع الهمم وشدّ العزائم، ومن تواجدهن في ساحة الميدان وممارستهن للدور الإعلامي بمعرض الحرب نستطيع قراءة معنىً مهمًا مُضمرًا، وتحصيل فائدةٍ مطويةٍ، يتعلقان بالاستناد الشرعي في خروج المرأة وتصديها لمثل هذه الشؤون في مثل هذه الظروف، والمتمثل بإقرار أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) خروجهن وعدم ممانعته من ذلك، إذ لم يَرِد ما يشير إلى رفضه لهذه الظاهرة، التي هي ليست بالشيء المبتدع في هذه المعركة كما تقدّم، ومن هنا نستطيع القول بأنَّ الشارع المقدس لا يمنع من خروج المرأة، وممارستها للدور المناسب لها لاسّيما في المواقف التي تشكّل انعطافًا خطرًا في مسيرة الدين، يمتد أثره إلى أزمان قادمة، وأجيال لاحقة، مع كون خروجها معبِّرًا عن هويتها بوصفها إنسان فحسب، ومراعاتها للضوابط والأحكام الشرعية.

وقد قدمّنا سابقًا لأهداف الأعلام وتطرقنا إلى ثلاثة منها لها علاقة بالإعلام النسوي الحربي المتناول في صفّين في جبهة أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه)، إذ تضمّن إعلام تلك النسوة التعبئة الجهادية لِإخوانهن من الرجال، وتوظيف كل عناصر القوة باتجاه جبهة العدو، فقد كثرت في مقالاتهن العبارات التي تصب باتجاه الدفع نحو المواجهة، وعدم التقصير في القتال، وبذلك تجلّى الهدف الجهادي للإعلام بأوضح ما يكون، كذلك ورود عبارات تعرّية السياسة الأموية، وكشف أساليبها غير الأخلاقية في التلاعب بالناس في بعض النُّصوص،

وإنَّ القتال الذي جُرَّ إليه غالب الشاميين بلا دراية إنَّما هو للسياسة والاستئثار بالحكم فحسب، مع التشديد على الالتفاف حول أمير المؤمنين بوصفه القائد الحق في هذا الصراع، وعند هذا تجلّى الهدف السياسي من الإعلام، ولعلَّ أهم الأهداف تفعيلًا في إعلام تلك النسوة هو الهدف العقائدي لدخالته في تحصيل الهدفين الآخرين، وتم التقديم له مستبطنًا وممزوجًا بالسياسة في أوليات الصراع بين الجبهتين وأصوله، وارجاعه الى الجبهة الأولى التي تفرّع منها يوم صفّين وهي جبهة المواجهة بين الإسلام والشرك، فتجلّى هذا المعنى في بعض النُّصوص، وقد تم التحشيد للهدف العقائدي المضامين الروائية الصريحة التي تبرز العقيدة الحقة وإن كان التوظيف للهدف الجهادي بارزًا من جهة الكثرة دعمًا لمتطلب الحرب، فكانت هذه الأهداف تسير باتجاه التكامل فيما بينها، إذ إنَّ من الملاحَظ في النُّصوص النسوية التعرض لهذه الاهداف أو غالبها ضمن النَّص الواحد، بتنوع لطيف مؤثر يحكي حرصًا في اشباع أكثر عوامل الصراع دخالةً في الطرح، ويكشف ملائمةً للظرف موضوعها، بوصفه ظرفًا ذا أبعاد سياسية عقائدية جهادية، وعلى حرفية تقديم هذه الأهداف بالشكل الذي يعطي إغناءً واضحًا في القصد، فمتى ما تجلّت الجبهة التي تمثل العقيدة الحقة، والامتداد الصحيح للدين، ستتضح السياسة الأخلاقية، والأساليب النظيفة في المواجهة، فيتحدد اتخاذ الموقف الحاسم، ونصرة تلك الجبهة فيؤتي الهدف الجهادي الأُكل، فكان هذا المدار مجمل القصد في الرسالة الإعلامية النسوية الحربية في صفِّين، الدال على نضجها، وقابليتها في الاستيعاب.

وقبل الدخول في تحديد هذه الأهداف في النُّصوص نستذكر أسماء هولاء النسوة الإعلاميات المواليات وهن:

١. أُم البراء بنت صفوان بن هلال.

٢. أم الخير بنت الحريش.

٣. أُم سنان المذحجية.

٤. بَكَّارة الهلالية.

٥. الزرقاء بنت عدي الهمدانية.

٦. سودة بنت عمارة الهمدانية.

٧. عكرشة بنت الأطش.

خامسًا/ الهدف أو الوظيفة الإعلامية في النص الولائي النسوي الحربي:

تقدَّم بيان الهدف الإعلامي، وما انتخب من أهداف إعلامية منسجمة والهدف المقروء المُنوَّع والمضمن في النُّص النسوي موضوع الدراسة، وهي:

أ ـ الهدف العقدي:

أُبرِز هذا الهدف بجلاء في النَصِّ النسوي في كل من المقطوعات الآتية للنصوص النسوية :

في نَصِّ أم البراء بنت صفوان بن هلال بقولها:

أجب الامام وذب تَحت لوائه وافر الْعَدو بصارم بتار[1]

(١) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٤٤، صبح الأعشى في صناعة الإنشا: ٣٠٨، جواهر المطالب في مناقب الإمام علي (عليه السلام): ٢/ ٢٥٦، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي: ٣ / ١٤٣.

ويشخّص هذا الهدف من لفظة (الإمام) الواردة في البيت الشعري المتقدم، الكاشفة عن عقيدتها الحقة بأمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) أولًا، والترويج لهذه العقيدة بهذه اللفظة ثانيًا، إذ من المعروف أنَّ أغلب ألقاب أمير المؤمنين (عليه السلام) قد تمت مصادرتها، والصاقها بالمغتصبين بعد مصادرة حقه (عليه السلام) في ولاية أمر الأمة، لتكتمل مظلوميته بجميع أبعادها؛ كلقب أمير المؤمنين الذي يُعد من ألقابه المختصة به على نحو الحصر والاقتصار، ويحرمُ تعديته شرعًا على أحد غيره مطلقًا، ومع هذا تمت مصادرته والصاقه بأراذل الناس، ومنها أيضًا لقب الخليفة، والفاروق، والصدّيق، وغيرها من الألقاب التي أصبحت اليوم عند العامة من القاب الآخرين تزويرًا وتدليسًا، أمَّا خصوصية لقب الأمام فقد امتاز من بين الألقاب ببقائه لقبًا حصريًا له (عليه السلام) دون أن تمتد إليه يد العبث والتحريف، فلم يُلصق بالحكام الثلاثة الذين سبقوه، ولا بمعاوية ابن أبي سفيان ولا بمن جاء من بعده من الحكام، فحُفِظ هذا اللقب لأمير المؤمنين ومن بعده لأولاده المعصومين (عليهم السلام)، بما يحمل من معنىً ذي دلالة عقائدية حقة، وإن استعمل هذا اللفظ وأُريد به المعنى اللغوي العام، وايراد هذه اللفظة إنَّما يدل على ولاء المتكلم وتشيعه لأمير المؤمنين (عليه السلام)، والظاهر أنَّها كانت تكرر استعمال لفظة الإمام في أبياتها، كالأبيات التي ندبت بها أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) عقب مقتله، التي استذكرها أحد جلساء معاوية بعد سؤال الأخير عنها[1]:

(١) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٤٥، صبح الأعشى في صناعة الإنشا: ٣٠٨-٣٠٩، بلاغات النساء:٧٩، ينظر: جواهر المطالب في مناقب الإمام علي (عليه السلام): ٢/ ٢٥٧.

يَا للـــرِّجَال لعظم هول مُصِيبَة ... فدحـــت فَلَيْسَ مصابها بالهـــازل

الشَّمْس كاسفـة لفقـد امامنا ... خيـر الخلائف والإمام الْعَـــادِل

يَاخير من ركب الْمطِي وَمن ... مَشى فَوق التُّرَاب لمحتف أَوناعل

حاشا النَّبِي لقد هددت قواءنـــا ... فَالْحـق أصبح خاضعا للباطـــل

وبهـذه اللفظـة (الإمـام) أرادت توجيـه المخاطـب بدائرتـه الأوسـع إلى التمسـك بمـن يمثـل النهـج النبـوي الحـق عقديًـا، وتفعيـل هـذا التمسـك بـما يتلائـم والظـرف آنـذاك، وقـد يتداخـل الهـدف السـياسي مـع العقـدي في هـذه اللفظـة، والسـبب إنَّ أمـير المؤمنـين (عليـه السـلام) هـو الإمـام والقائـد للجبهـة الحـق في هـذا الـصراع، فإجابـة القائـد والامتثـال لأمـره في الحـرب يُعـد مـن الأهـداف الإعلاميـة السياسـية.

وفي نص أم الخير بنت الحريش نقتنص هذا الهدف في مقطعين هما :

(...الإمام الْعدْل والتقي الوفي وَالصدّيق الْوَصِيّ...)[1].

(خلـق وَالله مـن طينتـه وتفـرع مـن نبعتـه وَخَصـه بسره وَجعلـه بَـاب مدينتـه وَعـم بحبـه الْمُسـلمين وابـان ببغضـه الْمُنَافِقـين فَلـم يـزل كَذَلِـك حَتَّـى ايـده الله بمعونتـه يمْـضِي عـلى سـنَن اسـتقامته لَا يعـرج لراحـة اللَّـذَّات هَـا هُـوَ مفلـق إلهـام

(١) أخبـار الوافـدات مـن النسـاء عـلى معاويـة بـن أبي سـفيان: ٢٩، ينظـر: بلاغـات النسـاء: ٤٢، ينظـر: التذكـرة الحمدونيـة: ٥ / ١٨٧.

ومكسر الاصنام صلى وَالنَّاس مشركون واطاع وَالنَّاس مخالفون مرتابون)[١].

في المقطع الثاني المختار، ثقَّفت للعقيدة الحقة المتمثلة بشخص أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) المخلوق من سنخ الطينة المحمدية المطهَّرة، والمتفرّع من غصن الشجرة النبوية المباركة، لتُكنّي بهذا الوصف عن المصاحبة بين الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وأمير المؤمنين (عليه السلام) في نشأة الخلق والتكوين، وتورد وصفًا آخر(يمْضِي على سنَن استقامته) لترمز به الى الامتداد والتمثيل النبوي المنحصر في شخص أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) على مستوى العمل والتطبيق من بعده في رحلة التشريع، وقدَّمت للعقيدة الحقة بتضمين كل من، الاستناد الشرعي من المضامين الروائية الشريفة في المقطع الأول (كالوصي، الإمام، الصدّيق) أولًا، والإشارة إلى صفات هذا الإمام الحق الأخلاقية المتجذرة في أعالي العُلا (لَا يعرج لراحة اللَّذَّات) ثانيًا في المقطع الثاني، مع ذكر استناد آخر وهو الإنجازات العلوية المركوزة في ذهن المخاطبين والمأنوسة لديهم، إذ إنَّ أغلبهم قد عاصرها وعاينها (مفلِّق إلهام، ومكسر الاصنام، صلَّى وَالنَّاس مشركون، وأطاع وَالنَّاس مخالفون مرتابون) ثالثًا.

وفي نَصٍّ أم سنان المذحجية تجلَّى الهدف العقدي بقولها[٢]:

(١) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٣٠، بلاغات النساء: ٤٣، ينظر: التذكرة الحمدونية: ٥/ ١٨٨.

(٢) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٢٤، ينظر: طبائع النساء، ٢٢٩، بلاغات النساء: ٦٨، ينظر: الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي : ٧٤٠.

خير الخلائق وابن عم محمد كفى بذاك لمن شناه تهدد

فقد وصفت أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) بـ(خير الخلائق)، فأساس العقيدة الحقة يرتكز على معرفة ترتيب مقام أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) -حقيقة المقام غير مُدرَكَة- من حيث أفضليته على جميع الخلائق ما خلا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وعليه فهو الأحق بالاتباع بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بلا فصل وتبعًا لذلك فهو الأحق دون سواه بالنصرة في مواقف مقابلته مع أعدائه، ترجمة لتلك العقيدة.

أمَّا في نُصوص بَكَّارة الهلالية الشعرية، تجسَّدت المسحة العقدية في مقطوعتها الثالثة إذ قال سعيد بن العاص نقلًا عنها[1]:

قد كنت اطمع ان أَمُوت وَلَا ارى فَوق المنابر من أُميَّة خاطبًا

فَالله اخّـــَـرمدتي فتطـــاولت حَتَّى رأيت من الزَّمَان عجائبًا

فِي كل يـــَـوْم لَا يزَال خطيبهم بَين الجموع لآل احْمَد عائبًا

إذ تجلّى حبها لآل الرسول (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) واضحًا، وعقديًّا للحدِّ الذي تمنت معه أنَّها لو تموت ولا ترى غيرهم مستولين على استحقاقاتهم ومواقعهم، ونستشعر من هذه الأبيات مدى حزنها وتألمها

(١) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٧٢، ينظر: بلاغات النساء: ٤٠، ينظر: العقد الفريد: ٣٤٧.

من جرأة آل أُمية على آل أحمد والنيل منهم (صلوات الله وسلامه عليهم) وهذا الحزن مترشح عمَّا تعتقد به من مقام لهم (سلام الله عليهم) غير لائق؛ بل غير جائز لسواهم، والأبيات ظاهرًا متأخرة عن حدث صفِّين بدلالة التضمين لحدث ما بعد الواقعة، فظرفها الإعلامي خارج حدود صفين زمانًا ومكانًا، فتخرج عن انموذج الإعلام موضوع الدراسة، ولكن تبقى مندرجة تحت العنوان العام للإعلام الولائي والهدف العقائدي.

وفي نصِّ الزرقاء بنت عدي الهمدانية، نستطيع اقتناص الهدف العقدي بتضمينها مفردات ذات دلالات عقائدية (الفتنة وجلابيب الظلم، قصد المحجة، العدل، ألا من استرشدنا أرشدناه وَمن سألنا اخبرناه إِنَّ الْحق كَانَ يطْلب ضَالَّة فأصابها)[1]، إذ يلحظ من عبارة (الفتنة وجلابيب الظلم) فضلاً عن جنبتها العقائدية ومنشأها الأول من التخالف العقدي الذي تراكم مع الزمن، تلميح الى سياسة العدو في اصطناع العقبات والعراقيل التي من شأنها التعمية على الناس، وإضلالهم بأساليب ملتوية غير أخلاقية مترشحة عن سياسة معهودة، أمَّا المحجة فهي (الطَّرِيق الْوَاضِح البيّن)[2]، أي امتداد النهج النبوي الأصيل، والمسلك الحقيقي للإسلام المتجلي بأمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه)، فمن اعتقد بذلك وعمل بما يعتقد، يكون قد قصد المحجة وسلك الطريق المستقيمة البَيِّنة، ومن حاد عن قصد المحجة، وقع في شراك الفتنة وتاه بين جلابيبها ومسالكها المنحرفة الملتوية، موضحةً أن منهج

(١) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٦٥، ينظر: بلاغات النساء: ٣٨-٣٩، تاريخ دمشق: ٧٠/ ٢٣٧.

(٢) المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي: ٣/ ٣٠٧.

أمير المؤمنين هو منهج الحق والعدل وقد وجد ضالته في معاوية ومحدثاته، فتترشح صفِّين التي من أهم اسبابها الانحراف العقدي، المتمثل في جبهة البغي معاوية وحزبه.

وفي أبيات سودة بنت عمارة الهمدانية يقرأ الهدف العقدي في البيت الثالث من مقطوعتها الشعرية إذ قالت[1] :

إنَّ الإمام اخا النَّبِي مُحَمَّد علم الهدى ومنارة الإيمان

إذ بينت العقيدة الحقة عن طريق ألفاظ ذات دلالات عقائدية، كلفظة (الإمام) وقد تقدّم الحديث عن هذه المفردة وخصوصيتها، (أخو النبي) وبهذا الوصف أشارت الى حلقة الوصل بين النبيِّ والوصيِّ، إذ بأمير المؤمنين (عليه السلام) قد امتدَّ النهج النبوي ليستمر، وإنَّ هذه الإخوة الإلهية ذات الدلالة والكشف عن التقارب حدِّ المطابقة بين الشخصيتين ووظائفهما، فالوصي اليوم كما كان النبي (صلوات الله وسلامه عليهما) بالأمس، علمًا يسير خلفه كل مسترشد فيهتدي به، ومعيارًا للإيمان إذ لا يتحقق حق الايمان إلَّا باتباعه ونبذ أعدائه ومخالفيه.

وفي النَصِّ الأخير لعكرشة بنت الأطش تداخلت الأهداف الثلاثة للإعلام متمازجةً مشكِّلة نسيجًا ولائيًّا جميلًا، فارتأينا إعادة ذكر نَصِّها بالكامل، والتعقيب عليه في إطار الهدف الإعلامي إذ قالت: (ايُّها النَّاس

(١) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٦٧، بلاغات النساء: ٣٥، تاريخ دمشق: ٦٩/ ٢٢٥.

عَلَيْكُم انفسكم لَا يضركم من ضل اذ اهْتَدَيْتُمْ، إنَّ الْجَنَّة دَار لَا يرحل من قطنها، وَلَا يحزن من سكنها، وَلَا يَمُوت من دَخلهَا، فَلَا تَبِيعُوهَا بدار لَا يَدُوم نعيمها وَلَا تتصرم همومها كونوا قومًا مستبصرين، إنَّ مُعَاوِيَة دلف اليكم بعجم الْعَرَب، غلف الْقُلُوب لَا يعْرفُونَ الإيمان، وَلَا يَدْرُونَ مَا الْحِكْمَة دعاهم بالدنيا فَأَجَابُوهُ، واستدعاهم إِلَى الْبَاطِل فلبوه فَالله الله عباد الله فِي دين الله، وإياكم والتواكل فان ذَلِك نقض عُرى الاسلام، واطفاء نور الْحق، واظهار الْبَاطِل، وَذَهَاب للسّنة هَذِه بدر الصُّغْرَى، والعقبة الأُخرى، يَا معاشر الْمُهَاجِرين والانصار أمضوا على بصيرتكم، واصبروا على نياتكم فَكَأَنِّي بكم غَدا وَقد لَقِيتُم أهل الشام وهم كالحمر الناهقة وأنتم (أسود الشرى) وَالْبِغَال الشاحجة (تضفع ضفع البر) يضجون ضجيج الْبَقر(ولا تروب روب العناق) وَلَا يروثون رَوْث الْعتاق[1].

إذ دعت هذه المرأة الموالية أجناد الحق أن يلزموا أنفسهم ولا يضرهم ضلال من ضل عن الهدى، وحمّست للجهاد بمقايسة بين الجّنة ودار الدنيا مفصحة عن الهدف الجهادي، ثم فصلت عقديًّا ببيان أَنَّ اختيار الجنة بخلودها، وبنعيمها الدائم لهو شأن المستبصرين المهتدين، نافيةً هذه الصفة عن جند الجهة المقابلة (عجم العرب، غلف القلوب)، فهم لم يبصروا سبيل الإيمان ولم يفقهوا الغايات، اختاروا الدنيا والباطل ملبين دعوة المضلِلين - وهذا التضليل إنَّما هو سياسة انتهجها المعتدي في تكثير سواده وسوق الناس إليه- وهذا أدعى لمواجهتهم وعدم التواكل عن حربهم، مُبيِّنة أَنَّ التواكل

(١) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٣٧-٣٨، ينظر: بلاغات النساء: ٧٥، ينظر: مرآة الزمان في تواريخ الأعيان: ٨/ ٩٤، ينظر: تاريخ دمشق: ٦٩/ ٢٩٠-٢٩١.

عن الحرب سيُفضي إلى زعزعة ثوابت الإسلام وعقائده، ويعلي شوكة الباطل ويؤدي إلى اندثار السنة، وإنَّ هذه المعركة هي امتداد لوقائع الرسالة الأولى فهي بدر الصغرى، والعقبة الأُخرى، وهذه الجبهة هي امتداد لجبهة الحق في تلك المعارك، موجّهة خطابها بلا فاصلة للمهاجرين والأنصار بعد ذكر بدر والعقبة؛ لتشير إلى أدوارهم في تلك الأحداث، ودورهم اليوم متمم لما بدأوه أولًا؛ فالأحرى بهم الصبر والمضي على بصيرتهم الأُولى، وهم على كل حال الأفضل في كل المستويات مقارنةً بعدوهم، فهم المستبصرون والمدركون للغايات، وأصحاب السابقة في تشييد عُرى الإسلام من جهة العقيدة، وهم الأبطال والأُسود من جهة الشجاعة والجهاد إذا ما قورنوا بجند الشام الذين وصفتهم بالحُمر والبَقر لا يتميزون بشيء سوى كثرة الضجيج.

ب ـ الهدف الجهادي:

أبرز هذا الهدف في النصوص الولائية في كل ممَّا يأتي:

في نَصِّ أم البراء بنت صفوان حين قالت[1]:

يا زيد(عمرو) دونك صارما ذا رونق ... عضب المهزة ليس بالخوار

أسرج جوادك مسرعًا ومشمِّرًا ... للحرب غير مولي لفرار

يا ليتني أصبحت ليس بعورة ... فأذب عنه عساكر الفجار

(١) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٤٤، ينظر: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء: ٣٠٨، ينظر: جواهر المطالب في مناقب الإمام علي (عليه السلام): ٢/ ٢٥٦-٢٥٧، ينظر: سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي: ٣/ ١٤٣.

فالحماسة والتحريض على ملاقاة العدو باديان بوضوح على أبياتها؛ بل غالبان بوصفهما هدف جهادي على بقية الأهداف الإعلامية المضمنة في النص الولائي، فقد حرّضت على قتال العدو، ودعت إلى المبادرة، وعدم التواني في النصرة، مع الثبات والصبر في ميدان الجهاد، ودعت أيضًا إلى الاستعداد للحرب، وتهيئة أدواتها على أحسن وجه، من سيف ذي رونق في شكله (وَرَوْنَقُ السيفِ: ماؤه وحُسْنُهُ)[١]، وعضب المهزة في بطشه، والعضب (القاطع، عضبه يعضبه عضبًا، أي قطعه)[٢]، حين اهتزازه وحركته، وفرس جواد يَكِّر في المعركة متقدمًا، بل ذهبت بعيدًا في تحريضها ورفع حماسة مخاطبها (غير المنحصر بالمخاطب المباشر)، عندما تَمَنَّت لو أنَّه يكون من شأنها النزول إلى ساحة القتال، وملاقاة الأعداء، إذن لما توانت عن نصرة الأمام، ومقابلة عساكر العدو.

وفي نصِّ أم الخير بنت الحريش الكوفية يتجسد الهدف الجهادي الإعلامي في نصها الولائي بمقاطع عدة كقولها:

﴿يَا أَيهَا النَّاس اتَّقوا ربكُم إِن زَلْزَلَة السَّاعَة شَيْء عَظِيم﴾ إنَّ الله عز وَجل قد أوضح الْحق، وأبان الْبَاطِل، وَنوَّر السبل، وَرفع الْعلم، فَلم يدعكم فِي عمياء مشتبهة، وَلَا عشواء مدلهمة، فَإِلَى ايْنَ تُرِيدُونَ رحمكم الله؟ أفرارًا من أَمِير الْمُؤمنِينَ؟ وَمن الزَّحْف؟ أم رَغْبَة عَن الإسلام؟ أم ارْتِدَادًا عَن الْحق؟ أما سَمِعْتُمْ الله تَعَالَى يَقُول: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ

(١) تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي مادة (رنق): ٢٥/ ٣٦٨.

(٢) كتاب العين، باب العين والضاد والباء معهما: ١/ ٢٨٣.

وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾[١].

في هذا المقطع أرادت رفع الهمة القتالية لدى المقاتلين في جبهة الحق محذرةً إياهم من الفرار من ساحة الميدان، وألمحت إلى أنَّ مهما بلغت مخاطر الحرب فهي أدون وأخف من زلزلة الساعة، فاتقاء هول زلزلة الساعة إنَّما يكون بالثبات والصبر في الجهاد، فهي تحاول أن تكون من الأسباب المُعالجة لحالة الانكسار التي شهدتها جبهة الحق بعد مقتل الصحابي الجليل عمّار بن ياسر (رضوان الله تعالى عليه)، فانبرت بين صفّي المعركة، تحرّض المقاتلين على المضي قدمًا في الجهاد بصوت وصل صداه جبهة العدو، حاثّة إياهم على التقوى بالتزام نهج الحق الصريح، وأنَّه لا عذر لهم بالتخاذل بعدما تمت الحجة عليهم بتبيان طريق الحق وتوضيحه، فلم يبق بعد ذلك لمعتذر عذر في اشتباه الامور وعدم تمييز وجه الصواب فيها، ثم بيَّنت بعد ذلك أنَّهم بمعرض ابتلاء واختبار ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ (محمد ٣١)، فإمّا الثبات في الزحف وإمّا الفرار، وما لحظات الحرب هذه إلاّ محطة فلترة وتمحيص ينفرز بها المجاهدون والصابرون عن المتخاذلين الفارّين، وبها تكشف مضمرات النفوس، وما تطويه السرائر.

وقولها أيضًا في إطار الهدف الجهادي: (﴿فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾ صبرًا معاشر المُهَاجِرين وَالْأَنْصَار قَاتلُوا على بَصِيرَة من ربكُم، وثبات من دينكُمْ، وَكُونُوا قوما مستبصرين فَكَأَنِّي بكم وَقد لَقِيتُم

(١) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٢٩، ينظر: بلاغات النساء: ٤٢، ينظر: العقد الفريد: ٣٥٥، ينظر: التذكرة الحمدونية: ٥/ ١٨٧.

أهل الشَّام كحمر مستنفرة لَا تَدْرِي أيْنَ يسْلك بهَا من فجاج الأَرْض باعوا الْآخِرَة بالدنيا، واشتروا الضَّلَالَة بِالْهدى، وَبَاعُوا البصيرة بالعمى وَعَمَّا قَلِيل لتُصبحُنَّ نادمين حِين تحل بكم الندامة فتطلبون الإقالة ﴿وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ إِنَّه وَالله من ضل عَن الْحق وَقع فِي الْبَاطِل، وَمن لم يسكن الْجنَّة نزل النَّار، أيُّها النَّاس إِنَّ الأكياس استقصروا عمر الدُّنْيَا فرفضوها، واستطالوا مُدَّة الآخرة فسعوا لَهَا سعيًا، وابتاعوا بدار لَا يَدُوم نعيمها، وَلَا تتصرم همومها، أيُّها النَّاس إِنَّه لَوْلَا أن يبطل الْحق، وتعطل الْحُدُود، وَيظْهر الظَّالِمُونَ وتقوى كلمة الشَّيْطَان، لما اخترنا وُرُود المنايا على خفض الْعَيْش وطيبه، فَإِلَى ايْنَ تُرِيدُونَ رحمكم الله أفرارًا عَن ابْن عَم رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ [وآله] وَسلم وَزوج ابْنَته وَأبي سبطيه...)[1].

في هذا المقطع يمتزج فيه التحريض على المواجهة واستنهاض الروح القتالية مع التقريع والمعاتبة لمن أراد الفرار من الزحف، فدعت القوم الى التمسك بأمير المؤمنين مخاطبةً إياهم بوصف التشريف (المهاجرين والأنصار)، مشعرة أياهم بأنَّهم الأولى بالثبات والصبر من أجناد جبهة العدو، وأَنَّ التضحية في سبيل الحق ليس بالأمر الجديد عليهم، داعيةً إياهم الى الالتفاف حول أمير المؤمنين (علية السلام) مذكرةً إياهم بمؤهلاته، ومزاياه الثابتة والمرتكزة في أذهانهم، فدعتهم إلى الصبر في المواجهة، والقتال عن بصيرة، ثم قرعّت بعد ذلك من فرّ وتخاذل وشبهتهم بالحُمُر المستنفرة التي تُساق إلى حيث لا تعلم؛ لأنَّهم أرادوا بيع آخرتهم الباقية بدنياهم الفانية،

(١) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٢٩ - ٣٠، ينظر: بلاغات النساء: ٤٣، ينظر: العقد الفريد: ٣٥٥، ينظر: التذكرة الحمدونية: ٥/ ١٨٧ -١٨٨.

واستبدلوا سبيل الهداية بسبل بالضلال، والبصيرة بالعمى، محذرِّة إياهم من تخبطهم هذا وما سيؤول اليه من خسران وندامة حيث لا ينفع لمعتذر عذر، ولا يشفع لنادم ندم، فلا ثالث بين الحق والباطل، فمن ابتعد عن الحق وقع في دائرة الباطل، ولا دار بين الجنة والنار، فمن زهد في الجنة تلقفته النار، والكيّس الفطن لا يبيع الآخرة الباقية ونعيمها بالدنيا الفانية وهمومها، مذكرة إياهم بسبب تواجدهم في المعركة، فهم خرجوا حتى لا يبطل الحق، وتُعطَّل الحدود، وتقوى كلمة الشيطان وأوليائه وهو سبب يهون لأجله ركوب الأخطار وورود المنايا.

وفي مشاركة أم سنان بنت خيثمة المذحجية الإعلامية في صفِّين نقرأ الهدف الجهادي المضمن والغالب على أبياتها الشعرية وهي[1]:

يَا آلَ مَذْحِجَ لَا مقَام فشمّروا ... إِنَّ الْعَدُوَّ لآلِ أَحْمَدَ يَقْصِدُ

هَذَا عليٌّ كَالْهِلالِ تَحُفُّهُ ... وَسْطَ السَّمَاءِ مِنَ الْكَوَاكِبِ أَسْعُدُ

خَيْرُ الْخَلائِقِ وَابْنُ عمِّ محمّدٍ ... وَكَفَى بِذَلِكَ والعدوُّ يُهَدَّدُ

مَا زَالَ مُذْ عَرَفَ الْحُرُوبَ مظفَّراً ... وَالنَّصْرُ فَوْقَ لِوَائِهِ مَا يُفْقَدُ

إذ حرَّضت أم سنان قومها آل مذحج على الحرب، وشدَّدت على ألّا مقام لهم سوى ساحة الميدان، فدعتهم الى التشمير، كناية عن الاستعداد والتهيئة

(١) ينظر: أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٢٤، ينظر بلاغات النساء: ٦٨، الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي: ٧٤٠.

لملاقاة العدو، ودعت إلى الالتفاف حول أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) الذي شبهته بهلال السماء تحيطه كواكب السعد متفائلة بالنصر، أو تكون قد أشارت بتشبيهها أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) بالهلال إلى هديه، فكما إنَّ في السماء هلال محاط بالكواكب يُهتدى به، كذلك أمير المؤمنين (عليه السلام) هلال في الأرض يهتدى به، قد أحاطته كواكب من جند الحق المؤمنة به حق الأيمان، عازمين على النصر، ودحر الإعداء، طالبةً من قومها أن يكونوا من هذه الجماعة المخصوصة بالقرب منه (صلوات الله وسلامه عليه)، وبينت أنَّ النصر لم يفارق أمير المؤمنين منذ عرف الحروب، فالنصر قد عُقد بلوائه الشريف، فلم يعرف للخسارة مذاق، فهم في جبهة الظفر والنصر .

وقد اتضح هذا الهدف في مقطوعة بَكّارة الهلالية الأولى، التي استذكرها عمرو بن العاص وقالت فيها[1]:

يَا زيد دُونك فاحتفر من دَارنَا ... سَيْفا حساما فِي التُّرَاب دَفِينا

كنت اذخره ليَوْم كريهة ... فاليوم ابرزه الزَّمَان مصونا

إذ طغت روح الحماسة في هذين البيتين، محرضةً أخاها زيدًا على اقتحام أرض المعركة، والجهاد نصرة للحق، متسلِّحًا بسلاح مُدَخَر لمثل هذه المواقف، التي تتطلب الإعداد والتهيئة لدحر جبهة الباطل، وتعزيز جبهة الحق.

(١) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٧٢، ينظر: بلاغات النساء: ٣٩-٤٠، ينظر: العقد الفريد: ٣٤٦.

ونلاحظ أنَّ أبياتها الشعرية الجهادية، قد تم استذكارها من لدن من كان يتواجد في الجبهة المقابلة، ممَّا يعني اتساع دائرة المخاطب بهذه الأبيات بشكل غير مباشر وعدم انحصاره بمخاطبها المباشر؛ فبث روح الحماسة القتالية في جبهة الحق كان الهدف، وتم توجيهه عن طريق مخاطبة أخيها مع توسيع دائرة قصد التحريض والحماسة بإسماع غيره ممَّن تواجد في الميدان، ليتعدى واصلًا أسماع من تواجد في قلب جبهة العدو.

وفي نص الزرقاء بنت عدي الهمدانية (... أيُّها النَّاس إِنَّ الْمِصْبَاح لَا يضيء فِي الشَّمْس، وإِنَّ الْكَوْكَب لَا ينير فِي الْقَمَر وإِنَّ الْبَغْل لَا يسْبق الْفرس، وإِنَّ الدق لَا يوازي الْحجر وَلَا يقطع الْحَدِيد إِلَّا الْحَدِيد،... فصبرًا يَا معاشر الْمُهَاجِرِي والأنصار على المضض، فَكَانَ قد التأم شعب الشتات، وَظَهَرت كلمة الْعدْل، وَغلب الْحق باطله، فَلَا يعجلن أحْدُ، فَيَقُول كَيفَ وانى وَلَكِن ليقضي الله أمرًا كَانَ مَفْعُولا وَللَّهِ عَاقِبَة الْأُمُور، إِنَّ خضاب النِّسَاء الْحِنَّاء، وإِنَّ خضاب الرِّجَال الدِّمَاء، وَلِهَذَا مَا بعده وَالصَّبْر خير فِي العواقب، إيهٍ إِلَى الْحَرْب قدمًا، غير ناكصين، (ولا متشاكسين) فَهَذَا يَوْم لَهُ مَا بعده[1] .

في نص الزرقاء بنت عدي نجد أنَّها قد ركَّزت على الهدف أو الوظيفة الجهادية بصورة أكثر قياسًا بالهدفين الآخرين، إذ عبّرت عن الحرب وملابساتها بوصف الفتنة (ومعْنَى الفِتْنَة الابْتِلاءُ والامْتِحانُ والاخْتِبارُ، وأَصْلُها مأْخوذٌ مِن الفتنِ، وهو إذابَةُ الذَّهَبِ والفِضَّةِ بالنَّارِ لِتَمَيُّزِ الرَّدِيءِ

(١) ينظر: أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٦٥، ينظر بلاغات النساء: ٣٨-٣٩، ينظر: تاريخ دمشق: ٦٩/ ١٦٦-١٦٧.

من الجيِّدِ)[١]، إذ غطت هذه الفتنة بحُجبها طريق الحق فكانت كفيلة بأن يحيد البعض عن جادته، مبينة أنَّ القوم بمعرض ابتلاء وتمحيص وما ساحة الحرب هذه، إلَّا محطة كشف وفرز لأهل الحق عن أهل الباطل، وفعل الحرب بالناس كفعل النار بالمعدن، إذ بها يمتاز الجيد من الرديء، كما دعت الى طلب سبيل الحق واتباعه، إذ به تنكشف تلك الظلمات، ودعت إلى الاستعداد والتعبئة بمستويات عالية تتناسب وخطورة الموقف، ثم خاطبت أجناد جبهة الحق بوصف (المهاجرين والأنصار) داعيةً إياهم إلى الصبر على صعوبات هذه الحرب بعدما تبين لهم سبيل الحق، والمضي قدمًا فيها وأشارت إلى أنَّ خضاب الدم هو زينة المقاتلين في المعركة، كما إنَّ الحناء زينة للنساء، ولا يُتحصل خضاب الرجال إلَّا بالتوغل في قلب الحدث وملاقاة أهل الباطل، وأن يكون خيار المقاتل الوحيد هو التقدم نحو الأمام بلا تراجع أو نكوص.

وفي أبيات سودة بنت عمارة الهمدانية تجلى الهدف الجهادي في مقالتها في صفِّين التي دعت فيها أخاها زيدًا للقتال، وتحديدًا في البيت الأول والثاني والأخير من مقطوعتها الشعرية إذ قالت[٢]:

شمِّر كفعل أَبِيك يَا بن عمَارَة ... يَوْم الطعان وملتقى الأقران

وانصر عليًّا وَالْحُسَيْن ورهطه ... واقصد لهِنْد وَابْنهَا بهوان

فقه الحتوف وسر أمام لوائه ... قدمًا بأبيض صارم وَسنَان

(١) تاج العروس من جواهر القاموس، باب (فتن): ٣٥/ ٤٩٢.

(٢) ينظر: أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٦٧، ينظر: تاريخ دمشق،: ٦٩/ ٢٢٤-٢٢٥، ينظر: مرآة الزمان في تواريخ الأعيان: ٨/ ٩٢، ينظر بلاغات النساء: ٣٥.

فالتحريض على القتال واضح بيّن في هذه الأبيات، فالمخاطب أخوها زيدٌ، ودائرة القصد أوسع، كما مرَّ في نص سابق بدلالة ذكر المقالة من جانب جبهة العدو، داعيةً المخاطب المباشر، مسمعةً أشخاص دائرة القصد الأوسع، إلى نصرة الحق المتمثلة بجبهة أمير المؤمنين والحسين (صلوات الله وسلامه عليهما) وسائر المنتمين إليها، ومطالبة برفع الهمَّة والجِدِّ في القتال، وتجريع العدو كأس الذُّل والهوان، والتقدم أمام اللواء مبالغة في وقاية الإمام والموت دونه، مع إعداد عدة الحرب والتهيئة لها.

جـ ـ الهدف السياسي:

وتجلّى في بعض نصوص نسوة صفِّين في المقاطع الآتية:

ففي نص أم الخير بنت الحريش بقولها: ...إِنَّهَا احنٌ بدريةٌ وضغائن جاهلية، وأحقاد أُحدية، وثب بهَا مُعَاوِيَة عِنْد الْغَفْلَة ليدرك بهَا الفرصة من ثَارَاتِ بني عبد شمس، ... فَلم يزل كَذَلِك حَتَّى قتل مبارزي بدر وافنى أهل أُحْدُ وَهزمَ الله بِهِ الاحزاب وَقتل أهل خَيْبَر وَفرق بِهِ جمع هوَازن فيا لَهَا من وقائع زرعت فِي قُلُوب قوم نفَاقًا وردة وشقاقا[1].

في هذين المقطعين عرّت أم الخير السياسة الأموية المتمثلة برأس البغي معاوية بن أبي سفيان وبينت من منظورها ما وراء اصطناعه للحرب من أسباب، لتفنّد مدعاه في القصاص من قتلة الخليفة المظلوم!!! إذ أرجعت أسباب قتال معاوية وزبانيته لأمير المؤمنين (عليه السلام) لأحقاد وإحَن

(١) ينظر: أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٢٩-٣٠، ينظر: بلاغات النساء: ٤٢-٤٣، ينظر: التذكرة الحمدونية: ٥/ ١٨٧-١٨٨.

(أي بغضاء وعداوة) متوارثة، بُذرت بذرتُها، وقُدحت شرارتُها تزامنًا مع بزوغ فجر الرسالة، تلك الرسالة التي سفهت أحلام أسلافه الضالة، واستهزأت بعقائدهم الفاسدة، ونسفت مجدهم الزائف، ووترتهم بساداتهم وكبرائهم الذين راقهم أن يكونوا في طليعة الجبهة المعادية للدين الحق، وكانت النتيجة أنَّهم سُقوا كأس الحتوف بسيف أمير المؤمنين (عليه السلام) بعد سقيهم مرارة الذُّل والهوان، فمن الطبيعي جدًا أن يخلِّف ذلك في نفوس القوم ضغائنًا وأحقادًا، لأنَّهم لم ينفضوا غبار شركهم بعد، ولَّما يدخل الإيمان قلوبهم، فيتمخض عن تلك الضغائن نفاقًا وردةً وشقاقًا، جعلتهم يتحينون الفرص لاصطناع الصدامات مع أمير المؤمنين وذريته تحت ذرائع ظاهرية واهية متخذين من التعمية على الناس، وإضلالهم، منهج سياسي يوصلهم لمآربهم، وبعدما استقووا في الإسلام الظاهري، أرادوا الثأر لجاهليتهم الأولى ولسلفهم الكافر، على أمل التعديل في كفة الصراع لصالحهم، الذي خرجوا بالأمس منه ما بين هالك ومهزوم، وكان من الطبيعي أيضًا، أن تُعصَب تلك الهزائم والخسائر برأس من كانت له اليد الطولى فيها، والممثل الحق لامتداد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ومنهجه القويم، وهو أمير المؤمنين وذريته من بعده (صلوات الله وسلامه عليهم) وما سطره التأريخ من أحداث بين الطرفين يؤيد ذلك، وأكدت في المقطع الثاني هذا المعنى مبينة أسباب تلك الإحن والضغائن وما تولد منها من نفاق وردة وشقاق كما تقدّم.

وفي أبيات بَكَّارة الهلالية التي فضحت فيها غاية العدو من الحرب بقولها[١]:

أَتَرَى ابْن هِنْد للخلافة مَالِكًا ... هَيْهَات ذَاك وان اراد بعيد

منتك نَفسك فِي الْخَلاء ضَلالَة ... أغراك عَمْرو للشقا وَسَعِيد

ارْجع بأنكد طَائِر منحوسة ... لاقت عليا اِسْعَدْ وسعود

إذ أعربت عن هدف معاوية بن أبي سفيان من هذه الحرب، وهو طلب ملك الخلافة، فهو لا يرى في الخلافة التي هي وظيفة الهية، ومنصب جعلي من الله تعالى للصفوة المخصوصة من خلقه، إلّا ملكًا وغنيمة، فاصطنع هذه الحرب متكلفًا أسبابها، ليجعل منها سلمًا يرتقيه إلى حيث تلك الأماني الضالة، ومرة أخرى يُكذب الإعلام النسوي في جبهة الحق مُدَّعى القوم في الثأر للخليفة المقتول، ويبين إنَّ ما ادُّعي من حجة في اشعال فتيل الحرب، إنَّما هو للتغطية على تلك الأماني ليس إلّا، وإنَّ هذا الهدف المُبطَن تعرض للكشف والتعرية غير مرة بلسان الإعلام النسوي، وبينت الهلالية أيضًا دور حاشية السوء (عمرو بن العاص وسعيد بن العاص) في تزويق تلك الأماني في نفس معاوية وتشجيعه على ما كان منه.

وأشارت سودة بنت عمارة الهمدانية إلى الهدف السياسي بقولها[٢]:

(١) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٧٢، ينظر: بلاغات النساء: ٤٠، ينظر: العقد الفريد: ٣٤٦-٣٤٧.

(٢) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٦٧، تاريخ دمشق: ٦٩/ ٢٢٤-٢٢٥، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان: ٨/ ٩٢، بلاغات النساء: ٣٥.

وانصر عليا وَالْحُسَيْن ورهطه واقصد لهِنْد وَابْنهَا بهوان

إذ ألمحت في عجز هذا البيت (واقصد لهند وابنها بهوان) إلى نقطة الخلاف الأُولى بين الجبهتين، وإنَّ صفِّين اليوم مُخرَج من مُخرجات ذلك الخلاف السياسي العقائدي، الذي كانت فيه هند أُم معاوية من الشخصيات المبرزة في الجانب المضاد للحق، وإنَّ سياسة معاوية متوارثة من أسلافه في الاستقتال على الزعامة والإمرة، فكأنَّها ترى اليوم جبهة هند متمثلة بمعاوية ابنها، فمن يحارب هذه الجبهة ذات الهدف السياسي السلطوي الواحد لاشك أنَّه يحارب جميع شخوصها من سلف وخلف وقد تم الإشارة إلى بعض التضمين السياسي في النص النسوي مع الهدف العقدي لتداخله معه، ولم نورده هنا منعًا من التكرار .

الباب الثاني

عناصر العملية الإعلامية
والعوامل المؤثرة في نجاحها

توطئة

العملية الإعلامية منظومة مؤلفة من مجموعة من العناصر المتفاعلة والمترابطة فيما بينها، إذ تتشارك وتتعاضد من أجل الوصول إلى غاية محددة، ويُقاس نجاح العملية الإعلامية بمدى تحقق تلك الغاية، وهذا بدوره يتوقف على نجاح كل عنصر داخل هذه المنظومة، وحيازته الشروط المطلوبة بالنسبة له بوصفه عنصرًا، وعلاقته مع العناصر الأخرى ونجاحها، فينعكس نجاح هذه الأجزاء على الكل المؤلف منها، وبالتالي ينسحب هذا النجاح في النهاية على الغاية الإعلامية، والعكس بالعكس؛ فالخلل في أي من هذه العناصر سينعكس على المنظومة ككل مؤثرًا عليها بنسبة ما، فيؤثر على الغاية التي سيقت من أجلها هذه العملية، وهذا معنى الترابط بين الأجزاء والتأثر والتأثير فيما بينها، فمتى ما كان المرسل مستجمعًا لعوامل نجاحه بوصفه عنصرًا فعّالًا في هذه العملية، من امتلاكه رؤية شاملة وثقافة واسعة وخبرات متراكمة وتجارب متعددة، وما يتمتع به من موضوعية في طرح الأفكار ونقدها وانتقاء الصحيح منها، ومدى احساسه بالمسؤولية تجاه ما يطرحه من متبنى عقدي وفكري، ورعايته للتصور المسبق لحال الجمهور المتلقي وتقييمه لقدرته الاستيعابية ومحتوى الأفكار المسوقة، إضافة إلى تقديره لمستوى تأثر الجمهور مع الرسالة والتفاعل معها، عندها سيجعل له نجاحًا خاصًا به بوصفه مرسلًا ويضيف نجاحه الخاص نسبة في النجاح الكلي المركب للعملية الإعلامية، وتزاد هذه النسبة من نجاحات بقية العناصر

الإعلامية من رسالة الإعلام، والإيصال الصحيح لهذه الرسالة إلى المتلقي المطلوب ايصال الرسالة إليه، ليكتمل النجاح الكلي بالنسبة المضافة من نجاح تأثر جمهور الخطاب، عند ذلك ستوصف العملية الإعلامية بالنجاح والتكامل.

وسنتناول (إن شاء الله تعالى) في هذا الفصل العنصر الأول من عناصر العملية الإعلامية وهو المرسل (نساء صفّين) وعوامل نجاحهن بوصفهنّ إعلاميات الدراسة.

الفصل الأول

نساء صفِّين والعوامل المؤثرة في نجاحهن بوصفهن قائمات بالارسال

أولًا/ المرسل (إعلاميات صفِّين):

النسوة اللاتي حضرنَ صفَّين، وساهمنَ بإعلام ولائي في جبهة الحق، وكن مسؤولات عن إعداد الرسالة الإعلامية النسوية في أرض المعركة، ومن تواجدهن على أرض الميدان في صفِّين، وممارستهن التثقيف الولائي، تترشح قراءتين محتملتين في أسباب هذا التواجد، والاضطلاع بالمهمة الإعلامية، أولهما أنَّ أداءهن لهذا الدور قد يكون ناتجًا من دافع ذاتي وقرار شخصي، إذ رأينَ أنَّ نصرة الحق تستدعي الظهور والمقال، فتصدِّين لتلبية نداء العقيدة التي كنَّ يؤمنَّ بها بعيدًا عن أي تهيئة أو تخطيط، وثانيهما يُحتمل أن يكون حضورهن الواقعة، فضلًا عن حرصهنَ الشخصي هذا في نصرة الحق وإعلاء كلمته، هو وجود تنسيق مسبق، وتخطيط مُعَدٌّ له ضمن استراتيجية إدارة المعركة، بوصفه فقرةً مهمة يتوقف على إدراجها ضمن جدول المهام في المعركة تحصيل أثر مهم لا يُستغنى عنه، وهي امداد المقاتلين بالروح المعنوية والحماسة في القتال، وممَّا يرجِّح هذا الاحتمال هو عملية التنظيم المُلاحظَة في أداء المَهمة، إضافة إلى ما لوحظ من كم التواجد النسوي في المعركة ونوعه، إذ حفلت جبهة جند الحق بالعديد من النسوة المواليات غير المنحصرات بالنماذج موضوع هذه الدراسة،

اللاتي لم تصل إلينا مشاركاتهن بدلالة ما نقل بهذا الصدد (كان جنده (أي أمير المؤمنين) أحفل الأجناد بذوات القول الفصل، والرأي الجزل من النساء، ولهن في صفِّين مقامات ومواقف، أشجت حلوق العدو وصكت أسماعهم، وروعت نفوسهم، ومن هؤلاء بَكَّارة الهلالية، وسودة ابنة عمارة، وآمنة بنت الشريد، وأم سنان بنت خيثمة، وكثيرات من نظائرهن وأشباههن، ممن أوتين جوامع الكلم، وجمعن أشتات الحكم)[١]، فآمنة بنت الشريد[٢] مثلًا لم ينقل أثرها الإعلامي في صفِّين، مع أنَّها كانت متواجدة هناك، ومارست دورها الولائي مع غيرها من الكثيرات اللاتي لم تصل إلينا اسماؤهن فضلًا عن آثارهن، هذا على مستوى الكم، أمَّا على مستوى النوع، فقد شُهِد لهؤلاء النسوة بأنَّهن من ذوات القول الفصل، والرأي الجزل، ممَّا يعني أنَّ هناك عناية في اختيار هذه الشخصيات على حسب ما كن يتمتعن به من قابلية ومؤهلات، فانتخبن باهتمام ليتصدرن واجهة الإعلام الولائي النسوي في صفِّين، وبهذا يترجح احتمال عملية تقنين الجهاز الإعلامي النسوي، يُضاف إلى ذلك مرجِّح آخر، وهو التواجد المبكر والكون في مركز الحدث في أجواء ما قبل المعركة- بقدر متيقن لبعض هؤلاء النسوة- والتهيؤ بزمن سابق على القتال، للمَهمة الإعلامية. (وسيرد دليل ذلك في محله إن شاء الله تعالى)، وقد تم التقديم لسبعة من هؤلاء الإعلاميات وترجمتهن في التمهيد، وسندخل (إن شاء الله تعالى) في تفصيل عوامل نجاحهن بوصفهن إعلاميات حرب ولائيات.

(١) المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها: ٢/ ١٢٠.

(٢) زوجة الصحابي الشهيد عمرو بن الحمق الخزاعي (رضوان الله تعالى عليه)، فصيحة من أهل الكوفة، ينظر: الإعلام، الزركلي: ٢٦، (صالحةٌ مؤمنةٌ عارفةٌ فصيحةٌ): مستدركات علم رجال الحديث، الشيخ علي النمازي الشاهرودي: ٨/ ٥٤٤.

ثانياً/ عوامل نجاح إعلاميات صفين الولائيات:

١ـ الإيمان بمحتوى الرسالة:

إنَّ لإيمان صاحب الرسالة برسالته دخالة مؤثرة في إيصال فحوى تلك الرسالة إلى الآخر المتلقي، إذ إنَّه سيوظّف تبعًا لإيمانه هذا كل إمكاناته المتاحة في سبيل إيصال ما يؤمن به من فكرة أو متبنى، وإعمال الإمكانات المتاحة يقتضي تفعيل جميع الجوانب ضمن العملية الإعلامية التي يستطيع الوصول إليها ترجمةً لإيمانه، ولذا يمكن أن يُعَد الإيمان بمحتوى الرسالة عاملًا ساندًا في استكمال نجاح المقومات الأخرى باتجاه الهدف الإعلامي، ومحور النُّصوص المختارة هو الولاء المعبر عن عقيدة آمنت بها تلك النسوة وثقّفت باتجاهها، ويمكن أن نستقرأ إيمان هؤلاء النسوة بمحتوى الرسالة من ملاحظة مقالات وردود بعضهن عند وفودهن على معاوية بن أبي سفيان بعدما استدعاهن إليه، بعد مدة من الزمن وتبدُّل في الأحوال، وبعدما استقوى وتمكّن في السلطة، إذ إنَّ المقالات في ذلك الموقف تكشف عن إيمانهن بعقيدتهن بدرجة أكبر قياسًا بالمواقف الأخرى، وذلك لرجحان كفة العدو الذي كن يحرضنَ عليه بالأمس القريب في السلطان، يقابله ضعف في الموقف بالنسبة إليهن، فالإيمان بالرسالة كان واضحًا في النُّصوص النسوية في صفِّين، أمَّا الكشف عنه فنستدل عليه من موقفهن بعد تبدل الحال، والصيرورة في موضع المهزوم (في الظاهر) ليكون أبلغ في البيان، إذ إنَّ الثبات على الإيمان في مواطن الضعف أكثر صدقًا بالقياس مع مواطن القوة، والملاحِظ لتلك المحاورات كاملةً يلمس أن هؤلاء النسوة اضطررن في بعض جزئيات الكلام المختصة بالبراء إلى التقية، وتهدئة

الأجواء، أمَّا فيما يخصُّ إيمانهن بأمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) فلم يبدين أيَّ تنازل أو ضعف، إذ أبرزن ثباتًا واضحًا في خصوص هذه الجهة من العقيدة وهو الولاء، ومن تلك المقولات نتخب مقاطع من الكلام كانت لها دلالة واضحة على إيمان هولاء النسوة بعقيدتهن، ومنها ردُّ الزرقاء بنت عدي الهمدانية عندما عاتبها معاوية على فعلها في صفّين، وأنَّ مقالتها كان لها من الأثر كفعل السيف في القتل (فقال لها معاوية: ألست الراكبةَ يوم صِفِّين الجملَ الأحمرَ تُوقِدين نارَ الحرب، وتُحرِّضين الناسَ على قتالي؟ قالت: بلى، قال: فإنك قد شَرَكْتِ ابنَ أبي طالب في كل دم سفَكَه، فقالت: أحسنَ اللهُ بِشارَتَك. فقال: والله لَوَفاؤُكم له بعد وفاتِه أعجبُ من حُبِّكم له في حال حياته)[1]، وقيل بلفظ آخر: (فَقَالَ مُعَاوِيَة يَا زرقاء لقد اشركت عليًّا فِي كل دم سفكه فَقَالَت أحسن الله بشارتك،...، مثلك من بشر بِخَير وسرَّ (جليسه) قَالَ لَهَا: وَقد سرك ذَلِك قَالَت: نعم وأنى لي بتصديقه (بتصديق الفعل) فَقَالَ مُعَاوِيَة: وَالله لوفاؤكم لَهُ (أي أمير المؤمنين عليه السلام) بعد مَوته أعجب اليَّ من حبكم لَهُ فِي حَيَاته)[2]، ومقالتها هذه تكشف عن مدى إيمانها برسالتها التي لم تتنكر لها لدى حضورها عند العدو في أوج سلطانه، وعليه فإنَّ موقفها لم يكن موقفًا مصطنعًا اقتضته طبيعة الحال في ذلك الوقت؛ بل كان موقفًا مختارًا مترجمًا عن إيمان بعقيدة جعلها تستبشر وتُسَر بأنَّ تكون مشاركة في قتل أعداء أمير المؤمنين لقطعها بضلالهم وخسران مآلهم، وإنَّ فعلها يستحق الأجر لا الإثم، والنموذج الآخر هي أُم الخير بنت الحريش

(١) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان: ٨/ ٩١.

(٢) ينظر: أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٦٦، ينظر: تاريخ دمشق: ٦٩/ ١٦٧.

وجوابها لمعاوية بعدما تم استذكار مقولتها في صفّين وتعقيبه عليها (... فَقَالَ مُعَاوِيَة يَا أم الْخَيْر وَالله مَا أردْت بِهَذَا الكلام إِلَّا قَتْلِي وَلَو قتلتك لما حرجت فِي ذَلِك، قَالَت: إِنَّه وَالله إِنَّه ليسرني ان يجْرِي الله قَتْلِي على يَدي من يسعدني الله بشقائه...)[1]، مستهينة بتخويفه إياها بالقتل، وموقفها هذا إنَّما يحكي إيمانًا بعقيدة تكون فيها النجاة، حتى لو أدى إيمانها بلك العقيدة إلى القتل فإنَّها ستُسرُّ وتسعد بشقاء القاتل، وموقف آخر لبكَّارة الهلالية التي ترجمت أيضًا عن مدى إيمانها برسالتها بموقف لايقبل أي تأويل سوى الكشف عن عمق الإيمان بالعقيدة، إذ دفعت بأخيها للحرب، وحرّضته على ملاقاة العدو وقتاله، مضحيةً بعزيز من أهل بيتها في سبيل ما تؤمن به، وعند اشخاصها لدى معاوية بعد ذلك، واستذكار مقولاتها في صفّين من قبل حاشيته محرّضين عليها (فَقَالَت يَا مُعَاوِيَة نبحتني كلابك بعد أن عشي بَصرِي وَقصرت محجتي وَأَنا وَالله القائلة مَا قَالُوا، وَمَا خَفِي عَلَيْك مني اكثر فَضَحِك مُعَاوِيَة وَقَالَ: لَيْسَ ذَاك بِالَّذِي يمنعنا من برك يَا خَالَة فاذكري حَاجَتك قَالَت أما السَّاعَة فَلَا وقامت وَخرجت مغضبة)[2]، وبلفظ آخر(نبحتني كلابك...! واعتورتني، فقصر محجني، وكسر عجي، وغشي بصري، وأنا والله قائلة ما قالوا، لا أدفع بتكذيب، فامض شأنك، فلا خير في العيش بعد أمير المؤمنين [عليه السلام])[3].

ومن ذلك أيضًا ردِّ أُم البراء بنت صفوان بن هلال عندما استُذكرت

(١) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٣١، ينظر العقد الفريد: ٣٥٦.

(٢) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٧٢.

(٣) ينظر: بلاغات النساء: ٤٠، ينظر: أعيان الشيعة: ٣/ ٥٨٩.

أبياتها التحريضية ضد جبهة معاوية، وبعد قول معاوية لها: (قَاتلك الله يَا بنت صَفْوَان مَا كَانَ حسان بن ثَابت يحسن مثل هَذَا وَمَا تركت لقَائِل مقالا اذكري حَاجَتك قَالَت بعد هَذَا وَالله لَا اسالك شَيْئا ثمَّ نهضت فَعَثَرَتْ فَقَالَت تعس شانئ عَليّ فَقَالَ مُعَاوِيَة يَا بنت صَفْوَان زعمت ان لَا تسالي شَيْئا قَالَت هُوَ وَالله مَا علمت)[1]، فدعت عليه ومن كان على شاكلته في العداوة والشنآن للأمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) بالتعاسة في عقر سلطانه، وهي القائلة أيضًا بعد ذكر أبيات لها رَثت بها أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه)(قَالَت: قد كَانَ ذَلِك، قَالَ: هَيْهَات أما وَالله لَو عَاد لعدتِ وَلكنه اخترم قَالَت أجل وَالله إِنِّي على بَيِّنَة من رَبِّي وَهدى من أَمْرِي)[2]، وكذا ردُّ سودة بنت عمارة بن الأشل الهمدانية عندما ذكّرها معاوية بأبياتها في صفّين التي كانت تحرض فيها أخاها على القتال، داعية إياه الى التقدم أمام لواء الإمام، والموت دونه فقالت: (بلَى... وَمَا مثلي رغب عَن الْحق، وَاعْتذر بِالْكَذِبِ، قَالَ فَمَا حملك على ذَلِك قَالَت حبُّ عَليّ، وَاتِّبَاع الْحق قَالَ: وَالله مَا أرى عَلَيْك من عَليّ اثرًا، ... ثُمَّ قال: هيهات ما مثل مقام أخيك ينسى، وما لقيت من أحد ما لقيت من قومك وأخيك، قالت: صدق فوك لم يكن أخي ذميم المقام، ولا خفي المكان كان والله كقول الخنساء:

(١) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان، العباس بن بكار(أو ابن الوليد بن بكار) الضبي: ٤٦، تاريخ دمشق، ابن عساكر الدمشقي: ٧٠/ ٢٠٤.

(٢) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي: ٣/ ١٤٣، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، أحمد بن علي القلقشندي: ٣٠٨.

وانّ صخرًا لتأتم الهُداة به كأنّه علمٌ في رأسه نار

قال: صدقتِ لقد كان كذلك فقالت مات الرأس وبتر الذنب)[١]، وقولها أيضًا (عندما شكت عامل معاوية عليهم بسر بن أرطاة وما فعله من تعدٍ وتجاوزات (...فَأَما عزلته فشكرناك، وَإِمَّا لَا فعرفناك فَقَالَ مُعَاوِيَة: أبقومك تهددين لقد هَمَمْت أن أحملك على قتب أشرس فادرك إِلَيْهِ فَينفذ فِيك حكمه، فأطرقت ثمَّ بَكت، ثمَّ رفعت رأسها وَهِي تَقول:

صلَّى الإله على روح تضمنها قبر فَأَصْبح فِيهَا الْعدْل مَدْفُونا

قدحَالف الْحق لَا يَبْغِي بِهِ بَدَلا فَصَارَ بِالْحَقِّ والإيمان مَقْرُونا

قَالَ وَمن ذَلِك؟ قَالَت عَليّ بن أبي طَالب (عَلَيْهِ السَّلَام))[٢]، يضاف إلى ذلك ما تضمنته نصوص صفِّين نفسها من مضامين ولائية عالية زاخرة بتوكيدات متنوعة كاشفة عن إيمان حقيقي برسالة تجشمت هؤلاء النساء مخاطر الحرب من أجل إيصالها وسيرد ذلك (إن شاء الله تعالى) في موضوع الرسالة الإعلامية، وممّا تقدّم يتضح إيمان هؤلاء النسوة بوصفهن إعلاميات بمضمون الرسالة في صفّين وبالتالي توفر العامل الأول من عوامل نجاح القائم بالإرسال.

(١) ينظر: أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان، العباس بن بكار(أو ابن الوليد بن بكار) الضبي: ٦٧، ينظر: بلاغات النساء، ابن طيفور: ٣٦.

(٢) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٦٩، بلاغات النساء: ٣٦، أعيان الشيعة: ٧/ ٣٢٤ .

٢ـ الشجاعة والجرأة والثبات في الموقف:

من الصفات التي برزت بجلاء في الشخصية الإعلامية النسوية الموالية في صفّين، الشجاعة وتعني: (شدَّة القلب عند البأس، وقد شجع الرجل بالضم فهو شُجاعٌ، وقومٌ شِجْعَةٌ وشِجْعانٌ،... وامرأةٌ شُجاعَةٌ[١]، والشِّيُن وَالْجِيمُ وَالْعَيْنُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى جُرْأَةٍ وَإِقْدَامٍ،... مِنْ ذَلِكَ الرَّجُلُ الشُّجَاعُ، وَهُوَ الْمِقْدَامُ،... وَالشَّجِعَةُ مِنَ النِّسَاءِ: الْجَرِيئَةُ[٢]، والجسورة على الرجال في كلامها وسلاطتها)[٣]، والجُرْأَة وتعني: (الإقدام على الشيء والهجوم عليه[٤]، وفلان جَريء المقدم، وبه جرأة.. وهو جريءٌ، [أي] : جَسور)[٥]، وبملاحظة معنى كل من المفردتين، نجد أنَّ هناك تشابه وتلاقٍ واضح في المعنيين قد تجسّد في مواقف أولئك النسوة، يتضح بصورة أجلى من ملاحظة ظرف المَهمة وهو الحرب؛ ولا يخفى على أحد ما يرتبط بأجواء الحروب من مخاطر قد تودي بحياة من يتواجد في أحداثها، فضلًا عمَّن يمارس الدور التحريضي فيها بمواجهة مع العدو المحتمل في شأنه الانتهاك، ومخالفة المعايير أيًّا كانت، فالأمر يتطلب شدة في القلب، وصلابةً في الموقف، وجسارةً في القول؛ بل ويتطلب مستويات عالية من ذلك لاختيار بعض النساء الظهور بصفة عنصر متحرك في المواقع المكشوفة ذات المواجهة المباشرة

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، باب (شجع): ٣/ ١٢٣٥.

(٢) معجم مقاييس اللغة، باب (شجع) : ٣/ ٢٤٧-٢٤٨.

(٣) كتاب العين، باب (شجع) : ١/ ٢١٢.

(٤) تاج العروس من جواهر القاموس، باب (جرأ) : ١/ ١٧٠.

(٥) كتاب العين، باب الجيم والراء و (وا يء) : ٦/ ١٧٣.

مع العدو، كالمنطقة ما بين الصفّين المحفوفة بالمخاطر لأداء رسالتهن كأُم الخير بنت الحريش التي كانت تركب جملًا وتدور في المعركة بمعرض من الخطر[١]، وعكرشة بنت الأطش التي كانت متقلدة حمائل السيف قائمة بين الصفّين تؤلب على القتال[٢]، والزرقاء بنت عدي الهمدانية التي ركبت جملاً تدور بين الصفوف غير آبهة بالمخاطر[٣]، وممَّا جاء في ترجمتها (خطيبة، من ذوات الشجاعة، من أهل الكوفة)[٤]، وكذا في البقية اللاتي لم يذكر التاريخ حالهن وقت الخطاب، إلّا أنَّا نستطيع أن نستدل على أنَّهن كن كذلك في الواجهة مع الجبهة المضادة، بواسطة ذكر مقولاتهن من قبل العدو كبكَّارة الهلالية، التي استذكر عمرو بن العاص مقالتها في مجلس معاوية، محرِّضةً فيها أخاها زيدًا على القتال في صفّين، كما استذكر مروان بن الحكم مقالتها، التي كشفت فيها عن أماني معاوية في السلطة[٥]، فكيف يمكن أن تصل هذه المقولات للإعداء بلا واسطة لولا أنَّها كانت على مرأى ومسمع من العدو؛ بل من مركز القيادة لديه، فنفس استذكار تلك المقولات لهؤلاء النسوة من لدن الجبهة الأُخرى (سواءٌ أكان معاوية، أم حاشيته المقربين، أم من كان في جبهته آنذاك من جند) لهو كاشف جلي عن تواجد هؤلاء النسوة في مواطن المواجهة مع العدو ومقابلته، وهذا بدوره يكشف عمَّا تتمتع به تلك النساء من جرأة وشجاعة متميزتين هذا أولًا؛ ونستدل ثانيًا بكاشف آخر دلَّل أيضًا

(١) ينظر: أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٢٧.

(٢) ينظر: أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٣٧.

(٣) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان: ٨/ ٩١.

(٤) الأعلام: ٣/ ٤٤.

(٥) ينظر: أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٧١-٧٢.

على شجاعتهن، وجرأتهن مع الثبات على الموقف بمعرض خطر آخر، وهو عند حضورهن أو اشخاصهن لدى معاوية بن أبي سفيان فيما بعد، إذ كان كلامهن معه وردهن عليه نابع من إيمان تبرزه جرأة في القول وشجاعة في الموقف وثباتًا عليه حتى بعد تبدل الأحوال.

٣ـ البلاغة والفصاحة في طرح الرسالة:

الفصاحة: ((فَصَحَ) الْفَاءُ وَالصَّادُ وَالْحَاءُ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى خُلُوصٍ فِي شَيْءٍ وَنَقَاءٍ مِنَ الشَّوْبِ. مِنْ ذَلِكَ: اللِّسَانُ الْفَصِيحُ: الطَّلِيقُ. وَالْكَلَامُ الْفَصِيحُ: الْعَرَبِيُّ[١]، والفصاحة الإبانة والظهور، وهي في المفرد خلوصه من تنافر الحروف والغرابة أو مخالفته للقياس، وفي الكلام خلوصه عن ضعف التأليف وتنافر الكلمات مع، فصاحتها وفي المتكلم ملكة يقدر بها على التعبير عن المقصود، كذا قرره علماء البيان. و...الفصاحة تتبع خواص تراكيب الكلام إفادةً ودلالةً وترتيبًا)[٢].

أما البلاغة: (مصدر(بلغ الرجل) الضَّم: إِذا صَار بليغًا ... وهِيَ التَّعْبِير عَن الْمَعْنى الصَّحِيح لما طابقه من اللَّفْظ الرَّائِق من غير مزِيد على الْمَقْصد وَلَا انتقاص عَنهُ فِي الْبَيَان، فعلى هَذَا فَكلما ازْدَادَ الْكَلَام فِي الْمُطَابقَة للمعنى وَشرف الْأَلْفَاظ ورونق الْمعَانِي والتجنب عَن الركيك المستغث كَانَ بلاغته أَزِيد[٣]، والبلاغة وصف للكلام والمتكلم؛ فبلاغة الكلام مطابقته لمقتضى

(١) معجم مقاييس اللغة، باب (فصح) : ٤/ ٥٠٦.

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، فصل الصاد : ٢٦٠.

(٣) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، فصل الباء: ٢٣٦.

الحال، والحال هو الأمر الداعي للمتكلم إلى أن يميز بكلامه بميزة هي مقتضى الحال، أما لغةً فتنبئ عن الوصول والانتهاء، يقال: بلغ فلان مراده إذا وصل إليه، وبلغ الركب المدينة إذا انتهى إليها)[١].

وعليه لكي يوصف الكلام بالفصاحة لابدَّ من توفر القيود المتقدمة من الوضوح وعدم الضعف والتنافر في الكلمات، وأن يكون ذا خواص من إفادة للمتلقي ودلالة وترتيب ولكي يوصف المتكلم كذلك، لابد له من ملكة التعبير عن المعنى المقصود، وحتى يكون الكلام بليغًا، لابُدَّ فيه من بلوغه الغاية التي سيق من أجلها، ومناسبته للمقام والداعي، وبالنسبة للمتكلم هو أن يميز كلامه بميزة الحال المقتضي للكلام.

وقبل الدخول في هذه تفصيلات هذه القيود، نذكر ماورد بحق هذه النسوة من شهادات بهذا الخصوص، ومنها ما جاء في ترجمة أم الخير بنت الحريش (... قدمت على معاوية وحاورها محاورة تدل على فصاحتها وجزالتها)[٢]، وأيضًا مما جاء في وصفها عند خطابها (وَهِي كالفحل يهدر فِي شقشقته)[٣]، (والشِّقْشِقةُ: لهَاةُ الْبَعِيرِ وَلاَ تَكُونُ إِلاَّ لِلْعَرَبِيِّ مِنَ الإِبل،... وَمِنْهُ سُمّي الْخُطَبَاءُ شَقاشِقَ،...، وَالْعَرَبُ تَقُولُ لِلْخَطِيبِ الجَهِرِ الصَّوْتِ الْمَاهِرِ بِالْكَلَامِ: هُوَ أَهْرَتُ الشِّقْشِقة،...، وشَقْشَقَ الفحلُ شَقْشَقةً: هدَر،..، شَبَّهَ الفصيحَ الْمِنْطِيقَ بِالْفَحْلِ الْهَادِرِ ولِسانَه بشِقْشِقَتِهِ)[٤]، ومِمَّا جاء في حق أُم

(١) ينظر: الأسلوب، أحمد الشايب: ١٩.

(٢) تاريخ دمشق: ٧٠/ ٢٣٣.

(٣) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٢٨.

(٤) لسان العرب، فصل الشين: ١٠/ ١٨٥.

البراء بهذا الخصوص، (من النسوة الشواعر الفصيحات)[١]، وشهادة معاوية لها عقيب استذكار أبياتها التي رثت بها أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) إذ قال: (قاتلك الله والله ما كان حسان يحسن هذا[٢]، وَمَا تركت لقَائِل مقالا)[٣]، أمَّا بكَّارة الهلالية فقد جاء في وصفها (كانت من نساء العرب الموصوفات بالشجاعة، والإقدام، والفصاحة، والشعر، والنثر والخطابة حضرت مع علي بن أبي طالب حرب صفِّين، ولها هناك مقالات حماسية جعلت كل من سمعها يقدم على الهلاك بدون مبالاة بالعواقب)[٤]، وجاء أيضًا في حقها (وَكَانَ أخوها زيد، وَقد شهد مَعَ عَليّ بن أبي طَالب عَلَيْهِ السَّلَام صفّين،... وكانت امرأة فصيحة)[٥]، وكذلك (كان جنده (أي أمير المؤمنين) أحفل الأجناد بذوات القول الفصل، والرأي الجزل من النساء، ولهن في صفِّين مقامات ومواقف، أشجت حلوق العدو وصكت أسماعهم، وروعت نفوسهم، ومن هؤلاء بَكَّارة الهلالية، وسودة ابنة عمارة، وآمنة بنت الشريد، وأم سنان بنت خيثمة، وكثيرات من نظائرهن وأشباههن، ممن أوتين جوامع الكلم، وجمعن أشتات الحكم)[٦]، وأيضًا الزرقاء بنت عدي الهمدانية (وكانت امرأةً فصيحةً، جَزْلَةَ الرأي، سريعةَ الجواب[٧]، وَكَانَ لَهَا

(١) تاريخ دمشق: ٧٠/ ٢٠٣ .

(٢) تاريخ دمشق: ٧٠/ ٢٠٤.

(٣) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٤٤.

(٤) الدر المنثور في طبقات ربات الخدور: ٩٩.

(٥) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٧١.

(٦) المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها: ٢/ ١٢٠.

(٧) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان: ٨/ ٩١.

لِسَان وعقل)[١]، وأخيرًا ما جاء في حق عكرشة بنت الأطش وردِّ معاوية بن أبي سفيان عليها بعدما حاججته في أمر الصدقات وأفحمته بقولها: (مَا فرض الله لنا حَقًا جعل فِيهِ ضَرَرا على غَيرنَا وَلَو علم جلّ ثَنَاؤُهُ إِنَّ فِي مَا جعل لنا ضَرَرا على غَيرنَا لما جعله لنا وَهُوَ علام الغيوب قَالَ مُعَاوِيَة: هَيْهَات يَا أهل الْعرَاق قد فقهكم عَليّ بن أبي طَالب فَلَنْ تطاقوا)[٢].

ويمكن ملاحظة ما ذكر من قيود في خصوص المتكلم الفصيح البليغ في مقولاتهن الولائية التحريضية بعد قراءة تلك النصوص من جهتين هما:

أ ـ القوة في التأثير:

وتلحظ من عدم نسيان تلك النصوص من جهة جبهة العدو بعد مرور الزمن، وتغير الأحوال، فتارة يُستذكر كلام إحدى النساء من لدن معاوية، وثانية يُستذكر كلام ثانية من لدن حاشيته المقربة، وثالثة من لدن أحد جلسائه، وفي ذلك دلالة بينة على أنَّ تلك المقالات قد أوجعت تلك الجبهة إلى الحدِّ الذي جعلها تثبت في الأذهان، وتختزن في الذاكرة، فتسترجع مرة أخرى حاكيةً عن أثر ووقع شديدين، ويُستشفُ من ذلك بلوغ تلك النسوة بكلماتهن تلك الغايات، وتحقق مرادهن في الجبهة المذكورة، مع أنَّها ليست جهة الخطاب المباشرة؛ فالمخاطب الخارجي المباشر كان جبهة أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه)، (أفرادًا أو جماعات) مع اتساع في دائرة القصد ليعمَّ الجبهة الأُخرى كما مرَّ، بالاستعانة بعامل التنقل، والحركة،

(١) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٦٣.

(٢) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٣٩.

وعـدم التموضـع في مـكان واحـد، وعليـه إذا اتضـح الأثـر في جهـة الخطـاب الأبعـد (غـير المبـاشرة)، فالتأثـير وبلـوغ القصـد في جهـة الخطـاب الأقـرب يكـون أكثـر تحققًـا، و مـن شـواهد ذلـك، مـا جـاء في معـرض حديـث معاويـة مـع عكرشـة بنـت الأطـش (وَكَأَنِّي أراك عـلى عكازتـك هَـذِه وَقـد انكفـأ عَلَيْـك العسـكران يَقُولُـونَ هَـذِه عكرشـة بنـت الاطـش، فـإن كـدت لتؤلبـين عَـليّ أهـل الشَّـام...)[١]، وكـما تقـدّم وصـف مقـالات بـكَّارة الهلاليـة، (ولهـا هنـاك(أي في صفّـين) مقـالات حماسـية جعلـت كل مـن سـمعها يقـدم عـلى الهـلاك بـدون مبـالاة بالعواقـب)[٢]، وتعقيـب معاويـة عـلى مقالـة أم الخـير بقولـه: (يَـا أم الخَـيْرْ وَالله مَـا أردْت بِهَـذَا الـكلام إِلَّا قَتْـلِي)[٣]، تعظيـماً لشـدة منطقهـا، وقـوة تأثـيره آنـذاك، فكأنَّـه حـدُّ سـيف صقيـل، والأثـر الـذي أحدثـه تحريـض أم سـنان بنـت خيثمـة المذحجيـة في نفـس معاويـة، الـذي جعلـه يبيـت ليلتـه وليـس عليـه شيء اشـد مـن كلامهـا[٤]، فيُعَـدُّ هـذا التعاطـي المتحقـق في الخـارج مـع النـصِّ الولائـي، تغذيـة راجعـة كاشـفة عـن تحقـق أثـر العمليـة الإعلاميـة بصـورة عامـة، كـما ويدلِّـل تحقـق الأثـر- الـذي عـمَّ كل مـن طـرفي جبهـة القتـال- بنحـو خـاص، عـلى عامـل نجـاح مهـم في المرسـل مـن جهـة حيازتـه المؤهـلات المطلوبـة، منهـا أنَّ نسـاء صفِّـين قـد ناسـبن بـين الـكلام والحـال المقتـضي لـه وأجـدن في التوظيـف بـين اللفـظ والمعنـى المطلـوب إيصالـه، فبلغـن بألفاظهـن الغايـة في التعبـير عـن المعنـى المـراد، ليحـدث

(١) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٣٨.

(٢) الدر المنثور في طبقات ربات الخدور: ٩٩.

(٣) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٣١.

(٤) الفتوح: ٣/ ٦٥.

التأثير الملموس في الخارج، وهذه من قيود بلاغة الكلام والمتكلم، كذلك جعل تراكيب النَّص قويةٌ، ذات فائدة، مع إغناء واضح في الدلالة، وهما من قيود المتكلم الفصيح .

ب- تعدد المشاركات الولائية الإعلامية للنسوة في صفّين :

صرّحت بعض ترجمات نسوة صفّين عن تعدد مشاركاتهن، ومقالاتهن في أحداث صفّين المختلفة ومواقفها المتعددة، وممّا جاء في هذا الخصوص في ترجمة بَكَّارة الهلالية (ولها هناك (أي في صفّين) مقالات حماسية)[١]، وأيضًا ما ذُكر لها من كلام يؤيد ذلك معقبة على كلام حاشية معاوية المحرضّة ضدها مخاطبةً معاوية (وَأَنا وَالله القائلة مَا قَالُوا وَمَا خَفِي عَلَيْك مني اكثر)[٢]، وفي ترجمة الزرقاء بنت عدي الهمدانية (شهدت مع قومها واقعة (صفّين) وخطبت فيها مرات تحرّض الناس على قتال معاوية)[٣]، وأيضًا عندما طلب منها معاوية أن تستذكر شيئًا من مقالاتها في صفّين بقوله: (وهل تحفظين مِمَّا كنتِ تقولين شيئًا؟ قالت: لا والله، قال: فأنا أحفظُ منه كأنِّي بكِ...)[٤]، فيفهم من قوله: (أحفظ منه) التبعيض بدلالة حرف الجر (من)، فيورد مستذكِرًا بعض الكلام، ممَّا يعني أنَّ لها كلام آخر لم يحفظه سواء أكان في نفس الموقف المستذكَر، أم في مواقف أخرى، وأيضًا ممّا جاء في خبر أم الحريش مع معاوية عندما ذكّرها بمقولتها في خصوص حادثة مقتل

(١) الدر المنثور في طبقات ربات الخدور: ٩٩.
(٢) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٧٢.
(٣) الأعلام، الزركلي: ٣/ ٤٤.
(٤) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان: ٨/ ٩١.

عمّار بن ياسر (رضوان الله تعالى عليه)، فقَالَ لها: (أخبريني كَيفَ كَانَ كلامك يَوْم قتل عمار بن يَاسر)[١]، إذ يفاد من قرينة التخصيص هذه احتمال كون لها مشاركات أُخرى بمواقف أخرى يعلم بها معاوية، ولعله استذكر هذه المقولة بالذات لتميزها في الأثر بدلالة قوله: (يَا أم الْخَيْر وَالله مَا أردْت بِهَذَا الكلام إِلَّا قَتْلِي)[٢]، يُضاف إلى ذلك ما كانت لِتُشخَص تلك النساء وتُعرَف معرفة واضحةً لدى العدو لو لم تكن لهن مشاركات متعددة عزَّزت تلك المعرفة من جانبه، وأنَّ دورهن غير مقتصر على مقولة واحدة، مع تمايز في انطباق هذا الكلام على كل واحدة منهن، وقد يشير نسيان تلك المقولات من لدن بعضهن عندما طُلب منهن استذكارها كما كان مع الزرقاء بنت عدي الهمدانية (قال لها معاوية: هل تحفظين كلامك قالت والله ما أحفظه...)[٣]، وأيضًا جواب أُم الخير بنت الحريش لمعاوية عندما سألها عن مقالتها (قَالَ: اخبريني كَيفَ كَانَ كلامك يَوْم قتل عمار بن يَاسر قَالَت لم اكن رويته قبل وَلَا درسته بعد وَإِنَّهَا كَانْت كَلِمَات نفثهن لساني حِين الصدمة ...)[٤]، ورد أُم البراء بنت صفوان بن هلال عندما سألها عن خصوص أبياتها التي رثت بها أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه)، (فكيف قولك حين قتل قالت: أنسيته)[٥]، إلى ترجيح كفة الكثرة التي يكون النسيان فيها أدعى ممّا لو كانت المشاركة واحدة، ومن كثرة مشاركة النسوة في صفِّين وتعدد مقالاتهن، تتجلى

(١) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٢٨.
(٢) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٣١.
(٣) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٦٥.
(٤) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٢٨.
(٥) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٤٥.

في شخصيات هؤلاء النسوة أو بعضهن على أقل التقادير خصيصة القابلية البيانية، وملكة التعبير عن المعنى المقصود في كل موقف بالإضافة إلى سرعة البديهة، وارتجال الكلام بما يتناسب ومجريات الأحداث على اختلافها، دون تهيئة أو سابق إعداد مع الفائدة والدلالة، وهذه من قيود المتكلم الفصيح.

وقد يرجع امتناع من تذرعت بالنسيان منهن من استذكار الكلام فيما بعد، هو اقتفاءً لسيرة العقلاء والمتشرعة، والجري على سُنَّتهم في اتقاء بطش الظالم وسطوته، والحال آنذاك اقتضى ممارسة التقية، فكان التذرع بالنسيان سبيلًا للخروج بأقل تبعة ممكنة، مع عدم إنكار أيٍّ منهن لما قالته من كلام آنذاك .

وممّا يكشف أيضًا على حيازة هؤلاء النساء على ملكة الفصاحة والبلاغة هو تركيبة النَّصِّ الإعلامي اللغوية، وتوظيف الأساليب البلاغية المتميزة المتعددة داخل النَّصِّ مضفيةً على متانة المعنى جمالية، وبلاغة متميزة (وسيرد تفصيل هذا الكلام لاحقًا في الصياغة اللغوية والاساليب البلاغية في الرسالة الإعلامية إن شاء الله تعالى).

٤ـ الإحاطة والإلمام بموضوع الرسالة مع ترتيب الأولويات:

من عوامل نجاح المرسل فيما يتعلق بموضوعه المُثقِف له أيضًا، أنَ يحيط به من وجوهه كافة، وأن يُلم بتفصيلاته ويجمعها، ومن هنا لابُدَّ له من معرفة في أي نوع يندرج تحته موضوع رسالته، فهل هو في نوعه عقدي، أخلاقي، اجتماعي،...الخ يضاف إلى ذلك، أن تكون له دراية بما يرتكز ويستند عليه هذا الموضوع من أدلة وحجج على حسب ما يعتقد به جمهور الخطاب،

واستناد الموضوع أمر ضروري ضمن محتوى الرسالة الإعلامية لدخالته المهمة في عملية إقناع المخاطب به، يرافقه معرفة وافية بالداعي المستوجب لهذا الموضوع المطروح، مع ترتيب أولويات الطرح بما يتناسب وهذا الداعي، وبعبارة أُخرى جامعة، لابدَّ للمرسل من ثقافة شاملة حول موضوعه ككل تمتد إلى تفاصيله وجزئياته، وأسباب طرحه، التي بدورها (أي الثقافة) تساهم في إغناء المرسل معرفيًا في الطرح وتساعد في فهم المتلقي وإقناعه .

ممَّا تقدّم تبين أنَّ المحور العام في النصوص النسوية في صفّين هو الولاء الحاكي عن عقيدةٍ في وجوب نصرة أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) واتباع منهجه، وقد تقدَّم أيضًا في أهداف الإعلام فصل وتمييز الهدف العقدي عن الهدف الجهادي، لأنَّ الكلام هناك كان عمَّا انطوى عليه الخطاب من أهداف، وما أداه من وظائف، بصرف النظر عن تلاقي العناوين ضمن وحدة الموضوع، فأُخذ في الجانب العقائدي خصوص المفاهيم العقدية المُضَمنَة في النَّص، المستقاة من الشرع المقدس والمتشخصة خارجًا في شخص أمير المؤمنين (عليه السلام)، وتم أدراجها ضمن الهدف الإعلامي العقدي، أمَّا الجانب التفعيلي لهذه العقيدة وهو الجهاد فقد أُخذ هو الآخر مستقلًا في مقاطع النُّصوص التي أشارت إليه، وأُبرز بوصفه هدف بذاته من أهداف الإعلام، كان هذا من جهة الأدوار الملحوظة والأهداف المقصودة، المعالجة في النُّصوص، أمّا من جهة موضوع الرسالة وتجلياته، فيندرج الجهاد الذي هو أجلى مصاديق النصرة وأعلاها تحت عنوان عقيدة الولاء لأمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه)، إذ إنَّ الولاء العقدي، هو الاتباع والنصرة

لأمير المؤمنين (عليه السلام) فيدخل الجهاد بوصفه المصداق الأبرز للنصرة، ضمن موضوع الولاء، فصار موضوع الرسالة عقديًا ولائيًا ذا سمة جهادية واضحة، وقد عززت هؤلاء النسوة موضوع الرسالة هذا بالاستنادات المتنوعة، فتارة شرعية من قرآن أو سنة، وأُخرى توثيق وسرد للأحداث، والوقائع المعاشة والمتسالم عليها من لدن المخاطبين (وسيرد تفصيله إن شاء الله تعالى في موضوع الرسالة الإعلامية)، وأمَّا الداعي لإبراز هذا الموضوع هو معركة صفّين بما تختزن من صراعات قديمة مثوارثة وقد أخذ (الداعي) مجالًا واضحًا ومساحة ملفتةً في النصوص، إذ تم التعرض إلى المعركة وأصولها في الأسباب، وإنَّ إيراد هذه الأمور المتعددة والمتنوعة؛ إنَّما يعكس إلمامًا واحاطةً مع قابليةٍ متميزة في إيصال الرسالة، امتازت بها تلك الشخصيات النسوية.

ويضاف إلى عوامل نجاح المرسل جهة ترتيب الأولويات في الخطاب، كذلك قد تميزت الشخصية النسوية في صفّين بوصفها قائم بالإرسال بميزة ملاحظة الأولويات والتركيز على ما يشغل ويشبع تلك الأولويات من طرح، لتتحصّل في النهاية الاستجابة المطلوبة لداعي الخطاب وهو الحرب، وعليه فقد احتلت مسألة بث روح الحماسة في القتال، والتحريض على ملاقاة العدو، والاستبسال في اللقاء، بصورة مباشرة أولى الأولويات من جهة الترتيب، والأكثر حيزًا من جهة مساحة الخطاب، لتعكس ترجمة حيَّة لظرف الحرب، التي من أهم متطلباتها تلك الأولوية، يضاف إلى ذلك الدفع غير المباشر باتجاه الجهاد في الحرب، في المساحة الأخرى من الخطاب التي تم فيها بيان وتوضيح الحقائق المختلفة، منها مثلًا عند بيان جبهة الحق أو من يمثل

الامتداد النبوي الواقعي، أو بيان الصفات والمناقب والمؤهلات التي انفرد بها أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) المشيرة إلى أحقيته دون سواه، فمثل هذا البيان إنَّما سيق من أجل ضرورة تحصيل الالتفاف حوله إذ إنَّه سبيل الحق الأوحد، ونصرته في هذه المواجهة، بالتقدم نحو العدو والجهاد ضده، أو عندما تبين النسوة مثلًا بطلان الجهة المقابلة، وفسادها، وأهدافها غير المشروعة، وإنَّها تمثل امتداد جبهة الكفر، فهذا يستدعي بالضرورة أيضًا تكوين الموقف المضاد من هذه الجبهة بمقاتلتها، وكسر شوكتها، ويلمس في ذلك كله التحريض غير المباشر في بث روح الحماسة في الجهاد، بالاستعانة بالواسطة وهي استعراض الحقائق، وبالتالي نجد أنَّ ترتيب الأولوية جاء متناسقًا مع الداعي الذي سيق من أجله الكلام، ومن الأمور الداعمة باتجاه إحاطة وإلمام المرسل برسالته هو تواجده المبكر في الظرف محل المقال والكون بالقرب من مركز الحدث، ومصدر الخبر، وقد تحقق هذا الأمر مع بعض النسوة، إذ أُبرز في نصوصهن، التي تضمنت اقتباسًا من كلام لأمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه)، وهو يعد أصحابه ويرتب صفوفهم قبل بدء المعركة، وملاقاة العدو (وسيرد الاقتباس في محله إن شاء الله تعالى).

٥ـ الأدوات المساعدة ومدى توظيفها باتجاه إيصال الرسالة:

والعامل الأخير من عوامل نجاح المرسل في مَهمته الإعلامية، هو مدى استثماره لما يُتاح له من أدوات ساندة تؤثر في بعض الجوانب باتجاه ايصال الرسالة إلى المتلقي، ومنها جانب لفت انتباه المخاطب وتوجيهه لمضمون الرسالة، وبالتالي التقدّم بقدر ما باتجاه تحريكه نحو الكلام تحصيلًا

للاستجابة، ومن تلك الأدوات المساعدة، الهيئة الخارجية، وكيفية الظهور حال الخطاب، إذ إنَّ لهما أثناء تأدية الرسالة، دور إعلامي ساند لا ينكر في مسألة جذب انتباه السامعين لرسالة المتكلم، لما يشتملان عليه من عناصر ألفات متنوعة؛ ومن تلك العناصر التي تم توظيفها من لدن بعض نسوة صفِّين الولائيات ضمن هيأة الظهور الخارجية وكيفيتها هي، نوعية الملبس وطريقة ترتيبه، اصطحاب الأدوات التي ترمز إلى الحرب والجهاد، عامل الحركة والانتقال، والصوت الجهوري، ويمكن أن يلاحظ هذا التوظيف والاستثمار للمتاح من هذه العناصر، في إعلام أُم الخير بنت الحريش فقد جاء في حقها هذا الوصف (كأنّي بهَا فِي ذَلِك الْيَوْم وَعَلَيْهَا برد زبيدي كثيف الْحَاشِيَة وَهِي على جمل وبيدها سَوط منشورة الضفيرة، وَهِي كالفحل يهدر فِي شقشقته)[1]، ونستطيع جمع ما استعانت به أُم الخير من عناصر في إيصال إعلامها إلى الجمهور وهي أولًا ثيابها، فكانت ترتدي بُردًا (وَالْبرد جمع بردة: ضرب من الثِّيَاب فِيهِ خطوط)[2]، فالثوب كان مخططًا، وهذا الضرب من الثياب له ميزة في لفت الانتباه التلقائي والتوجه غير المقصود للآخر مقدمة لجعله في نطاق دائرة المتلقي للخطاب مع مراعاة قيد التستر والاحتشام، فالثوب كان كثيف الحاشية وُيفاد من هذه اللفظة، الثقل في جوانب وأطراف هذا الثوب، ما يجعله أكثر سترًا وحفظًا ممَّا لو كانت الأطراف غير ثقيلة إذ إنَّها ستكون أقل ثباتًا وأكثر عرضةً للتأثر بأي مؤثر كالحركة السريعة لمن يرتديها مثلًا، والعامل المساعد الآخر الذي استثمر باتجاه إيصال الرسالة،

(١) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٢٨.

(٢) جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي: ١/ ٢٩٤.

عنصر الحركة في المعركة، إذ كانت تركب جملًا وتدور في ميدان الحرب إيغالًا منها في جلب انتباه المخاطبين، وزيادة في توجههم، أمَّا العنصر الساند الثالث في تحصيل هذه الغاية، أنَّها كانت تحمل بيدها سوطًا منشورة الضفيرة تعزيزًا مضافًا لجانب الحركة، وأخيرًا أنَّها كانت تهدر بصوتها كهدير الفحل في شقشقته، (والفحل إذا هاج هدر هديرًا)[١]، وفيه إشارة الى إلى توظيف مستوى عالٍ من الطبقات الصوتية وهو ما يصطلح عليه بالصوت الجهوري الأكثر جذبًا للسامع منه في الصوت المنخفض مع فائدة توسيع رقعة السامع، فالمتلقي لرسالة صاحب هذا الصوت، ومن الأدوات الساندة التي استعانت بها عكرشة بنت الأطش أيضًا ممَّا جاء في خبرها، (فَقَالَ لَهَا مُعَاوِيَة السِّتِ صَاحِبَة الكور المسدول وَالْوسط المشدود والمتقلدة بِالسَّيْفِ ذِي الحمائل؟،... وَكَأَنِّي أراك على عكازتك هَذِه وَقد انكفأ عَلَيْك العسكران)[٢]، هيأتها الخارجية من ثياب كالكور المسدول (الكَوْرُ: لَوْثُ العِمامة وَهُوَ إدَارَتُهَا على الرَّأْسِ)[٣]، أي كانت تعتمر عمامة على رأسها فوق الخمار، مسدولة الجوانب أي المرخاة والمرسلة جانباها من دون ضم[٤]، والوسط المشدود، وفيه إشارة إلى همتها وحماستها في ذلك اليوم، مصطحبة معها بين الصفَّين أدوات وهي السيف والعكاز، وهذه الأدوات وإن كانت تصب باتجاه جذب الانتباه، تُعد أيضًا أمرًا ساندًا من جهة رفع الهمّة القتالية، وتعزيز روح الجهاد الذي هو

(١) ينظر: الفرق، أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان الجشمي السجستاني: ١/ ٢٥٢.

(٢) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٣٧-٣٨.

(٣) كتاب العين: ٥/ ٤٠١

(٤) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر بمساعدة فريق عمل: ٢/ ١٠٥٠.

فرض الرجال في الجبهة لا فرضها، معرِّفةً بفعلها هذا قيمة الجهاد باستعمال الرمز وهو السيف، ليكون أبلغ في شد عزائم الرجال، ورفع هممهم، وأيضًا قد تقدّم في خبر الزرقاء بنت عدي الهمدانية أنَّها قد استعانت بجمل لتتنقل في أجواء المعركة، دعمًا في إيصال رسالتها في صفّين إلى الجمهور، وبهذا العامل تم الكلام عن عوامل نجاح إعلاميات صفِّين بوصفهن قائمات بالإرسال في قلب حدث هذه المعركة، التي تحققت بنسب متفاوتة في شخصيات هؤلاء النسوة، ويمكن القول أنَّه قد تحقق في الجملة نجاحهن بوصفهن إعلاميات من جهة حيازتهن هذه العوامل.

الفصل الثاني

رسالة إعلاميات صفِّين وعوامل نـجاحها (العوامل غير اللغوية)

أولاً ـ الرسالة الإعلامية في صفِّين:

تقّدم بيان الرسالة الإعلامية بشكل عام بأنَّها عبارة عن الفكرة أو الحقيقة التي يعبر عنها بالرموز أو العبارات والمطلوب إيصالها من المرسل إلى المتلقي، وقد اتضح أن عقيدة الولاء وتفعيلها خارجيًا بالجهاد كان الفحوى الأساس في الرسالة الإعلامية النسوية في صفّين، وقد اشتملت هذه الرسالة على مجموعة من المدعمات التي دفعت بقوة باتجاه تقديمها إلى المتلقي واضحة وناضجة لتساهم بقدر مهم في تحقيق الأثر المنظور من العملية الإعلامية، فسنتعقب مؤهلات نجاح الرسالة الإعلامية النسوية وعناصر نضجها وتأثيرها، بإيراد ما استبان منها وتوضيحه، سواءً أكان من جهة التدعيم اللغوي أم غيره.

ثانياً ـ عوامل نـجاح رسالة إعلاميات صفين (غير اللغوية):

١/ الصدق والموضوعية في طرح الحقائق:

إنَّ من أهم قيود نجاح الرسالة في الإعلام هو الصدق في المعلومة المُسَوَقة، وإنَّ عرض المعلومة الصادقة إلى الجمهور من لدن الإعلامي الناجح، يسبقه عملية تنقية وتنقيح في المعلومات وانتخاب الصادق منها، المتحقق في الواقع، ومن ثُمَّ تَبني عرضه، وإيصاله إلى المتلقي، وعامل الصدق له الأثر الأكبر باتجاه

تحقق هدف العملية الإعلامية، إذ إنه سيساهم بتميز في تأثر المتلقين بمضمون الرسالة الصادقة ومن ثم استجابتهم، ومع عدم توفر قيد الصدق أو احتماله في موضوع الرسالة في العملية الاتصالية، تخرج عملية العرض هذه من دائرة الإعلام وتدخل تحت عنوانات أُخرى كالدعاية مثلًا[١]، لتقوّم الإعلام بالصدق كمَّا مرَّ، ويمكن الاستدلال على صدق الرسالة الإعلامية النسوية في صفّين عن طريق ما اشتملت عليه من اخبارات متسالم على صدقها وصحتها داعمةً لموضوعها، كالأدلة النقلية من الكتاب أو السنّة، وأيضًا ما تضمنته من درجٍ للأحداث والوقائع التي قد اشترك فيها بعضٌ من المخاطبين كمعارك الإسلام الأولى، وإنَّ إدراجها بوصفها دليل على رسالة المتكلم ضمن جمهور قد أسهم فيها يُعَد من مؤكدات صدقها، أما الموضوعية فتعني (نقل الأخبار والأحداث والمعلومات بطريقة حيادية دون أي تدخل وهذا ما يميز الإعلام عن غيره من وسائل الاتصال الأخرى)[٢]، فتُنقلُ الرسالة بلا تجيير، أو تحريف أو توجيه باتجاه ما يؤثر في حياديتها المطلوبة، فكان هدف إعلام صفِّين النسوي هو بيان الحق ونصرته بعيدًا عن المآرب والغايات الشخصية، أو المنافع والمردودات المادية، وتبعًا لذلك كانت الرسالة الإعلامية في صفِّين صادقة وموضوعية.

٢/ تضمين المرجعيات الدينية الساندة لموضوع الرسالة:

إنَّ مرجعية المتكلم الثقافية عبارة عن الخلفية المعرفية والمخزون المعلوماتي، المستقيان من مصادر المعرفة المتنوعة في بيئته، ومن تجاربه، وقيد الدينية يراد

(١) ينظر: الإعلام والدعاية، عبد اللطيف حمزة: ٧٨ وما بعدها.

(٢) ينظر: العلاقات العامة، عبد الرزاق الشيخلي، د. فاخر جاسم سلمان، فضيلة صادق زلزلة: ٧٥.

منه خصوص المعارف التي يكون الدين أساسها ومصدرها، فتصبح النُّصوص الدينية من قرآن وسنة، مادة مهمة ومطلوبة لدعم رسالة المتكلم، وخصوصًا في المواقف التي تتطلب مناصرة الحق، والدفاع عن القيم الثابتة، ويتطلب في ايراد هكذا مرجعيات في الخطابات وجود بيئة خطاب ملائمة، ومخاطبين معتقدين بتلك النُّصوص مسلَّمين بحُجيتها، ولهذا تم تضمين هذا النوع من المرجعيات في النَّصِّ الولائي النسوي في أحداث صفِّين، سوقًا للحجة والدليل في بيان جهة الحق، والدعوة إلى نصرتها ضمن نَصِّ المقال، الذي تضمن أنحاء مختلفة من أساليب الخطاب كالوعظ والإرشاد، ورفع الهمم وشد العزائم، أو الانذار والتحذير، فتمَّت الاستعانة في بعض النُّصوص الولائية بآيات من القرآن الكريم إمَّا (نصًّا أو مضمونًا)، والمفردات الروائية الشريفة، بوصفهما أهم مرجعيتين للفرد المسلم، ليكون أبلغ في الحجة على المخاطبين من كلا الجبهتين، جبهة الحق والجبهة المخالفة، لدخولها في دائرة الإسلام ظاهرًا، وقد أحسنَت هؤلاء النسوة انتخاب الآيات المباركة والمضامين الروائية، ووفقن في المناسبة بين هذه المضامين والداعي الذي سيق الكلام من أجله (الحرب) في كل نحو من الأنحاء التي تضمَّنها الخطاب، ممَّا يؤشر على أنَّ الثقافة الدينية بشقيها القرآني والنبوي كانت خصبة عند هؤلاء النسوة الولائيات وحاضرة بقوّة، فضمنَّها في خطاباتهن في صفِّين على نحو متميز، وسنعمل على بيان ذلك بالآتي:

أ/ القرآن الكريم:

نزل القرآن الكريم على أمة العرب ذات الشأن المعلوم في البلاغة والبيان، ببلاغة وبيان مُعجَز، ولأنَّهم قد خبروا صنعة الكلام، وكانوا على دراية بفنونه وأساليبه؛ أدركوا القيمة العالية للأُسلوب القرآني، الأمر الذي أحدث

تأثرًا من جهتهم بهذا الإعجاز، مُحدِثًا نقلة نوعية في خطاباتهم باتجاه التحديث الأُسلوبي في الطرح العربي، فارتقت أساليبهم مترفعة عما كان يتضمّنه بعض الطرح الخطابي أو الشعري العربي من ابتذال، أو اسفاف يحاكي طبيعة المجتمع الجاهلي آنذاك، فأصبحت لغتهم سلسلة وأساليبهم أقرب إلى السهل الممتنع، وأصبحوا يستحضرونه في خطاباتهم سواء أكان بالقصد أم مع عدمه، ويمكن أن نكتشف قصدين في السعي للتضّمين القرآني هما: التضّمين بقصد رفع قيمة النَّص بلاغيًّا، وهناك تضمين آخر يندرج تحت قصد الحِجاج والبرهان؛ لما يحمل النَّصِّ القرآني من حجية متفق عليها في وسط التخاطب الإسلامي، وعندما نتصفح مقالات النسوة الولائيات نجد أنَّ بعضهن قد استعملن كلا القصدين، فضمَّنَّ القرآن (نصًا أو معنىً) من أجل رفع قيمة الرسالة الإعلامية، واضفاء رشحة من الرفعة والشأن على الخطاب، وكذا من جانب آخر قصدنَّ إلزام الحجة والبرهان على الحق، والدفع باتجاه التزام سبيله وهذا ما سيُنظر في موضوع التضّمين القرآني، وشواهده في النَّصِّ الولائي هي:

في نَصّ أم الخير بنت الحرشي نرى تميّزًا في حسن التوظيف والتضّمين القرآني، فقد نوّعت في الآيات، والمضامين القرآنية الشريفة المناسبة لأنحاء كلامها في صفّين، فعندما وجهت خطابها للجهة التي حاولت الفرار من جيش أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) انتخبت الآية الأولى من سورة الحج وهو قوله تعالى: ﴿يَا أَيهَا النَّاس اتَّقوا ربكُم إِن زَلْزَلَة السَّاعَة شَيْء عَظِيم﴾، مُعقبة عليها بقولها: (إنَّ الله (عزَّ وَجلَّ) قد أوضح الْحق، وأبان الْبَاطِل، وَنوَّر

السبل، وَرفع الْعلم، فَلم يدعكم فِي عمياء مشتبهة، وَلَا عشواء مدلهمة..)[١] داعيةً مخاطبيها إلى التزام التقوى، والتقديم لهول يوم أكبر، ونقرأ من انتخابها لهذه الآية القصدية في تحريك عقل من أراد الفرار باتجاه مقايسة بين ما هم عليه من موقف يرونه شديدًا وبين ما سيكون عليه موقف يوم القيامة الذي لا يقاس بشدته موقف آخر مهما عظُم، ليستصغروا شدة ما هم فيه، فيصبروا ويثبتوا، درأً لمصاعب هول الساعة، خصوصًا بعدما تجلّى لهم المنهج الحق بصورة لا ريبَ فيها ولا اشتباه، ثم وظّفت آية أخرى لدعم جزء آخر من الخطاب بعدما قالت: (فَإِلَى ايْنَ تُرِيدُونَ رحمكم الله أفرارًا من أَمِير الْمُؤمنِينَ وَمن الزَّحْف أم رَغْبَة عَن الإسلام أم ارْتِدَادًا عَن الْحق أما سَمِعْتُمْ الله تَعَالَى يَقُول: ﴿ولنبلونكم حَتَّى نعلم الْمُجَاهدين مِنْكُم وَالصَّابِرِينَ ونبلو أخباركم﴾)[٢] (محمد:٣١)، مبينة أنَّ (الفرار من أمير المؤمنين، الرغبة عن الإسلام، الارتداد عن الحق) علامات الخاسرين بمعرض ابتلاء الحرب، ثُم استعانت بانتخابها الآية المباركة على الفات انتباه المخاطبين إلى أهمية الصبر والجهاد في حسم النتائج في هذه الحرب، إذ وفقت في المناسبة بين موضوع الآية الذي يتكلم عن الابتلاء واجتيازه بالصبر والجهاد، وبين موقف الحرب بوصفها ابتلاءً ومتطلباتها في الحسم بالتزود بمجاهدة النفس بالصبر والثبات، ومجاهدة العدو بالملاقاة والقتال، وفي جزء آخر من كلامها وظّفت كذلك آية مباركة تناسب ما ساقته من كلام قبل إيراد الآية وبعدها فقالت: إِنَّهَا إحن بدرية، وضغائن جاهلية واحقاد أُحدية، وثب بهَا مُعَاوِيَة عِنْد الْغَفْلَة ليدرك بهَا الفرصة من ثَارَاتِ بني

(١) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٢٩.

(٢) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٢٩.

عبد شمس، ثمَّ قَالَت مقتبسة الآية الثانية عشرة من سورة التوبة وهو قوله تعالى: ﴿فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ﴾[1]، معقبةً بعدها بالقول: (صبرًا معاشر المُهَاجِرين وَالْأَنْصَار قَاتلُوا على بَصِيرَة من ربكُم، وثبات من دينكُمْ، وَكُونُوا قومًا مستبصرين..)[2] فأرادت هنا شحذ الهمّة واستنهاض الروح القتالية، وتجلّت المناسبة في التوظيف بين موقف صفِّين وموضوع الآية المختارة، فالآية تتكلم عن مقاتلة الكفار والكفر مفهوم له مراتب، ويتحقق في الخارج بتواجد مصاديقه المنطبقة عليها قيوده ومنها ما جاء في الآية المباركة ﴿.. وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (المائدة ٤٤)، فجبهة معاوية الباغية لم يؤمنوا بكثير ممّا أنزل الله تبارك وتعالى وأعظم ذلك ولاية أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه)، التي بها قوام دين الله تعالى، فأشارت إلى ارتباط معاوية بن أبي سفيان بجبهة الكفر الأولى، عن طريق ذكر مواقف أسلافه من الدعوة، إذ كانوا يمثلون جبهة الكفر الصريحة، وإنَّه اليوم يمثل امتدادهم في محاربة الدين من داخله، فحرّضت المهاجرين والأنصار الذين كانوا لهم أدوارًا متميزة في المعارك الأُولى على استكمال أدوارهم تلك، في مقاتلة الجبهة الجديدة لاتحاد داعي القتال في كل من الجبهتين، ثم استعانت بمضمون آخر مقتبس من قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ (البقرة:١٦) إذ فقالت: (باعوا الْآخِرَة بالدنيا،

(١) ينظر: أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٢٩.

(٢) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان، العباس بن بكار (أو ابن الوليد بن بكار) الضبي: ٢٩.

واشتروا الضَّلَالَة بِالْهدى، وَبَاعُوا البصيرة بالعمى)[١] بمعرض وصفها الجماعة التي أرادت الفرار من القتال بمقارنة موقفهم مع مواقف المنافقين المقصودين من الآية، في خصوصية التقلب في الحال إذ وفقت في الاقتباس القرآني ومناسبته لظرف الخطاب الذي ساد فيه التخلخل والتباين في الموقف، والاختلاف بالتخلف عن المنهج الحق لتستعين بمقتبس آخر عن قوله تعالى: ﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ﴾ (المؤمنون: ٤٠) الذي تحدّث فيه تعالى عن العقوبة القريبة من المكذبين التي نالت مُكذِّبي إحدى الامم برسالة نبيِّهم، وأيضًا من قوله تعالى: ﴿فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ﴾ (الشعراء:١٥) حاكيًا عن عاقبة قوم صالح بعد تكذيبهم لنبيهم وتفعيل هذا التكذيب ميدانيًا بارتكاب أعظم ذنب قد نهوا عنه وهو عقر الناقة، فقالت: (وَعَمَّا قَلِيلٍ لتُصبِحُنَّ نادمين حِين تحل بكم الندامة فتطلبون الإقالة)[٢]، لتومئ إلى العقوبة المعجَّلة التي تحل عقب ارتكاب بعض الذنوب، محذِّرةً مخاطَبيها بأنَّ فعلهم هذا في التراجع وعدم الثبات قد تلحقه عقوبة إلهية تجرهم إلى ندم لا يتخلصون منه بإقالة، فدعت إلى المبادرة الحقيقية في النصرة وعدم التواكل والخذلان وتدارك التقصير قبل فوات أوانه، وقبل إتيان يوم لا مهرب فيه من عقاب الله مستعينة بقوله تعالى من الآية الثالثة من سورة ص: (﴿... ولات حِين مناص﴾)[٣].

وفي نَصِّ الزرقاء بنت عدي الهمدانية، ضمَّنت اقتباسين الأول (ولكن ليقضي الله أمرًا كان مفعولًا) من آيتين في سورة الانفال، من قوله تعالى: ﴿إِذْ

(١) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٣٠.
(٢) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٣٠.
(٣) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٣٠.

أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ * وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا * لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (الانفال:٤٢)، ومن قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ *لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا * وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾(الانفال:٤٤)، والاقتباس الآخر (ولله عاقبة الأُمور) من قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ * وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ (الحج:٤١)، ومن قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى * وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ (لقمان:٢٢)، مناسِّبةً بين مواضيع الآيات المباركة، ومتطلبات ظرف الخطاب، فقالت: (فصبرًا يَا معاشر الْمُهَاجِرِي والأنصار على المضض، فَكَانَ قد التأم شعب الشتات، وَظَهَرت كلمة الْعدْل، وَغلب الْحق باطله، فَلَا يعجلن أُحْدُ فَيَقُول كَيفَ وأنى؟ وَلَكِن ليقضي الله أمرًا كَانَ مَفْعُولا، وَللَّه عَاقِبَة الْأُمُور)[1]، مُحدِثَة ربطًا متناسقًا بين صفِّين ومعركة بدر موضوع آيتي الانفال من جهة، وصفات المؤمنين موضوع آيتي الحج ولقمان من جهة أخرى، بعد أن دعت مخاطبيها المباشرين من (المهاجرين والأنصار) إلى الصبر في المواجهة، والثبات على الموقف، تحصيلًا لرأب صدع الفتنة وظهور العدل وغلبة الحق، لتعقب بعد ذلك مبادِرَةً بجواب لسؤال مفترض عن إمكانية تحقيق مثل هكذا نتيجة على الرغم ممَّا ساد الموقف من تراجع، فترجعه اجمالًا إلى

(١) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان:٦٥.

قضاء الله وإرادته الماضية في نصرة الحق، مذكِّرة بإيقاظ أذهان سامعيها بأن مآل الامور جميعًا بيد الله تعالى، مومئةً إلى مثال بدر من اقتباسها الأول التي انتصر الحق فيها على جبهة الكفر (أسلاف الجبهة الحاضرة) بقضاء الله تعالى فتذكِّر من عايش تلك المعركة من مخاطبيها بقيمة الصبر والصدق في الجهاد بتحصيل نتيجة النصر، وتدعوهم من جديد إلى انتهاج السبيل ذاته واعادة الكرة نفسها، مُلحِقَةً الاقتباس الثاني بالأول بلا فاصلة (ولله عاقبة الامور)، الوارد في سياق الآيات التي تعرضت للحديث عن فئة ممدوحة مرضيٌّ عنها قد التزمت أوامر الله تعالى مسلِّمةً، فاستمسكت بالعروة الوثقى مومئةً إلى مصداقها الأجلى أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه)، كما بيَّن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بقوله: (سيكون بعدي فتنة مظلمة، الناجي فيها من تمسك بعروة الله الوثقى، فقيل: يا رسول الله، وما العروة الوثقى؟ قال: ولاية سيد الوصيين، قيل: يا رسول الله، ومن سيد الوصيين؟ قال: أمير المؤمنين، قيل: ومن أمير المؤمنين؟ قال: مولى المسلمين وإمامهم بعدي، قيل: ومن مولى المسلمين؟ قال: أخي علي بن أبي طالب (عليه السلام))[1]، فصفِّين بوصفها معركة تتطلب صبرًا وجهادًا كبدر على مستوى الفعل، وتتطلب إيمانًا خالصًا لا شائبة فيه يُفعَّل بمتابعة أمير المؤمنين على مستوى الاعتقاد، وبتحقيق هذين المتطلبين من لدن المخاطبين سيتحصَّل النصر المنشود بإمضاء من الله تعالى، فمع ارجاعها الامور إلى إرادة الله تعالى، لم تهمل الأسباب الطبيعية المؤدية للنصر والمتعلقة بمخاطبيها كالصبر والثبات لتبيِّن بعد ذلك مؤكِّدة): إنَّ خضاب النِّسَاء الْحِنَّاء وإنَّ خضاب الرِّجَال الدِّمَاء،

(١) اليقين، السيد ابن طاووس: ٢٥٠ .

وَهٰذَا مَا بعده وَالصَّبْر خير فِي العواقب، إيهٍ إِلَى الْحَرْب قدمًا غير ناكصين، ولا متشاكسين فَهَذَا يَوْم لَهُ مَا بعده)[١].

أمَّا عكرشة بنت الأطش، فقد افتتحت نَصُّ خطابها بمضمون مقتبس من آية قرآنية بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ * إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (المائدة: ١٠٥) فقالت: (..ايُّها النَّاس عَلَيْكُم انفسكم لَا يضركم من ضل اذ اهْتَدَيْتُمْ..)[٢] داعمةً روح المواجهة، وعدم الانجرار إلى ما عليه جهة الباطل، وعدم اختيار بديل عن الجنة، والتزام سبيل الهدى المؤدي إلى خاتمة النجاة، كما ضمّنت أيضًا في مقالتها وصفًا قرآنيًا جاء على لسان اليهود بقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلاً مَا يُؤْمِنُونَ﴾ (النساء: ٨٨)، لتصف به أجناد الشام بقولها: (إنَّ مُعَاوِيَة دلف اليكم بعجم الْعَرَب غلف الْقُلُوب)[٣]، لترمز إلى المشابهة في الحال بين اليهود وأجناد الشام، فكلاهما قد غطى أداة البصيرة والمعرفة لديه وهو القلب بغطاء حاجب يمنع وصول نور الحقيقة مُصرًا على ماهو عليه من ضلال .

ب/ السنة النبوية الشريفة:

اشتملت أغلب النصوص النسوية على تضمين روائي متميز داعم لمحتوى نَصِّ الرسالة، وموظّفًا توظيفًا يناسب تداعيات حدث صفّين،

(١) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان:٦٥.
(٢) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٣٧.
(٣) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٣٨.

وإنَّ إيراد المضامين الروائية من لدن النسوة في صفّين، يكشف عن ثقافة شخصية تمتعن بها و بنحو ما يكشف أيضًا عن ثقافة مجتمعية كانت سائدة في الوسط الشيعي آنذاك، تجاه قضية أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه)، إذ من المعلوم أنَّ المرأة في المجتمع العربي أقل ظهورًا واحتكاكا قياسًا بنظيرها الرجل، فوصول الثقافة الروائية الولائية إلى داخل البيت الشيعي، وممارستها من لدن النساء لمؤشر على شيوع تلك الثقافة في الوسط الشيعي، ومؤشر كذلك على منهجية الشيعة الأبرار في اتباع أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) اتباعًا له ما يسنده في الشرع والعقل وليس اتباعًا أهوائيًا أو خاضعًا للمصالح، فما أن يتطرق أحدهم إلى ولاية أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) وإذا به يشرع ببيان دليل الإتباع، فمنهجية الدليل كانت سائدة في النَصِّ الولائي النسوي في مضامين الدليل الروائي، إضافة إلى إنَّ إدراج المضمون الروائي في النَصِّ الولائي له من الحُجية على الحق النصيب الأكبر لوقوعها في طول القرآن الكريم شارحةً له وحاصرةً وجه القصد الإلهي المراد في الخطاب القرآني بحيزه، رافعة بهذا الإبهام في القصد وورود الاحتمال، وعليه قد وجّهت النسوة الولائيات إلى غرضهن الولائي بمضامين روائية ذات دلالة حصرية باتباع أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) دون غيره، ويُفهم أيضًا من الجانب الآخر المطوي لإيراد مثل تلك المضامين ذات دلالة الحصر على أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) في النَّص الولائي التسقيط الإعلامي غير المباشر لكل من صادر حقه (عليه السلام) وتقمّصه، وإنَّ ايراد ألقاب أمير المؤمنين (عليه السلام) الحصرية المصادرة خصوصًا إنَّما يدل على ثقافة أصيلة للمتكلم وولاء لاعتقاد.

وسيتم تحديد الألفاظ الروائية المشتركة في النصوص وإرجاعها إلى رواياتها التي تم اقتباسها منها وهي :

١/ *الإمام*

في نص أم البراء بنت صفوان بن هلال

(أجب *الإمام* وذب تَحت لوائه *** وافْرِ الْعَدوَّ بصارمٍ بتار)[١]

وكذلك نجده في مقالة (أم الخير بنت الحريش) بقولها: (هلموا رحمكم الله إِلَى *الإمام* الْعدْل)[٢]، وأيضًا في مشاركة سودة بنت عمارة الهمدانية:

(إنَّ *الإمام* أخا النَّبِي مُحَمَّد *** علم الهدى ومنارة الإيمان)[٣] .

الإمام في النص الروائي النبوي:

لهذا اللقب (الإمام) تأصيلٍ شرعيٍّ نبويٍّ فهو لم يرد في النصوص الولائية عفو الخاطر، أو كان لفظًا ارتجاليًّا صدر دون قصد أو غاية؛ بل كان له أساس شرعي متَّنه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في أكثر من موقف ومناسبة؛ لما يحمل هذا اللقب من دلالة على المرجعية الحصرية بعد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وما يتبعه مترتبًا عليه من عدم المعذورية للناس في انتهاج سبيل آخر؛ ومن المواقف التي وثّقت هذا التأصيل النبوي :

ما ورد عن خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين (رضوان الله عليه) مخاطبًا

(١) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٤٤.

(٢) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٢٩.

(٣) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٦٧.

أبا بكر بن أبي قحافة: (ألست تعلم يا أبا بكر أنَّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قبل شهادتي وحدي قال: بلى، قال: فإني أشهد بما سمعته منه وهو قوله «إمامكم بعدي علي لأنه الأنصح لأمتي والعالم فيهم ..)[١]، وقوله (صلى الله عليه وآله وسلم): (هذا علي إمامكم بعدي ووصيي في حياتي، وبعد وفاتي، قاضي ديني، ومنجز وعدي، وأول من يصافحني على حوضي فطوبى لمن اتبعه ونصره، وويل لمن تخلف عنه وخذله)[٢]، وايضًا (لَّما نزلت هذه الآية: (لكل أمة جعلنا منسكا هم ناسكوه) جمعهم رسول الله ثم قال: يا معشر المهاجرين والأنصار إن الله تعالى يقول: (لكل أمة جعلنا منسكا هم ناسكوه) والمنسك هو الامام لكل أمة بعد نبيها حتى يدركه نبي، ألا وإن لزوم الامام وطاعته هو الدين وهو المنسك وهو علي بن أبي طالب عليه السلام إمامكم بعدي، فإني أدعوكم إلى هداه وإنه على هدى مستقيم)[٣]، وعنه(صلى الله عليه وآله وسلم) أيضًا أنَّه قال: (وهو إمامكم بعدي (أي علي بن أبي طالب)، فمن رضي بذلك لقيني على ما فارقته عليه، ومن غيّر وبدّل لقيني ناكثا لبيعتي، عاصيًا أمري، جاحدًا لنبوتي، لا أشفع له عند ربي، ولا أسقيه من حوضي)[٤]، وغيرها العشرات من الروايات النبوية الشريفة المثبتة لإمامة أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه).

---

(١) الرجال: ٦٦، اليقين: ٣٤١.

(٢) الصراط المستقيم، علي بن يونس العاملي النباطي البياضي: ٢/ ٨٢.

(٣) تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة، السيد شرف الدين علي الحسيني الأستر آبادي: ١/ ٣٤٩.

(٤) الاحتجاج: ١/ ١٥٧، اليقين: ٤٥٢.

٢/ *أمير المؤمنين*

وقد ورد هذا اللقب في نصٍّ أمَّ الخير، وذلك بقولها: (فَإِلَى ايْنَ تُرِيدُونَ رحمكم الله أفرارًا من *أَمِير المُؤمنِينَ*)[١].

أمير المؤمنين في النص الروائي النبوي:

وخصوصية هذا اللقب أنَّه لقب لا يحل لأحد سوى أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) مطلقًا، فهو من مختصاته اللصيقة به غير المتعدية لغيره حتى وإن كان المعدَّى إليه من أئمة الهدى الطاهرين (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين)، مؤكِّدًا هذه الخصوصية الإمام الحسن المجتبى (صلوات الله وسلامه عليه) عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) بردٍّ له على حِجر بن عدي الطائي عندما خاطبه بأمرة المؤمنين (فقال له: يا أمير المؤمنين يسعك ترك معاوية، فغضب غضبا شديدًا حتى احمرت عيناه، ودرت أوداجه، وانسكبت دموعه وقال: ويحك يا حجر تسمني بإمرة المؤمنين وما جعلها الله لي، ولا لأخي الحسين، ولا لاحد ممن مضى ولا لاحد ممَّن يأتي إلَّا لأمير المؤمنين وحده خاصة أو ما سمعت جدي رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال لأبي: إنَّ الله سماك بإمرة المؤمنين، ولم يشرك معك في هذا الاسم أحدًا فما يتسمى به غيرك، وإلَّا فهو مأفون في عقله ومأفون (مأبون) في ذاته)[٢]، ومن الأحاديث الموثّقة هذا اللقب لأمير المؤمنين (عليه السلام) أيضًا:

(١) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٢٩.
(٢) اليقين: ٢٥.

قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (إنَّ الله (عزَّ وجلَّ) قال: وانا قلته عن الله تعالى، إلا إنه ليس أمير المؤمنين غير أخي هذا، ولا تحل أمرة المؤمنين بعدي لأحدٍ غيره، ثُمَّ ضرب بيده إلى عضد علي فرفعه)[١]، وقوله (صلى الله عليه وآله وسلم): (وهو أمير المؤمنين وقائد الغر المحجلين...)[٢]، وفي حديث له أيضًا متحدِّثًا عن أمير المؤمنين (صل اله عليه وآله وسلم):(...خليفة رسول الله وأمير المؤمنين...)[٣]، وأيضًا: (إنَّ عليًّا أمير المؤمنين بولاية الله عزَّ وجلَّ، عقدها له فوق عرشه، وأشهد على ذلك ملائكته...)[٤]

٣/ *الصدِّيق* - ٤/ *الوصيّ*

جاءت هاتان اللفظتان في نَصِّ أم الخير بنت الحريش إذ قالت:

(هلمُّوا رحمكم الله إِلَى الإمام الْعدْل، والتقي الوفي، و*الصدِّيق* *الْوَصِيّ*)[٥].

الصدّيق في النص الروائي النبوي:

قد وردت لفظة الصدّيق بكثرة في الروايات النبوية الشريفة، وكثرة ورودها في النَصِّ النبوي ربَّما يكون من أهدافه تقديم معالجة نبوية استباقية، لمؤامرة مصادرة هذا اللقب من أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه)

(١) الاحتجاج: ١/ ٧٦، روضة الواعظين: ٩٤.
(٢) الأمالي، الشيخ الصدوق: ١٨٨، روضة الواعظين: ١٠٢،التحصين: ٥٥٠.
(٣) الاحتجاج: ١/ ٧٦، روضة الواعظين: ٩٤، التحصين: ٣٥٢.
(٤) التحصين: ٥٣٥.
(٥) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٢٩.

والصاقه بغيره انتحالًا وتقمّصًا، وعُلِل قرن هذا اللقب بأمير المؤمنين (عليه السلام) في أغلب الروايات؛ لسابقته في تصديق النبي (صلى الله عليه وآله) وإيمانه به، ومنها ما كان فيها الزام نبوي باتباع أمير المؤمنين (عليه السلام) لتحقق هذه الصفة له في جميع شؤونه (عليه السلام) فهو الصدِّيق فيما يبلغ عن النبي، والصدِّيق في قيادة الأمة، والصدِّيق في المحافظة على سُنَّة النبي،ومحاربة أعدائه، فكان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يلزم بولايته (عليه السلام) مستثمرًا هذه اللفظة بما لها من دلالات متعددة.

وايراد لقب الصدِّيق في نصٍّ أم الحريش كان موفقًا، وموظفًا توظيفًا مناسبًا مع موضوع النص الولائي ومن التوثيقات النبوية الشريفة لهذا اللقب لخصوص أمير المؤمنين (عليه السلام):

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : «إنَّ لكل نبي رفيقا» وهو أول من يؤمن به من أمته، وأنت أول من آمن بي، فأنت لي رفيقي في الجنة فأنزل الله عزَّ وجلَّ: (أولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدِّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا)، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لعليٍّ (عليه السلام) : يا علي قد أنزل الله عزَّ وجلَّ جواب ما سألت عنه، وجعلك رفيقي في الجنة، وأنت الصدِّيق الأكبر، لأنَّك أول من أسلم)[1]، وقوله (صلى الله عليه وآله وسلم): (هذا أول من آمن بي، وأول من يصافحني يوم القيامة وهو الصدِّيق الأكبر، وهو الفاروق

(١) شرح الأخبار، القاضي النعمان المغربي: ٢/ ٣٥٠.

الذي يفرق بين الحق والباطل)[١] وبلفظ آخر (أنت أوّل من آمن بي وأوّل من يصافحني يوم القيامة وأنت الصدِّيق الأكبر، وأنت الفاروق الذي يفرّق بين الحق والباطل، وأنت يعسوب المؤمنين، والمال يعسوب الكافرين)[٢]، وقوله (صلى الله عليه وآله وسلم): (خذوا بحجزة هذا الأنزع يعنى عليًّا، فإنه الصدِّيق الأكبر، وهو الفاروق يفرق بين الحق والباطل، من أحبه هداه الله ومن أبغضه أضله الله، ومن تخلَّف عنه محقه الله، ومنه سبطا أمتي الحسن والحسين، هما ابناي ومن الحسين أئمة الهدى أعطاهم الله فهمي وعلمي فاحبوهم، وتولوهم، ولا تتخذوا وليجة من دونهم، فيحلُّ عليكم غضبٌ من ربكم، ومن يحلل عليه غضب من ربه فقد هوى، وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور)[٣]، وعن علي (عليه السلام) أنَّه قال: (أنا عبد الله، وأخو رسوله، وأنا الصدِّيق الأكبر، لا يقولها بعدي إلا كذّاب، صليت قبل الناس بسبع سنين)[٤]، وأيضًا قول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (... يا علي أنت الفاروق الأعظم، وأنت الصدِّيق الأكبر، يا علي أنت خليفتي على

(١) شرح الأخبار: ٢/ ٢٦٤، روضة الواعظين:١١٥-١١٦، مناقب آل أبي طالب: ٢/ ٢٨٧.

(٢) ترتيب الأمالي الخميسية للشجري، يحيى (المرشد بالله) بن الحسين (الموفق) بن إسماعيل بن زيد الحسني الشجري الجرجاني: ١/ ١٨٩، اليقين: ٥١٤، إعلام الورى بأعلام الهدى، الشيخ الطبرسي: ١/ ٣٦٠.

(٣) بصائر الدرجات، محمد بن الحسن بن فروخ (الصفار): ٧٣-٧٤، الإمامة والتبصرة، علي ابن بابويه القمي: ١١٢، الأمالي، الشيخ الصدوق: ٢٨٥.

(٤) الآحاد والمثاني: ١/ ١٤٨، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي : ٦/ ٣٦٨، جواهر المطالب في مناقب الإمام علي (عليه السلام): ١/ ٧٠.

أمتي وأنت قاضي ديني وأنت منجز عداتي..)[١]، وقوله (صلى الله عليه وآله وسلم): (وإنه لهو الصدِّيق الأكبر، وهو بابي الذي أوتى منه، وهو خليفتي من بعدي)[٢]، وأيضًا عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنَّه قال: (إنَّ عليًّا مع القرآن والحق، حيثما دار دار، إنه أول من آمن بالله، وأول من يصافحني يوم القيامة من أمتي، وهو الصديق الأكبر والفاروق بين الحق والباطل، وهو وصيي ووزيري وخليفتي في أمتي ويقاتل على سنتي)[٣]، وعنه أيضًا (صلى الله عليه وآله وسلم): (أنت الصدِّيق الأكبر، ويعسوب المؤمنين، وإمامهم ترى ما أرى، وتعلم ما أعلم، وأنت أول المؤمنين إيمانًا، ولذلك خلقك ونزع منك الشك والضلال، وأنت الهادي الثاني، والوزير الصادق)[٤]، وعن ابن عباس عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: (إنَّ عليًّا صدِّيق هذه الأمة، وفاروقها، ومحدثها، وإنَّه هارونها ويوشعها، وآصفها، وشمعونها، إنَّه باب حطتها، وسفينة نجاتها، إنَّه طالوتها وذو قرنيها)[٥]

الوصي في النص الروائي النبوي:

وردت بوفرة في الموروث النبوي الشريف وتدل على حصر الوصاية النبوية بالأمير (صلوات الله وسلامه عليه) من بعد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لعدم ورودها في حق غيره (عليه السلام) ومن مواردها:

(١) عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ٢/ ٩.
(٢) معاني الأخبار: ٤٠٢، ينظر: تاريخ دمشق: ٤٢/ ٤٣.
(٣) كتاب سليم بن قيس، سليم بن قيس الهلالي الكوفي: ٤٠٢.
(٤) الثاقب في المناقب، ابن حمزة الطوسي: ١٠٣، اليقين: ٥٠٤.
(٥) الأمالي، الشيخ الصدوق: ٣٨، مناقب آل أبي طالب: ٢/ ٢٨٦.

عن ابن عباس قال: (كنت جالساً مع فتية من بني هاشم عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ انقض كوكب فقال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم: (من انقض هذا النجم في منزله فهو الوصي من بعدي)، فقام فتية من بني هاشم فنظروا فإذا الكوكب قد انقض في منزل علي عليه السلام قالوا: يا رسول الله قد غويت في حب علي فأنزل الله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى * ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى * وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى﴾)[١].

وعنه (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: (يا أم سلمة، اسمعي واشهدي: هذا عليٌّ أخي في الدنيا والآخرة، وحامل لوائي في الدنيا، وحامل لواء الحمد غدًا في القيامة، وهذا عليٌّ وصيي، وقاضي عداتي، والذائد عن حوضي المنافقين)[٢]، وأيضًا: (قال سلمان لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (يَا رَسُولَ اللهَّ، مَنْ وَصِيُّكَ؟ قَالَ: «يَا سَلْمَانُ، مَنْ كَانَ وَصِيَّ مُوسَى؟» قَالَ: يُوشَعُ بْنُ نُونٍ، قَالَ: «فَإِنَّ وَصِيِّي وَوَارِثِي يَقْضِي دَيْنِي، وَيُنْجِزُ مَوْعُودِي: عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ»)[٣]، وقوله(صلى الله عليه [وآله] وسلم): (لكل نبي وصي ووارث، وإنَّ وصيِّ ووارثي علي بن أبي طالب)[٤]، وأخيرًا قوله (صلى الله عليه

(١) مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)، علي بن محمد بن محمد بن الطيب بن أبي يعلى بن الجلابي، أبو الحسن الواسطي المالكي، المعروف بابن المغازلي: ١/ ٣٧٦، عمدة عيون صحاح الاخبار في مناقب إمام الأبرار، ابن البطريق: ٧٨.

(٢) ينابيع المودة لذوي القربى، القندوزي: ١/ ٢٤٢.

(٣) فضائل الصحابة، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني: ٢/ ٦١٥.

(٤) مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (رضي الله عنه): ١/ ٢٦١، عمدة عيون صحاح الاخبار في مناقب إمام الأبرار: ٢٣٤.

وآله وسلم): (يا علي أنت وصيي وخليفتي، فمن جحد وصيتك وخلافتك فليس مني ولست منه، وأنا خصمه يوم القيامة)[١].

٥/ *المخلوق من طينته*، *صاحب سرِّه*:

كما جاء في نصِّ أم الخير بنت الحريش: (فَإِلَى ايْنَ تُرِيدُونَ رحمكم الله أفرارًا عَن ابْن عَم رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ[وآله] وَسلم، وَزوج ابْنَته، وَأبي سبطيه * خلق وَالله من طينته *، وتفرع من نبعته * وَخَصه بسره*)[٢].

الخلق من طينة النبي في النص الروائي النبوي:

وتشير إلى الأصل الواحد في النشأة التكوينية بعد عالم الأنوار، بين رسول الله وأمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليهما وآلهما)، إذ حكم الله تعالى بخلقهما من ذات الطينة المباركة، ليقضي أمرًا في التوطئة والتمهيد لإعداد شخص أمير المؤمنين تكوينًا الذي ستماثل مَهمته مَهمة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من بعده.

ومن الروايات الشريفة بهذا الخصوص:

قول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم):) إِنَّ عَلِيًّا مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ، خُلِقَ مِنْ طِينَتِي، وَخُلِقْتُ مِنْ طِينَةِ إِبْرَاهِيمَ، وَأَنَا أَفْضَلُ مِنْ إِبْرَاهِيمَ: ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾)[٣]، وقوله (صلى الله عليه وآله

(١) الأمالي، الشيخ الصدوق: ١٠١، روضة الواعظين: ١٠١-١٠٢.

(٢) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٣٠.

(٣) المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني: ٩/ ١٢٨.

وسلم): («مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَحْيَا حَيَاتِي، وَيَمُوتَ مَمَاتِي، وَيَسْكُنَ جَنَّةَ عَدْنٍ غَرَسَهَا رَبِّي، فَلْيُوَالِ عَلِيًّا مِنْ بَعْدِي، وَلْيُوَالِ وَلِيَّهُ، وَلْيَقْتَدِ بِالْأَئِمَّةِ مِنْ بَعْدِي، فَإِنَّهُمْ عِتْرَتِي خُلِقُوا مِنْ طِينَتِي، رُزِقُوا فَهْمًا وَعِلْمًا. وَوَيْلٌ لِلْمُكَذِّبِينَ بِفَضْلِهِمْ مِنْ أُمَّتِي، لِلْقَاطِعِينَ فِيهِمْ صِلَتِي، لَا أَنَالَهُمُ اللهُ شَفَاعَتِي»)[١]، وعنه أيضًا (صلى الله عليه وآله وسلم): (معاشر الناس إنَّ عليًّا منى، وانا من علي خلق من طينتي ..)[٢]، و(أنَّ عليًّا مني، روحه من روحي، وطينته من طينتي، وهو أخي وأنا أخوه، وهو زوج ابنتي فاطمة سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين)[٣]، وقوله أيضًا متحدثًا عن أمير المؤمنين (عليه السلام): (.. طاعته مقرونة بطاعته ومعصيته، مقرونة بمعصيته، فمن جهله فقد جهلني، ومن عرفه عرفني ومن أنكر إمامته، فقد أنكر نبوتي ومن جحد إمرته، فقد جحد رسالتي، ومن دفع فضله فقد نقضني، ومن قاتله فقد قاتلني ومن سبه فقد سبني، لأنه خلق من طينتي...)[٤].

٦/ *صاحب سر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)*.

صاحب سري أو موضع سري في النص الروائي النبوي:

عن النبي صلى الله عليه وآله :(صاحب سري علي بن أبي طالب)[٥]،

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني: ١/ ٨٦.

(٢) الأمالي، الشيخ الصدوق: ١٨٨، روضة الواعظين: ١٠٢.

(٣) الأمالي، الشيخ الصدوق: ٧٨، روضة الواعظين: ١٠٠.

(٤) التحصين: ٥٣٦، مدينة المعاجز، السيد هاشم البحراني: ١/ ٦٧.

(٥) تاريخ مدينة دمشق: ٤٢/ ٣١٧، مناقب آل أبي طالب: ٢/ ٦٢.

وعنه (صلى الله عليه وآله وسلم): (إنّ وصيّي، وموضع سرّي، وخير من أترك بعدي، وينجز عدتي، ويقضي دَيني عليّ بن أبي طالب)[١]، وأيضًا عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: (يا أُمّ سلمة، هذا عليّ، سيّد مبجّل، مؤمّل المسلمين، وأمير المؤمنين، وموضع سرّي وعلمي، وبابي الذي يؤوى إليه)[٢]، وعنه (صلى الله عليه وآله وسلم) متحدثًا عن أمير المؤمنين (عليه السلام):(قد علّمته علمي، واستودعته سرّي، وهو أميني على أُمّت)[٣]، وأيضًا عنه (صلى الله عليه وآله): (إنّ الله جلّ جلاله جعل عليّاً وصيّي، ومنار الهدى بعدي، وموضع سرّي، وعيبة علمي، وخليفتي في أهلي، إلى الله أشكو ظالميه من أُمّتي من بعدي)[٤].

٧/ *باب مدينة العلم*

كما جاء في نص أم الخير(...*وَجعله بَاب مدينته*...)[٥].

باب مدينة علم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في النص الروائي النبوي:

وهو لقب يدل دلالة صريحة على انحصار الأتباع النبوي بشخص أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه)، فهو الباب الأوحد لمدينة علم رسول

(١) مناقب الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): ١/ ٣٣٥، كنز العمال، المتقي الهندي: ١١/ ٦١٠.

(٢) الغدير: ٣/ ١١٦.

(٣) تفسير فرات الكوفي، فرات بن إبراهيم الكوفي: ٤٩٧، شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، الحاكم الحسكاني: ٢/ ٣٥٧.

(٤) الأمالي، الشيخ الصدوق: ٣٥٨، بحار الأنوار: ٣٨/ ٩٧.

(٥) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٣٠.

الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهذا المضمون من مشاهير المضامين الروائية الشريفة وقد ورد:

عنه (صلى الله عليه وآله وسلم):(يا علي أنا مدينة العلم وأنت الباب، كذب من زعم أنه يصل إلى المدينة إلا من الباب)[١]، وعنه (صلى الله عليه وآله وسلم): (أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَعَلِيٌّ بَابُهَا، فَمَنْ أَرَادَ الْعِلْمَ فَلْيَأْتِ الْبَابَ)[٢]

٨/ *حبه فيصلٌ بين المؤمن والمنافق*

كما جاء في نصِّ أم الخير بنت الحريش (...*وَعم بحبه المُسلمين، وأبان ببغضه المُنَافِقين*...)[٣].

التمييز بين المؤمن والمنافق بحب أمير المؤمنين (عليه السلام) في النص الروائي النبوي:

من خصائص أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) العظيمة، الفرق والفصل بين الأمور منسحبة هذه الخصيصة إلى أكثر من شأن له؛ ولذا اشتهر(عليه السلام) بلقب الفاروق مؤصَّلًا بأحاديث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في مناسبات عدة، ومن تلك الشؤون أنَّ حبَّه (صلوات الله وسلامه عليه)عامل فرق وفصل بين الإيمان وما سواه من كفر أو نفاق ومن

(١) مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (رضي الله عنه): ١/ ١٤٢، عمدة عيون صحاح الاخبار في مناقب إمام الأبرار: ٢٩٤.

(٢) المعجم لابن المقرئ، أبو بكر محمد بن إبراهيم بن علي بن عاصم بن زاذان الأصبهاني الخازن، المشهور بابن المقرئ: ١/ ٨٤، المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع: ٣/ ١٣٨.

(٣) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٣٠.

أحاديث هذا الشأن:

عنه (صلى الله عليه وآله وسلم): (المخالف على علي بن أبي طالب بعدي كافر، والمشرك به مشرك، والمحب له مؤمن، والمبغض له منافق..)[١]، وأيضًا سئل رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) عن علي (عليه السلام)، فقال: (ذاك خير البشر، ولا يشك فيه إلا منافق)[٢]، وعنه (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: (أبشر ياعلي إنَّ الله عزَّ وجلَّ قد عهد إليَّ أنَّه لا يحبك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق)[٣]، وعنه أيضًا (صلى الله عليه وآله) قوله: (إنَّ الله عزَّ وجلَّ رسّخ حبي في قلوب المؤمنين، وكذلك رسّخ حبك يا عليّ في قلوب المؤمنين، ورسّخ بغضي وبغضك في قلوب المنافقين، فلا يحبك إلا مؤمن تقي، ولا يبغضك إلا منافق كافر)[٤]، وكذلك قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): (من أطاعك فقد أطاعني، ومن أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاك فقد عصاني، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أحبك فقد أحبني، ومن أحبني فقد أحب الله، ومن أبغضك فقد أبغضني، ومن أبغضني فقد أبغض الله، لا يحبك إلَّا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق أو كافر)[٥]، وقوله: (لا يحبك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق أو كافر)[٦].

(١) الأمالي، الشيخ الصدوق: ٦١، حلية الأبرار، السيد هاشم البحراني: ٢/ ٤٤١.

(٢) الأمالي، الشيخ الصدوق: ١٣٥، الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف: ٨٨.

(٣) الأمالي، الشيخ الصدوق: ١٩٧.

(٤) الخصال، الشيخ الصدوق:٥٧٧.

(٥) مناقب الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): ٢/ ٤٨١، بشارة المصطفى، محمد بن أبي القاسم الطبري: ٤٢٠.

(٦) تاريخ مدينة دمشق: ٤٢/ ٢٨٠.

٩/ *خير الخلق*

كما جاء في نص أم سنان المذحجية

(*خَيْرُ الْخَلائِقِ* وَابْنُ عمِّ محمّدٍ ***** فَكفى بِذَاكَ لمن شناه تهدد)[١]

خير الخلق، في النص الروائي النبوي:

حاز أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) قصب السبق في العالمين، ونال القدح المُعلّى في ارتقائه رتبة خير الخلائق أجمعين، بمن فيهم من أنبياء ومرسلين وشهداء وصديقين وملائكة مقربين، ما خلا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حاكية هذا الروايات الشريفة ومنها:

قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد أخذ بيد أمير المؤمنين (عليه السلام): (خير الخلق بعدي، وسيدهم أخي هذا، وهو إمام كل مسلم، ومولى كل مؤمن بعد وفاتي)[٢].

وعنه أيضًا (صلى الله عليه وآله وسلم): (هم شر الخلق والخليقة (أي الخوارج)، يقتلهم خير الخلق والخليقة...)[٣]، وأيضًا قال (صلى الله عليه وآله وسلم): (ياعلي، والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، إنَّك لأفضل الخليقة بعدي، ياعلي، أنت وصيِّي وإمام أمتي، من أطاعك أطاعني، ومن عصاك عصاني)[٤].

(١) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٢٤.

(٢) كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق: ٢٥٩، إعلام الورى بأعلام الهدى، الشيخ الطبرسي: ٢/ ١٨٤.

(٣) شرح الأخبار: ١/ ١٤٣، تفضيل أمير المؤمنين (عليه السلام)، الشيخ المفيد: ٣٥.

(٤) الأمالي، الشيخ الصدوق: ٦١، مستدركات علم رجال الحديث: ١/ ٤٦٢.

١٠/ *أخو النبي*

كما جاء في مقالة سودة بنت عمارة الهمدانية :

(إنَّ الإمام *أخا النَّبِي مُحَمَّد* علم الهدى ومنارة الإيمان)[١].

أخو النبي في النَصِّ الروائي النبوي:

إنَّ للاتحاد في سنخية طينة الخلقة بين النبيِّ والوصيِّ في عالم التكوين، والوحدة في السيرة والسلوك والتماثل في الدور والمَهمة في عالم التشريع، جاءت لفظة الأخوة الروائية النبوية لتعبر عن حقيقة تلك المتلاقيات بين هاتين الذاتين المقدستين، وقد تقدّم فيما مرَّ بعضٌ من الروايات الممتّنة لهذه الإخوة الإلهية، وسنكتفي هنا بإيراد رواية واحدة إضافة على ما تقدّم:

عنه (صلى الله عليه وآله وسلم): (معاشر الناس، إنَّ ربَّكم جلَّ جلاله أمرني أن أقيم لكم عليًّا علمًا وإمامًا وخليفةً ووصيًّا، وأن اتخذه أخًا ووزيرًا)[٢].

ج/ كلام أمير المؤمنين (عليه السلام):

إضافة إلى التضّمين القرآني والروائي النبوي بوصفهما مرجعية ثقافية دينية داعمة لمضمون النّصِّ الولائي، فقد تضمّنت كذلك بعض النُّصوص اقتباسًا علويًا من خصوص مقالة له (صلوات الله وسلامه عليه) قالها قبل المعركة وهو يُعدُّ صفوفه ويهيأ جيشه لقتال البُغاة، وممَّا جاء في مقالة ذلك الموقف (ألا إنَّ خضاب النساء الحناء، وخضاب الرجال الدماء، والصبر

(١) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٦٧.

(٢) الأمالي، الشيخ الصدوق : ٨٣، بحار الأنوار: ٣٨/ ٩٣.

خير في عواقب الأمور)[١]، فتم اقتباس هذا المقطع من كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) من لدن الزرقاء بنت عدي الهمدانية في مقالتها الحماسية إذ قالت: (...وَلَكِن ليقضي الله أمرا كَانَ مَفْعُولا وَللَّهِ عَاقِبَة الْأُمُور، إنَّ خضاب النِّسَاء الْحِنَّاء، وإنَّ خضاب الرِّجَال الدِّمَاء، وَلِهَذَا مَا بعده وَالصَّبْر خير فِي العواقب...)[٢]، واقتباس آخر من ذات المقالة من لدن أم الخير بنت الحريش وهو قوله (صلوات الله وسلامه عليه): (ألا إنَّها إحن بدرية، وضغاين أحدية، وأحقاد جاهلية وقرأ: « فقاتلوا أئمة الكفر انهم لا إيمان لهم لعلهم ينتهون»)[٣] فضمّنته مقالتها إذ قالت: (إِنَّهَا احن بدرية، وضغائن جاهلية، وأحقاد أُحدية، وثب بهَا مُعَاوِيَة عِنْد الْغَفْلَة ليدرك بهَا الفرصة من ثَارَاتِ بني عبد شمس ثمَّ قَالَت: ﴿فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ ينتهون﴾)، ويُفاد من هذا التضمين لخصوص تلك المقالة من كلام أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه)، التواجد المبكر لهؤلاء النسوة في تلك الأجواء، والاستعداد لأداء الدور الإعلامي بزمن سابق على الاصطدام بين الطرفين، وبالتالي معايشة من تواجدت أجواء صفّين منذ البداية قبل اندلاع الحرب، وكذلك ممّا يفاد أيضًا أنَّهن كُن في مركز الحدث فنقل الكلام عنه (صلوات الله وسلامه عليه) بشكل يقارب حد المطابقة يعني أنَّهن كن قريبات منه (صلوات الله وسلامه عليه)، فيسمعن منه ويعينَ ما يقول فيقتبسن وَيُحسنَّ التوظيف، إضافة إلى ترجيح مسألة تنظيم الجهاز الإعلامي النسوي قياسًا

(١) مناقب آل أبي طالب: ٢/ ٣٦٢.

(٢) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٦٥.

(٣) مناقب آل أبي طالب: ٢/ ٣٦٢.

باحتمالية كون هذه المشاركات عبارة عن مشاركات فردية غير مقننة أو غير مُعَدٌّ لها، فمن هذا الأقتباس والقرب من قائد المعركة نستشعر أنَّ هناك عناية بمسألة المشاركة المرأة من لدن القيادة، وتدريبًا على صياغة المقال الحماسي التحريضي، وهناك اقتباس آخر لوصف الفتنة بقول الزرقاء (ايُّها النَّاس إنَّكم فِي فتْنَة غشيتكم جلابيب الظُّلم، وحادت بكم عَن قصد المحجة يَا لَهَا من فتْنَة عمياء صماء لَا يسمع لداعيها وَلَا ينقاد لسائقها)[١]، الذي اقتنصته من قول أمير المؤمنين (عليه السلام) واصفًا فتنة بني أمية إذ قال: (ألا إنَّ أخوف الفتن عليكم من بعدي فتنة بني أمية، إنها فتنة عمياء صماء مطبقة مظلمة،...)[٢]، وإن كان هذا الوصف متداولاً ودارجًا على الألسنة في التعبير عن شدة الفتن وضراوتها، ألّا إنَّنا احتملنا الاقتباس من قول أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) على فرض تقدمه على واقعة صفِّين من لدن الزرقاء بنت عدي، لإرتباط هذه الفتنة الموصوفة بهذا الوصف ببني أمية خاصة بزعامة معاوية بن أبي سفيان في كل من مناسبتي الكلام، فاحتملنا اقتباسها من كلامه (صلوات الله وسلامه عليه) .

ونخلص بنتيجة ممّا تقدم من إيراد المرجعية الدينية ضمن الخطاب الولائي والتنويع في أنحائها، هي حيازة نساء صفِّين على معدل عال من ثقافة دينية أصيلة، وانتقاء موفق للعينات المقتبسة من النصِّ الديني في التثقيف، والاحتجاج المنسجم مع تداعيات الحدث ظرف النَصِّ، ومن النتائج الملاحظَة أيضًا من هامش كثرة المفردات الروائية النبوية على ألسنة النسوة الولائيات،

(١) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٦٥.

(٢) كتاب سليم بن قيس: ٢٥٧.

وسلاسة استحضارها في النَّص الولائي إلى انتشارها كما تقدّم، الذي صيّر منها مادة سهلة التناول والتضّمين، وإنَّ انتشار الموروث الولائي إلى حدِّ التداول الميسر يجعلنا نجلُّ ذلك الإنجاز العظيم لتلك الأيادي البيضاء التي أسهمت بحفظ هذا الموروث ونقله ونشره للدرجة التي لاحظنا شيئًا منها في النُّصوص النسوية بعد ما يقارب الثلاثة عقود على استشهاد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وإنَّ هذا الإجلال ليزداد مطّرِدًا مع ملاحظة إجراءات السلطة اللاشرعية وتعسفها حيال السنة النبوية، إذ منعت تدوينها وحاربت من حاول ذلك من الصحابة، سياسةً منها في اندثار الموروث العلوي في قصر الاستخلاف النبوي على أمير المؤمنين (عليه السلام) من بعده في السُّنة الشريفة بالموت أو النسيان، وتُعَد النُّصوص النسوية في صفِّين مؤشرٌ جليٌّ على فشل مخطط المنافقين في اخفاء المستندات الشرعية الحاكمة بولاية أمير المؤمنين (عليه السلام) والمُديّنة لفعلتهم.

٣/ تضمين المأنوس والمركوز في الذهن من أحداث ووقائع ساندة لموضوع الرسالة:

من عوامل تقبل الرسالة الإعلامية من لدن المخاطب بها ومن ثم نجاحها، اشتمالها على الأحداث والوقائع التي خبرها (أي المخاطب) وعايشها، أو كان من المشاركين فيها، فتكون معلومة له متسالم عليها عنده، وبالتالي فلا تحتاج إلى مؤونة دليل في الإقناع، ليتم الاتكاء عليها وتسخيرها لغاية المتكلم الأساس.

وقد اشتملت بعض النُّصوص النسوية على هذا النوع من التضّمين؛ دعمًا لموضوع الرسالة في الوصول والتأثير، فنجد في نصِّ أم الخير بنت الحريش إيراد

هذا النوع من المعلومات عندما عرّفت بأمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) إذ قالت: (أيْنَ تُرِيدُونَ رحمكم الله؟ أفرارًا عَن ابْن عَم رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ [وآله] وَسلم وَزوج ابْنَته وَأبي سبطيه؟)[١]، من الواضح جدًا لدى المخاطبين من هو أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) وقرابته النسبية من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ومن هي زوجه (صلوات الله وسلامه عليها) وماهي علاقتها برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ومن هم أولاده وماذا يعنون لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ومن معلومات هذا البيان المتسالم عليها، ثقفت لإتّباعه (صلوات الله وسلامه عليه) مستعينةً بذكر جهات اتصاله برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) النسبية، بمعية تذكرة آخرى معلومة أيضًا لدى الجمهور المخاطب بقولها: (حَتَّى أيده الله بمعونته يمْضِي على سنَن استقامته، لَا يعرج لراحة اللَّذَّات)[٢]، بعدما بينت الاستناد الديني (عن طريق المضمون الروائي) في أحقيته (صلوات الله وسلامه عليه) بالإتباع، ذكّرت بسيرته التي كان ماضيًا فيها على طريق الاستقامة النبوية وبمسيرته المعطاء، وجميل صنعه في خدمة الدين، وبخُلُقه العالي الذي سما به عن طلب الراحة، أو الركون إلى الدنيا وملذاتها، لتذكّرَ بلا فصل أيضًا بالإنجازات العلوية والشجاعة الحيدرية التي بها قام الدين وظهر، فقالت: (هَا هُوَ مفلق إلهام، ومكسر الأصنام، صلى وَالنَّاس مشركون، واطاع وَالنَّاس مخالفون مرتابون، فَلم يزل كَذَلِك حَتَّى قتل مبارزي بدر، وأفنى أهل أُحُدُ، وَهزمَ الله بِهِ الأحزاب، وَقتل أهل خَيْبَر وَفرق بِهِ

(١) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٣٠.

(٢) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٣٠.

جمع هـوَازن)[١]، إذ مـن المتسـالم عليـه أنَّ في كل انجاز محتسـب للإسـلام، كان لأمير المؤمنين (عليـه السـلام) قـدم السـبق واليـد الطـولى بعـد رسـول الله (صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم)، وقـد خـبر المخاطبـون تلـك الوقائـع، إذ شـهدها بعضهـم أو بعـض منهـا، فـما كان يُحـرَز نصر في معركة قط إلَّا بقعقعة سـيف أمـير المؤمنين (صلوات الله وسـلامه عليـه) والمنكـر لتلـك الحقيقة معانـد مكابـر، وعليه قد اتـكأت أم الخير على تذكرتهـا بجهـة القرابـة القريبـة للأمـير المؤمنـين برسـول الله أولًا، و بسـيرته البيضاء ومسـيرته المعطـاء وخلقـه العـالي ثانيًـا، وبإنجازاتـه في حـروب الاسـلام وحسـمها بالنـصر ثالثًـا، عـلى غرضهـا في التثقيـف الولائي في قـصر الأتباع عليـه (صلوات الله وسـلامه عليـه)، ونـص ولائي آخـر تضمّن أيضًـا إيـراد المعلوم من الخـبر، وهو نَصِّ أم سـنان المذحجيـة مُعرِّفـةً بأمير المؤمنين (عليه السـلام)، وارتباطه النسـبي برسـول الله (صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم) إذ قالت:

خَيْرُ الْخَلائِقِ وَابْنُ عمِّ محمّدٍ فَكفى بِذَاكَ لمن شناه تهدد

لتورد بعدها أمر معلوم آخر:

مَا زَالَ مُذْ عَرَفَ الْحُرُوبَ مظفَّراً وَالنَّصْرُ فَوْقَ لِوَائِهِ مَا يُفْقَدُ[٢]

مذكـرةً بمنجـزه الحـربي المحسـوم بالنـصر، والمأنـوس لـدى المخاطـب؛ لتسـخيره باتجـاه قصـد النَّـص في التعبئـة والنـصرة.

(١) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٣٠.

(٢) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٢٤.

٤/ تضمين التحليل الموضوعي للأحداث داخل النص:

إنَّ تضمين التحليل الموضوعي المنطقي المجرد من التأثر بالجهات أو العوامل التي من شأنها التوجيه بغير مسار الحقيقة، والقاضي بتفكيك الأحداث إلى تفاصيلها وجزئياتها، والنظر في مناشئها وعِللها، ومن ثم ربطها بالمعطيات الحاضرة ضمن الرسالة الإعلامية يُعَدُّ من عوامل نجاح الرسالة، أولًا ومؤشرًا على إلمام وثقافة المتكلم ثانيًا.

وقد تضمّنت النُّصوص النسوية تحليلات لأسباب المعركة بحسب رؤية هؤلاء النسوة للعوامل، والأسباب الأكثر أثرًا، وتصعيدًا باتجاه تداعي الحدث، فنوعنَ في القراءة وتقاربنَ في ما ذهبن إليه من نتائج، والبداية من تحليل أم الخير بنت الحريش الذي ضمّنته في مقطعين متقاربين في المعنى، الأول مقتبس من كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) كما تقدّم: (إِنَّهَا احن بدرية وضغائن جاهلية واحقاد أُحدية وثب بهَا مُعَاوِيَة عِنْد الْغَفْلَة ليدرك بهَا الفرصة من ثَارَاتِ بني عبد شمس)[1]، والمقطع الثاني: (فَلم يزل كَذَلِك حَتَّى قتل مبارزي بدر، وأفنى أهل أُحُدُ، وَهزمَ الله بِهِ الاحزاب، وَقتل أهل خَيْبَر، وَفرّق بِهِ جمع هوَازن، فيا لَهَا من وقائع زرعت فِي قُلُوب قوم نفَاقًا، وردةً، وشقاقًا)[2]، إذ فككت موقف معاوية وحزبه في حدث صفّين، وحللت تراكماته وأرجعتها إلى أصولها الناشئة بالتزامن مع بداية الصراع بين جبهتي الإسلام والشرك، لتُعطي في النهاية علةَ الموقف الحاضر الناشئ

(١) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٢٩.

(٢) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٣٠.

من تلك التراكمات في الانتقام لأسلاف القوم، كاشفة عن تخالف ومفارقة بين الظواهر والبواطن، فالظاهر الإسلام والباطن مقاتلة أهل الإسلام ثأرًا للسلف الكافر، فحالهم كالحال الذي أعربت عنه جويرية بنت أبي جهل الموتورة بالإسلام كما وتروا، حين سمعت صوت بلال بالأذان وبلوغه إلى قوله: (أشهد أن محمدا رسول الله)، فقالت: قد لعَمري رفع لك ذكرك فأما الصلاة فسنصلِي، ولكن والله لا نحب من قتل الأحبة أبدًا، ولقد كان جاء أبي الذي جاء محمدًا من النبوة، فردها ولم يرد خلاف قومه[1]، فهل يمكن أن يُتصور إيمان من يتكلم بمثل هذا المقال المنبئ عن عدم اسلام المتكلم حقيقةً، وإنَّ هذا المعنى قد صرَّح به يزيد (لعنه الله) فيما بعد، عندما جيء إليه برأس السبط الشهيد أبي عبد الله الحسين (صلوات الله وسلامه عليه) بعد قتله وأهل بيته وأصحابه في واقعة كربلاء، ووضع الرأس الشريف في طَسْت، وجعل يزيد (لعنه الله) ينكت عليه بالخيزرانة ويُنشد لابن الزِّبَعْرَى من أبيات[2]:

ليت أشياخي ببدر شهدوا ... وقعة الخزرج من وَقْعِ الأَسَلْ

قد قَتَلْنا القِرنَ من ساداتهم ... وعَدَلْنا مَيلَ بدرٍ فاعتَدَلْ

ومنها – وقد قيل: إن يزيد زاد فيها– هذه الأبيات:

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة: ١٧/ ٢٨٣.

(٢) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان: ٨/ ١٥٩.

لاستهلُّوا ثمَّ طارُوا فرَحًا ثمَّ قالوا يا يزيدُ لا تُسَلْ

لعبت هاشمُ بالملك فلا خبرٌ جاء ولا وحيٌ نَزَل

لَستُ من خِنْدِفَ إنْ لم أنتقم من بني هاشم ما كان فَعَل

وتحليل آخر في نَّص آخر:

(منتك نَفسك فِي الْخَلاء ضَلالَة أغراك عَمْرو للشقا وَسَعِيد)[1]

لبكّارة الهلالية، إذ حللت الحدث عازيةً افتعال القتال من لدن معاوية بن أبي سفيان إلى أمانيه في السلطان وتزويق حاشيته تلك الأماني في نفسه، فالحقيقة أنَّ هؤلاء القوم لم يتقبلوا فكرة أن يكون الملك والسلطان بيد غيرهم، وبسبب ذلك نشأت أُصول هذا الصراع الذي جعل من أسلافهم يتمركزون في صف المواجهة الأول للإسلام الذي أنزلهم عن مراتبهم التي رتبوا أنفسهم فيها ظلمًا وتجبرًا، ولما سُقط في أيديهم ولم يجدوا بُدًّا آخر للنجاة والتسلق إلى المآرب، بعد هزيمتهم وحصارهم من لدن رسول (صلى الله عليه وآله وسلم) عند فتح مكة ودخولها عنوة وموقفه المشهور آنذاك معهم (.. ثمَّ قَالَ يَا معشر قُرَيْش مَا ترَوْنَ أَنِّي فَاعل فِيكُم قَالُوا خيرًا أَخ كريم وَابْن أَخ كريم قَالَ: اذْهَبُوا فَأَنْتم الطُّلَقَاء، أَي الَّذين أطْلقُوا فَلم يسترقوا وَلم يؤسروا والطليق الْأَسير إِذا أطلق)[2]، دخلوا في الإسلام ظاهرًا ولم يتخلوا

(١) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٧٢.

(٢) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي: ٢/ ٢٦٢.

عن أحلامهم الجاهلية في السلطان والإمرة، وهذا السبب لم يكن مستنتجًا أو مؤولًا من أفعال القوم فحسب بل صرّحت به ألسنتهم غير مرة، في أكثر من مناسبة، ومن شواهد ذلك أنَّه (قد بلغ عمّار بن ياسر (رضوان الله عليه) حين بويع عثمان قول أبي سفيان صخر بن حرب في دار عثمان عقيب الوقت الذي بويع فيه عثمان، ودخل داره ومعه بنو أُمية، فقال أبو سفيان: أفيكم احدٌ من غيركم؟ وقد كان عَميَ، قالوا : لا، قال يا بني أُمية، تَلَقَّفُوها تلقُّفَ الكرة، فو الذي يحلف به أبو سفيان ما زلت أرجوها لكم، ولتصيرَنَّ إلى صبيانكم وراثة،... قال: ونمي هذا القول إلى المهاجرين والانصار)[1]، فالقوم كانت أهدافهم واضحة منذ البداية، وما كان الإسلام بالنسبة إليهم إلَّا جلّبابًا تمظهروا به ليدركوا بوساطته تلك الغاية النفعية، ويصدّق هذا التحليل لبكَّارة الهلالية، شاهد آخر هو تصريح معاوية بن أبي سفيان نفسه، عندما خان عهده ونكث صلحه مع الإمام الحسن (صلوات الله وسلام عليه)، إذ قال: (...إنِّي والله ما قاتلتكم لتصلّوا، ولا لتصوموا، ولا لتحجوا، ولا لتزكوا، إنَّكم لتفعلون ذلك. وإنَّما قاتلتكم لأتأمّر عليكم، وقد أعطاني الله ذلك وأنتم كارهون..)[2]، وبمقالته هذه قد كذّب بنفسه مزاعمه الأولى وبدايات الصراع في الثأر لخليفته المظلوم.

أما الزرقاء بنت عدي الهمدانية، رأت أنَّ ما يجري هو فتنة عصيبة عمياء صمّاء، كنايةً عن شدَّتها وخطورتها، آخذة في المضي والتمدد، تنتشر بسرعة

(١) مروج الذهب ومعادن الجوهر، المسعودي: ٢/ ٣٤٢-٣٤٣.

(٢) مقاتل الطالبيين، علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم المرواني الأموي القرشي، أبو الفرج الأصبهاني: ١/ ٧٧.

ولا تقف عند حدٍّ معين، فهي في الأثر كحُجب الظلمات المتراكمة التي تنتشر في المكان فتسلب من تحيطه رؤية الحقيقة، فيضل بسببها عن الجادة السواء، إذ قالت: (ايُّها النَّاس إنَّكم فِي فتْنَة غشيتكم جلابيب الظُّلم، وحادت بكم عَن قصد المحجة، يَا لَهَا من فتْنَة عمياء صمّاء، لَا يسمع لداعيها وَلَا ينقاد لسائقها)[١]، فما تصدّر المشهد من حدث؛ إنَّما هو حصيلة افتراقات متراكمة عن خط الرسالة، بزمان متقدم على حدث صفِّين، وما صفِّين إلّا طرح من نتاج تلك الافتراقات في وقتها، وما كانت لتكون تلك الفتنة عمياء صماء لولا تلك التراكمات التي تمتنت بتعاقب الزمن منذ بذارها الأول الذي كان بُعيد رحيل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، إذ جاء عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) مؤقتًا نشوء الفتنة بحديثه مع الصحابي الجليل عمّار بن ياسر (رضوان الله تعالى عليه) بقوله: (يا عمّار سيكون بعدي فتنة فإذا كان ذلك فاتبع عليًّا وحزبه فإنه مع الحق والحق معه، يا عمّار إنَّك ستقاتل بعدي مع عليٍّ صنفين، الناكثين والقاسطين ثم يقتلك الفئة الباغية)[٢]، مبيِّنًا (صلوات الله وسلامه عليه) أنَّ من افرازات تلك الفتنة واقعة صفِّين ضد حزب القاسطين، وتستمر تلك الفتنة حتى بعد انتهاء المعركة مسايرة للزمن، مصدِّقة قول أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) إذ قال: (ألا إنَّ أخوف الفتن عليكم من بعدي فتنة بني أمية، إنها فتنة عمياء صماء مطبقة مظلمة، عمّت فتنتها وخصت بليتها، أصاب البلاء من أبصر فيها وأخطأ البلاء من عمي عنها، أهل باطلها ظاهرون على أهل حقها، يملؤون الأرض بدعًا

(١) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٦٥.

(٢) النجم الثاقب، ميرزا حسين النوري الطبرسي: ١/ ٥٠٩.

وظلمًا وجورًا، وأول من يضع جبروتها، ويكسر عمودها، وينزع أوتادها، الله ربُّ العالمين، وقاصم الجبّارين، ألا إنَّكم ستجدون بني أمية أرباب سوء بعدي كالناب الضروس تعض بفيها، وتخبط بيديها، وتضرب برجليها، وتمنع درها، وأيُّم الله، لا تزال فتنتهم حتى لا تكون نصرة أحدكم لنفسه إلّا كنصرة العبد السوء لسيده، إذا غاب سبه وإذا حضر أطاعه، وأيم الله لو شردوكم تحت كل كوكب لجمعكم، الله لشر يوم لهم)[1]، فصفِّين محطة صراع بوقتها ارتبطت من جهة الماضي بفتنة انقلاب حزب المنافقين عن النهج النبوي، لتصبح فيما بعد مقدمة مهمة لما سيأتي من فتنة أشار إليها أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) وسماها بفتنة بني أمية، ووصفها بوصف مقارب لوصف الزرقاء إذ قال: (إنَّها فتنة عمياء صماء مطبقة مظلمة) ويقودنا إلى ما تقدّم من فهم في تحليل الزرقاء للحدث بأنَّ صفين نتاج عميلة التواصل التراكمي للفتنة الأم؛ هو إيراد عبارة (جلابيب الظلم) في النَصِّ الذي يرمز إلى التعدد والتعاقب، أمَّا تحليل عكرشة بنت الأطش لحال أهل الشام ولحدث صفِّين في مقالتها بقولها: (إنَّ مُعَاوِيَة دلف اليكم بعجم الْعَرَب، غلف الْقُلُوب لَا يعْرفُونَ الإيمان، وَلَا يَدْرُونَ مَا الْحِكْمَة، دعاهم بالدنيا فَأَجَابُوهُ، واستدعاهم إِلَى الْبَاطِل فلبوه، فَالله الله عباد الله فِي دين الله، وإياكم والتواكل فان ذَلِك نقض عُرى الإسلام، واطفاء نور الْحق، واظهار الْبَاطِل، وَذَهَاب للسّنة، هَذِه بدر الصُّغْرَى والعقبة الأُخرى)[2]، قد بينت أسباب النفير الشامي باتجاه الحرب، فأرجعتها إلى ضلال في نفوس القوم زاده تضليل من لدن معاوية، فهم قوم

(١) كتاب سليم بن قيس: ٢٥٧ -٢٥٨.

(٢) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٣٨.

وإن كانوا من العرب إلَّا إنَّهم لا يفصحون قد أضاعوا وجه الحقيقة، فالمعرفة عندهم معطلة بسبب الأغطية التي أحاطت بقلوبهم فحالت دون نفاذ نور الإيمان إليها، فأصبحوا غير مدركين لحقائق الأمور، ويمكن أن تكون قد قصدت بإيراد وصف (العجم) في مقالتها مع إقرارها بأنَّهم من العرب، هو تشبيه أجناد معاوية بالبهائم، والوجه في ذلك كون البهائم من العجماوات وهي كذلك لاتدرك الحقائق ولا تفهم الغايات، فيتلقفهم التضليل الأموي على ما هم عليه من ضلال، مزوّقًا لهم الدنيا فيأتي بهم إلى الحرب دلفًا (وَهِي مِشية فِيهَا سرعَة وتقارب خطوٍ كَمَا يمشي المقيَّد)[1]، وتُشَبهُ به مشيةُ الكتيبة نحو الكتيبة في الحرب[2]، إشارة إلى سرعة تلبيتهم لدعوة الباطل في اقتحام هذه الحرب، التي رأت فيها امتدادًا لجبهتي الكفر والنفاق، إذ وصفتها أولًا (أي صفِّين) بأنَّها بدر الصغرى، ويُفهَم من نعتها صفِّين ببدر الصغرى إلى تحليلها في المماثلة بين صفِّين ومعركة الإسلام الأولى (بدر الكبرى)، فكلاهما قد عُبِّأ لهما بمستوى عالٍ من الجهوزية في العدد والعُدَّة، وكلاهما يُعدان معركتي تأسيس وتأصيل، فأمّا الأولى قد أسست أساس الإسلام الأول، وأريد من الثانية تأصيل آخر للإسلام الذي تمَّ وكَمُلَ بولاية أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه)، إضافة إلى ما يتبادر وينسبق إلى الذهن مباشرة مشكّلًا أمتن ربط بين الواقعتين في تحليل هذا النَصِّ، هو شخوص واجهة القتال بين الطرفين في كل من المعركتين، إذ تمرّكز أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) في قلب جبهة الحق في كلا المواجهتين مجسّدًا قول رسول الله

(١) جمهرة اللغة: ٢/ ٦٧٢.

(٢) ينظر: كتاب العين: ٨/ ٤١.

(صلى الله عليه وآله وسلم): (تقاتل على التأويل كما قاتلت على التنزيل)[١]، في الوقت الذي حلَّ معاوية بديلًا عن أسلافه في جبهة الكفر في قلب الجهة الأخرى في صفِّين متمظهرًا بزي إسلامي مستعار، فتعرّيه هذه المرأة الولائية بوساطة النعت الثاني (العقبة الأخرى) مشخصة حقيقة القوم في النفاق الأشد وقعًا والأخطر أثرًا، إذ وجّهت بهذا النعت إلى تماثل فعلة معاوية وحزبه في تصفية أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) ومصادرة المنجز العلوي، ومشابهته بدسيسة المنافقين من الصحابة في العقبة[٢] وتواطئهم على قتل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، والالتفاف على المنجز النبوي، وحرفه بما يتوافق ومآربهم، وقد صرَّح أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) بنفاق معاوية بقوله: (وأنت الجلف المنافق، الأغلف القلب، القليل العقل الجبان الرذل)[٣].

ومن ملاحظة التحليلات النسوية في النَّص الإعلامي الولائي، نجد أنَّ هناك تقارب فيما تراه إعلاميات صفِّين بخصوص العوامل الأكثر أثرًا في اشعال فتيل هذا الصراع، إذ اتفقن اجمالًا على رؤية تلتقي في جوانبها والبيان العلوي الشريف بهذا الخصوص؛ وهي أنَّ صفِّين بوصفها حدث كانت نتاج أسباب عاصرت نشوء الدعوة الإسلامية، وصراعاتها الأولى ضد الجبهة

(١) كفاية الأثر: ٧٥، الأمالي، الشيخ الطوسي: ٣٥١.

(٢) ينظر تفسير قوله تعالى: (يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم وهموا بما لم ينالوا وما نقموا إلا أن أغنيهم الله ورسوله من فضله فإن يتوبوا يك خيرا لهم وإن يتولوا يعذبهم الله عذابا أليما في الدنيا والآخرة ومالهم في الأرض من ولى ولا نصير)[٧٤ التوبة] في تفسير جوامع الجامع، الشيخ الطبرسي: ٢/ ٨١.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٦/ ١٣٤.

الكافرة، تلك الجبهة التي سلبها الإسلام امتيازاتها غير الشرعية في التعالي، والتسلط على الناس، الأمر الذي جعلها تدخل صراعًا طويل الأمد مع الاسلام بمن يمثله في الواقع، والنتيجة أنَّها خرجت من المواجهة الصريحة، والعداء الظاهر للدين في بداية الدعوة بخسائر متصاعدة، إذ أضافت إلى إخفاقاتها في استرداد مكانتها الأولى، ما مُنيت به من خسائر بشرية، إذ وُتِرت هذه الجبهة بأسيادها وكبرائها بسيف الإسلام الأول، الذي لوّح به أمير المؤمنين إلى معاوية مجدَّدًا حين توعده الأخير بالحرب فقال (صلوات الله وسلامه عليه): (وعندي السيف الذي أعضضته بجدك وخالك وأخيك في مقام واحد)[1]، وقوله أيضًا: (فأنا أبو الحسن، قاتل جدك وأخيك وخالك، وما أنت منهم ببعيد والسلام)[2]، فما رُبِط فيه بين صفِّين وبدر من تحليل في النَّص الولائي كان موفَّقًا ومُقَرًّا لموافقته التصريح العلوي الشريف، لتدخل تلك الجبهة مكرهةً بعد ذلك تحت مظلة دين لم ترَ نفسها أنَّها تنتمي إليه حقيقة، وقد وثَّق أمير المؤمنين (صلوت الله وسلامه عليه) في كتاب له لمعاوية بن أبي سفيان هذه الحقيقة إذ قال: (... ففرق بيننا وبينكم أمس أنّا آمنا وكفرتم، واليوم أنّا استقمنا وفتنتم، وما أسلم مسلمكم إلا كرهًا، وبعد أن كان أنف الاسلام كله لرسول الله صلى الله عليه وآله حزبا)[3]، فما كان من بقية تلك الجبهة إلَّا أن بدأت ترقب الأحداث، وتحاول استثمار أي خرق يحرف الدين عن مساره، فتجيّره باتجاه استرجاع شيء من كرامتها المهدورة،

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد : ١٧/ ٢٥٠.
(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد : ١٦/ ١٣٦.
(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد : ١٧/ ٢٥٠.

ومجدها الزائف، وتم لها ذلك بتوقيع من حزب المنافقين من الصحابة بمخالفة الوصية النبوية، والإيذان ببدء الفتنة الكبرى، التي كان من طرحها ارجاع بني أمية إلى الواجهة من جديد، وفتح المجال أمام أحقادهم في الثأر من الإسلام الذي يرون فيه خصمهم الأول متجسدًا بمن يمثله حقيقةً، فيما إذا أصبح هناك تهديد جديد يسلبهم الامتيازات التي استحدثها الانقلابيون لهم، وما أن آلت الأمور إلى أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) حتى بدأ بحزمة إصلاحات، وعزم على الأخذ بزمام الأمة، وتوجيهه باتجاه المسار الحق من جديد، ومن بين تلك الإصلاحات عزل معاوية عن حكومة الشام، واستبداله بمن يراه الإمام أهلًا للحكم هناك، وبهذه الخطوة من لدن أمير المؤمنين (عليه السلام) التي شابهت فعل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بسلفه الكافر، ثارت في معاوية الحمية الجاهلية، متشبثًا بما تحت يده من ملك وسلطة، لا يبتغي بذلك عن سيرة سلفه بدلًا ولا عن منهجم حولًا، وقد أشار أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) إلى وحدة الغاية بين معاوية وأسلافه من الصراع المتوارث في كتاب له إلى الأخير ردًا على كتابه فقال: (والأولى أن يقال لك: إنّك رقيت سلما أطلعك مطلع سوء عليك لا لك، لأنك نشدت غير ضالتك، ورعيت غير سائمتك وطلبت أمرًا لست من أهله ولا في معدنه، فما أبعد قولك من فعلك! وقريب ما أشبهت من أعمام وأخوال! حملتهم الشقاوة وتمنى الباطل على الجحود بمحمد (صلى الله عليه وآله) فصرعوا مصارعهم حيث علمت، لم يدفعوا عظيمًا، ولم يمنعوا حريمًا، بوقع سيوف ما خلا منها الوغى، ولم تماشها الهوينى)[1]، وفي كتاب

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٧/ ٢٥٠-٢٥١.

آخر له (صوات الله وسلامه عليه) مخاطِبًا معاوية مؤكِّدًا هذا المعنى: (أمَّا بعد فقد آن لك أن تنتفع باللمح الباصر من عيان الأمور، فقد سلكت مدارج أسلافك بادعائك الأباطيل، وإقحامك غرور المين والأكاذيب، وبانتحالك ما قد علا عنك، وابتزازك لما اختزن دونك، فرارًا من الحق وجحودًا لما هو ألزم لك من لحمك ودمك، مما قد وعاه سمعك، وملئ به صدرك، فما ذا بعد الحق إلا الضلال المبين، وبعد البيان إلا اللبس)[1]، فباقتحامه هذا الصراع، قد احتذى نهج من سبقه بادعائه الأباطيل، منتحلًا ما ليس له من محل، مستلبًا عنوانًا ما كان ليليق به يومًا، ومرة أُخرى يوفق التحليل النسوي في النَّص الولائي الذي أرجع غاية معاوية من الصراع إلى الملك والدنيا لا لشيء آخر، فحشَّد إمكاناته وأعد عُدته للحرب معمّيًا على غايته تحت غطاء الثأر لعثمان بن عفان، ملبسًا الأمر على جُهّال الناس، دون ذوي البصيرة والفهم، وقد فنّد أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) تلك الأكذوبة، معرِّيًّا عن وجه خدعته وأباطيله، ملقيًّا عليه الحجة، بقوله: (وقد أكثرت في قتلة عثمان فادخل فيما دخل فيه الناس، ثم حاكم القوم إلي أحملك وإياهم على كتاب الله تعالى، وأما تلك التي تريد فإنها خدعة الصبي عن اللبن في أول الفصال والسلام لأهله)[2]، على أنَّنا أيضًا لا نستبعد أنَّ معاوية وحزبه ما كانت لتشور ثائرتهم، وتُحشَّد أجنادهم، لو أنَّ أمير المؤمنين (عليه السلام) أقر إبقائه على ولاية الشام، فالهدف كان السلطة ليس إلَّا، أمَّا مُدَّعاه في الثأر لدم عثمان ماهي إلَّا حجة لشرعنة القتال في صفِّين، إذ لم يذكر التاريخ أنَّ

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٨/ ٢٢.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٧/ ٢٥٠

معاوية قد اقتص من الأكثرية التي باشرت بقتله فيما بعد، عندما استقامت له الأمور، وبعدما تحكّم في البلاد والعباد، ويُفاد من ممَّا تقدَّم أن هناك تلاقيًا في مجمل التحليلات النسوية والبيان العلوي الشريف، ممَّا يعني أن تلك التحليلات ذات قيمة واستناد، فكانت جديرة بمؤهل الرصانة والمصداقية، وبالتالي حازت على حصة النجاح للرسالة الإعلامية النسوية من تلك الجهة، كما ويُتَحصلُّ أيضًا من ملاحظة التحليلات النسوية للحدث أنَّهن لم يتطرقن في نصوصِّهن إلى مسألة تكذيب ما كان يُدّعى من الثأر لدم عثمان الذي زعموا أنَّه أرغمهم دخول هذه الحرب، فيقرأ من اهمالهن هذا الجانب جدية التعاطي مع الحدث بصرف الأذهان المخاطبَة وعدم اشغالها بالحديث عن بطلان الواضحات، واستثمار الوقت والجهد بتوجيه التركيز تجاه الأسباب الواقعية المؤثرة في إحداث هذا القتال بتضّمينها تحليلًا موضوعيًا رصينًا داخل النص الولائي.

الفصل الثالث

رسالة إعلاميات صفِّين وعوامل نـجاحها

(العوامل اللغوية)

ـ الصياغة اللغوية والأساليب البلاغية في النِّصّ.

إنَّ التنـوع في أُسـلوب العـرض اللغـوي والبلاغـي داخـل النَّـص موضـوع الرسـالة يُعَـدُّ مـن العلامـات البـارزة المـؤشرة نحـو قـوة ورصانـة الرسـالة الإعلاميـة، ويكشـف بـدوره أيضًـا عـن مؤهـل نجـاح في المرسـل بامتلاكـه ثقافـة لغويـة عاليـة متنوعـة يتمكـن بوسـاطتها مـن قولبـة المعنـى المـراد عرضـه عـلى الآخريـن بـما يلائمـه مـن أسـاليب اللغـة وفنونهـا، والغايـة مـن تضّمـين التنـوع الاسـلوبي داخـل النَّـص الإعلامـي هـو ايصـال الفكـرة موضـوع النَّـص إلى المتلقي بإغنـاء وجـودة يسـيران باتجـاه إحـداث الإثـارة والتأثـير المطلـوب فيـه.

وقـد اشـتملت النُّصـوص الولائيـة النسـوية في صفِّـين عـلى تشـكيلة اسـلوبية تركيبيـة وبلاغيـة مهمـة اسـتعنَ بهـا لإيصـال المعـاني المختلفـة والمندرجـة تحـت عنـوان التثقيـف الولائـي وسـنمر بإيجاز(إن شـاء الله تعـالى) عـلى أهـم الأسـاليب التـي تـم التركيـز عليهـا في رسـالة النَّـص الولائـي بعـد بيـان موجـز لهـا:

أولًا/ الأساليب النحوية (التركيبية):

يعمـد الأديـب المتقـن لفنـون اللغـة وأسـاليبها إلى إبـراز هويته الخاصـة وطابعه الشـخصي في التشـكيل الاسـلوبي داخـل النَـصِّ عـن طريـق ضـخ مـا يمتلكـه مـن

مخزون معرفي بهذا الجانب يتناسب والمعنى المراد من الكلام، مبتعدًا قدر استطاعته عن كل ما يؤثر في خصوصية تلك الهوية من تعبيرات مألوفة، وأنماط متداولة، فيعمد إلى انتقاء المفردات أولًا، ومن ثم تشكيلها داخل تراكيب غير معهودة نوعًا ما تعطي الدلالة المطلوبة ثانيًا، فالصنعة تكمن في (الاختيار الدقيق بين المفردات والنظام النحوي، فالكلمة في التركيب غيرها مجردة مفردة، لأنَّها مجردة مفردة لا هوية لها ولكن شخصيتها الدلالية تتميز عندما توضع في تركيب)[1]، يقتنصه الأديب معبِّرًا به عن بصمته الخاصة، وتميزه عن الآخرين، وسنقصر الاختيار على أُسلوبين نحويين مُضَمّنين في النَصِّ النسوي وهما التوكيد والاستفهام مع بيان غاية الإيراد (إن شاء الله تعالى) :

١/ التوكيد:

يُعرّف بأنَّه: (لفظ يراد به تثبيت المعنى في النفس، وإزالة اللبس عن الحديث، أو المحدث عنه)[2]، ويُعَدُّ من أساليب العربية المهمة، بوصفه اسلوبًا لغويًا يعمد إليه المتكلم فيضمّنه كلامه سعياً منه إلى تحقيق غرض في نفسه، ويكمن هذا الغرض في ما يبتغيه المرسل من تثبيت المعنى وتقريره في ذهن المرسل إليه، كي يجعله أكثر اطمئناناً إليه ووثوقاً به، فضلاً عمّا فيه من زيادة فائدة تتمثل في لفت الانتباه والتوجه بدرجة أكبر، وقد قسَّم النحويون التوكيد على قسمين هما: (التوكيد اللفظي) و(التوكيد المعنوي)، وقد ضمّنت

(١) النحو والدلالة – مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي، د. محمد حماسة: ١٧١.

(٢) شرح جمل الزجاجي، لأبي الحسن علي بن مؤمن بن محمد بن علي ابن عصفور الاشبيلي: ١/ ٢٢٨، ينظر: شرح المفصّل، موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش النحوي: ٣/ ٥٨٥.

نسوة صفِّين النصوص الولائية أُسلوب التوكيد بصور عدة، ترجمةً لما كن يؤمنَ به من رسالة، وابتغاء لتوجيه انتباه المخاطبين إلى مضمون الرسالة، وتفعيل الإيمان بها إلى فعل خارجي يتطلبه داعي الخطاب.

صور التوكيد في النَصِّ الولائي:

تنوعت ضروب التوكيد المُضَمنة داخل التركيبة اللغوية في النُّصوص النسوية، وسنحدد (إن شاء الله تعالى) ما تكرر أيراده من تلك الصور في النُّصوص وهي:

أ/ التوكيد بإعادة اللفظ (التوكيد اللفظي):

وهو من الاساليب التي كثيرًا ما يستعملها المتكلم لتأكيد الاهتمام بالمعنى وتقويته فـ (الكلام اذا تكرر تقرر)[١]، وهو بذلك يُعدُّ (من اقوى طرق الاقناع وخير وسائط تركيز الرأي والعقيدة في النفس البشرية على هينة، وفي هوادة دون استثارة لمخاليها في الجدل والمشادة)[٢]، ونجد هذه الصيغة في التوكيد مضمّنة في نصِّ عكرشة بنت الأطش بقولها: (فَ*الله الله* عباد الله فِي دين الله)[٣]، مُكرِرَةً لفظ الجلالة (الله) المنصوب بعامل محذوف تقديره (احذروا) وحُذِفَ العامل وجوبًا للتكرار[٤]، مستعرضة بالتوكيد اللفظي أسلوب التحذير، داعيةً المخاطبين إلى ضرورة الحذر من مراقبة الله تعالى لهم بتعاهد

(١) البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي: ٤/ ١٠.

(٢) مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، أمين الخولي: ٢١٠.

(٣) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٣٨.

(٤) ينظر: اللباب في قواعد اللغة وآلات الأدب النحو والصرف والبلاغة والعروض واللغة والمثل، محمد علي السَّراج: ١٣٣.

دينه بالنصرة والجهاد، لتعود من جديد وتورد معنىً في طوله بالأسلوب ذاته فتقول: (وإياكم والتواكل)[١]، محذِّرة من التواكل، الدالة عليه لفظة (إياكم) المنصوبة أيضًا بعامل محذوف وجوبًا تقديره (أحذركم)[٢]، والمعنى طوليٌّ في كل من الاستخدامين، فالمتعلَّق استشعار حياطة الله تعالى، وسطوته وتفعيل هذا الاستشعار عمليًّا من لدن المتلقي بترك التواكل والانتصار للدين مع فائدة التوكيد، لتعودَ وتبين المآل من عدم الأخذ بمتعلق أسلوب التحذير فتقول (فان ذَلِك نقض عُرى الاسلام، واطفاء نور الْحق، واظهار الْبَاطِل وَذَهَاب للسّنة)[٣]، ويقرأ من إيراد هذا الاسلوب اللغوي، مع بيان النتائج المترتبة على عدم الأخذ بمؤداه، عنايتها الزائدة في إيصال المعنى وتوكيده من جهة، ودقة تحليلها للحدث أسبابًا (هذه بدر الصغرى والعقبة الأُخرى)، ونتائجًا حال التواكل (فان ذَلِك نقض عُرى الاسلام...) من جهة أُخرى، وتُصَدّقُ الأيام نبوءَتها في قابلها، ويسودُ المشهد في غالبه ما حذّرت منه.

ب/ التوكيد بالحرف:

ومن صور التوكيد الأخرى الأكثر تضّمينًا في النصوص، التوكيد بالحرف وموارده:

في نَصِّ أم البراء بنت صفوان بن هلال بقولها:

(١) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٣٨.

(٢) ينظر: اللباب في قواعد اللغة وآلات الأدب النحو والصرف والبلاغة والعروض واللغة والمثل: ١٣٣.

(٣) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٣٨.

(يا زيد دونك صارما ذا رونق عضب المهزة ليس بالخوار)[١]

إذ استعانت بحرف الجر الزائد (الباء) في خبر ليس النافية، بقولها: (بالخوَّار)، لتؤكد نفي أن يكون السيف خوَّارًا، أي ضعيفًا أو رخوًا، بعدما قدمت أولًا لصفاته من أنَّه (ذا رونق) أي ذا حُسنٍ وصفاء، وعَضْب[٢] المَهزة أي قاطع حال حركته واهتزازه، ثم تسلب عنه مؤكدة صفة الخور والضعف بعد ذلك، وكررت تأكيدًا آخر بذات الحرف مع خبر ليس أيضًا فقالت:

(يا ليتني أصبحت ليس بعورة فأذب عنه عساكر الفجّار)[٣]

مضمِّنة صدر البيت تمنيًّا مؤكدًا بواسطة الباء الزائدة في خبر ليس، موليةً مطلبها عناية زائدة، إذ تمنّت بكلام مؤكد لو أنها ليست بعورة، أي امرأة يكون من شأنها التستر، وعدم النزول إلى ساحات الجهاد؛ بل لو كانت رجلًا عندها ستبرز للقتال، وتحامي عن الإمام وتنصره، وبأمنيتها هذه كشفت عن ولائها الكبير لأمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) أولًا، واتقانها للتوظيف الاسلوبي الملائم للمعنى الذي يصب باتجاه رفع همَّة المخاطب الذي من شأنه القتال بالمضي قدمًا ثانيًا .

أما بالنسبة لأمِّ الخير بنت الحريش فقد غلب على خطابها الولائي أسلوب التوكيد عامة، وصورة التوكيد بالحرف (إنَّ) خاصة، ليقرأ من كثرة

(١) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٤٤.
(٢) ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس: ٣/ ٣٩٠.
(٣) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٤٤.

الإيراد هذه، مزيد عناية ومبالغة في التأكيد على فحوى رسالتها الإعلامية، إذ حشّدت تأكيدات متعددة تناسب حال المخاطبين وقت الخطاب، الذين انزلتهم في بعض مفاصل الكلام منزلة الشاك أو الجاهل بالحال، فقالت: (إِنَّ الله عزَّ وَجلَّ قد أوضح الْحق، وأبان الْبَاطِل، وَنوّر السبل، وَرفع الْعلم، فَلم يدعكم فِي عمياء مشتبهة، وَلَا عَشواء مدّلَهِمة)[1].

مبتدئةً خطابها بحرفين هما، (إنَّ) التوكيد، و(قد) التحقيق، حافَّةً المعنى بعناية واضحة واهتمام بارز بأَنَّ الله (جلَّ وعلا) قد أوضح الحق وأظهر الباطل، فلم يتركم أيُّها المخاطبون في محل عمىً أو اشتباه، لترمي بهذا إلى أَنَّ موقف صفِّين واضحٌ من جميع جهاته، فلا عذر لمعتذر في التخاذل بحجة أنَّ سبيل الحق لم يكن واضحًا، أو أَنَّ الباطل لم يكن مشخّصًا، ومن موارد التوكيد بالحرف المضمَّنة في النَّصِّ أيضًا قولها: (اللهُمَّ إِنَّه قد عيل الصَّبْر وَضعف الْيَقِين وانتشرت الرَّغْبَة)[2]، مستعينةً كذلك بحرفين من حروف التوكيد (إِنَّ) و(قد) في بيان مؤكَّد لما ساد الموقف من حالة انكسار، فالصبر أصبح مغلوبًا، واليقين ضعيفًا، والرغبة في التخاذل منتشرة بين الجيش، رافعةً هذا الإخبارات المؤكدة بدعاء وشكوى لله تعالى، وقولها: (إِنَّهَا احن بدرية، وضغائن جاهلية، وأحقاد أُحدية، وثب بهَا مُعَاوِيَة عِنْد الْغَفْلَة ليدرك بهَا الفرصة من ثَارَاتِ بني عبد شمس)، عرَّت مؤكِّدةً دوافع معاوية من القتال، فنبهت إلى أَنَّه استغل عدم التفات القوم وغفلتهم عن مراده الحقيقي في اصطناع هذه الحرب؛ ليقتنص الفرصة في الثأر لسلفه المشرك.

(١) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٢٩.

(٢) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٢٩.

وبعد ذلك أوردت توكيدين بحرفين تحقيقيين، (كأنَّ) التي أفادت هنا التحقيق، و(قد) فقالت: (فَكَأَنِّي بكم وَقد لَقِيتُم أهل الشَّام كحمر مستنفرة لَا تَدْرِي ايْنَ يسْلك بهَا من فجاج الأَرْض باعوا الْآخِرَة بالدنيا واشتروا الضَّلَالَة بِالْهدى وَبَاعُوا البصيرة بالعمى)[1]، مبينة حال مخاطبيها لحظة لقائهم بعدوهم، مؤكدةً حدوث هذا اللقاء بين مخاطبيها وجبهة الشام، مشبِّهةً مخاطبيها المتخاذلين في هذا اللقاء بـ (الحمر المستنفرة) في الفرار، وبينت حالهم بأنَّهم قد استبدلوا بفعلهم هذا ماهو أدنى بالذي هو خير، إذ عبَّرت عن ذلك بأَنَّهم باعوا الآخرة بالدنيا، واشتروا الضلالة بالهدى، والبصيرة بالعمى، ثم أكَّدت مضاعفًا بحرفين هما اللام ونون التوكيد في (لَتصبحنَّ) في بيان عاقبة فعلهم المتقدم، إذ ستؤول بهم العواقب إلى الندامة حيث لا إقالة فقالت: (وَعَما قَلِيل لتُصبحُنَّ نادمين حِين تحل بكم الندامة فتطلبون الإقالة ﴿وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾)[2]، ثُمَّ تزيد في البيان مؤكِّدة بقولها: (إِنَّه وَالله من ضل عَن الْحق وَقع فِي الْبَاطِل، وَمن لم يسكن الْجنَّة نزل النَّار)[3]، إذ استعانت بمؤكدين هما، الحرف(إِنَّ) والقسم (والله)، للمبالغة في تأكيد بيانها لعاقبة المتخاذلين عن النصرة، وأنَّهم بموقفهم هذا أقرب إلى الباطل منه إلى الحق، وإلى النار منه إلى الجنَّة، لتردفه بالتأكيد على بيان حال أهل الفطنة والمعرفة في اختياراتهم التي تكون على وفق مقاييس العقل، داعيةً مخاطبيها إلى الكون منهم، وسلوك طريقتهم في الثبات، والسعي نحو الآخرة الأرجح في ميزان

(١) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٢٩-٣٠.

(٢) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٣٠.

(٣) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٣٠.

العقلاء من الدنيا إذ قالت: (ايُّها النَّاس إِنَّ الأكياس استقصروا عمر الدُّنْيَا فرفضوها، واستطالوا مُدَّة الآخرة فسعوا لَهَا سعيا، وابتاعوا بدار لَا يَدُوم نعيمها، وَلَا تتصرم همومها)[1]، ثُمَّ تأتي بتوكيد آخر للدفع بهم تجاه الثبات في النصرة، بأنَّها لم يخرجها لهذا الموقف وممارستها لهذا الدور إلّا الشعور بالمسؤولية تجاه نصرة الدين، والمساهمة بقدر ما في الحيلولة دون ابطال الحق وتعطيل الحدود، وغلبة الظالمين واستقواء الشيطان معرضةً نفسها للهلاك، عازفةً عن ترف العيش وطيبه، مقتفية بهذا نهج العقلاء الذين قدَّمت للكلام عنهم ودعت إلى انتهاج سبيلهم، لتلفت الاذهان إلى أنَّ ما دعت إليه قد جسدته بحضورها وموقفها فقالت: (إِنَّه لَوْلَا ان يبطل الْحق وتعطل الْحُدُود وَيظْهر الظَّالِمُونَ وتقوى كلمة الشَّيْطَان لما اخترنا وُرُود المنايا على خفض الْعَيْش وطيبه)[2].

وفي معرض بيانها فضائل ومناقب وانجازات أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) تعود مجددًا إلى محركات معاوية بن أبي سفيان الباطنة في القتال وهي النفاق، والردة، والشقاق التي زرعت في نفوس القوم قديمًا إثر الوقائع الأولى في الاسلام، المحسومة بسيف أمير المؤمنين (عليه السلام)، فتؤكد متعجبة من شدة وتأثير تلك الوقائع الذي أوغل عميقًا في نفوس القوم مستعينة بالحرف الزائد المؤكد (من) فقالت: (فيا لَهَا من وقائع زرعت فِي قُلُوب قوم نفَاقًا وردة وشقاقا)[3]، وتختم خطابها بالتوكيد بالحرف (قد)

(١) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٣٠.

(٢) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٣٠.

(٣) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٣٠.

مؤكدة أنَّها أبلت البلاء الحسن، ولم تقصّر في قول أو نصح؛ بل أحسنت وبالغت مستعينة بتوفيق الله تعالى، شاهدة على خطابها بأنَّه قد حفل بالمبالغة في النصيحة، وعليه فإنَّ كل ما أورد في النَّصِّ من مبالغة وتأكيدات كانت مقصودةً وموظفةً بعناية واهتمام، فقالت: (قد اجتهدت فِي القَوْل، وبالغت فِي النَّصِيحَة وَبِاللهِ التَّوْفِيق)[1].

وفي نَصِّ أمِّ سنان المذحجية نجد أيضًا توكيدًا بالحرف، إذ أعقبت المذحجية ندائها لقومها بالاستعداد والنفير لهذه الحرب بحرف توكيدي (إنَّ)، تؤكد به استهداف العدو لخط الرسالة المتمثل بآل أحمد (صلوات الله وسلامه عليهم)، والمتجلي بأمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) آنذاك، ورأت أنَّ في هذا التأكيد المتضمن قصد العدو في النيل من أمير المؤمنين (عليه السلام) داع كافٍ للتشمير عن السواعد من لدن مخاطبيها واقتحام هذه الحرب فقالت:

(يَا آلَ مَذْحِجَ لَا مقَام فشمّروا ... إِنَّ الْعَدُوَّ لآلِ أَحْمَدَ يَقْصِدُ)[2]

كما وقد حفل نَصُّ الزرقاء بنت عدي الهمدانية الحماسي أيضًا بتحشيد توكيدي متنوع بحروف التوكيد، إذ صدّرت خطابها للناس المقصودين من الكلام بتوكيد أنَّ الحدث الذين هم فيه إنَّما هو فتنة محكمة الحبك، شديدة الأثر، مستعينة بحرفين من حروف التوكيد في تقديمها هذا؛ الاول

(١) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٣١.

(٢) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٢٤.

(إِنَّ) استعانت به في بيان حال المخاطبين، وأنَّهم قد أحاطت بهم الفتنة واستحكمت (إِنَّكم في فتنة)، والثاني (من) استعانت به في بيان نوع الفتنة تلك ذات الشدة والتأثير الخطير(فيالها من فتنة) قاصدةً من هذا التقديم المؤكَّد أن تضعَ المخاطب في حقيقة الحدث، لتستنفرَ فيه الطاقات وتحفزَه على اختيار الموقف المناسب المحصِّن من تأثير تلك الفتنة، فقالت: (ايُّها النَّاس إِنَّكم فِي فتْنَة غشيتكم جلابيب الظُّلم، وحادت بكم عَن قصد المحجة، يَا لَهَا من فتْنَة عمياء صماء لَا يسمع لداعيها، وَلَا ينقاد لسائقها)[1]، ثم تعود وتربط بين شدة هذه الفتنة وما تراه من ردة فعل لا تتناسب وما يتطلبه اجتياز هذه الفتنة بقولها: (ايُّها النَّاس إِنَّ الْمِصْبَاح لَا يضيء فِي الشَّمْس، وإِنَّ الْكَوْكَب لَا ينير فِي الْقَمَر، وإِنَّ الْبَغْل لَا يسْبق الْفرس، وإِنَّ الدق لَا يوازي الْحجر، وَلَا يقطع الْحَدِيد إِلَّا الْحَدِيد)[2]؛ مؤكِّدة أنَّ فعل المواجهة دون المستوى المطلوب؛ باستعراض مقارنات لمحسوسات مأنوسة عند المخاطبين لتشير من خلالها إلى الفارق الكبير بين طرفي كل مقارنة، فتستعينَ بهذا الفارق في بيان الحال المقصود من الكلام، جاعلةً من الفتنة طرف الصراع الأقوى ومن التصدي لها ومواجهتها طرفه الأضعف، إذ بينت مقارِنةً؛ أَنَّ ضوء المصباح ليس بشيء ازاء نور الشمس، والكوكب المظلم لا يقارن بالقمر المضيء، والبغل لا ينافس الفرس في السباق، والدق غير متناسب وقوة الحجر، فلابُّد من استجابة تجاه هذه الفتنة تتناسب وقوتها بل؛ لابَّد من الزيادة عليها للنجاة منها (فلا يقطع الحديد إلّا الحديد)، وفي مقطع آخر من كلامها بينت عن استعدادها لتولي

(١) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٦٥.

(٢) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٦٥.

مَهمة الإرشاد والتثقيف لكل مسترشد، أو سائل يطلب وجه الحق، بإخبار مؤكَّد (بأنَّ وقد) على أنَّ الحق المتمثل بأمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) قد وجد ضالته من الباطل المتمثل بمعاوية بن أبي سفيان فأصابه في هذا الحدث (صفِّين) ويستشف من تثقيفها هذا ما كانت تمتلكه من روح حماسة في الولاء، فقالت: (ألا من استرشدنا أرشدناه وَمن سألنا اخبرناه إنَّ الْحق كَانَ يطْلب ضَالَّة فأصابها)[1]، ثُمَّ أوردت مجموعة من حروف التوكيد في مقطع آخر من كلامها قائلة: (فصبرًا يَا معاشر الْمُهَاجِرِي والأنصار على المضض، فَكَانَ قد التأم شعب الشتات، وَظَهَرت كلمة الْعدْل، وَغلب الْحق باطله، فَلَا يعجلن أُحْدُ فَيَقُول كَيفَ وأنى وَلَكِن ليقضي الله أمرًا كَانَ مَفْعُولا، وَللَّهَّ عَاقِبَة الْأُمُور إنَّ خضاب النِّسَاء الْحِنَّاء، وإنَّ خضاب الرِّجَال الدِّمَاء)[2]، مرغِّبة مخاطبيها بالصبر والثبات على مكاره الحرب ومضضها، متفائلة بنصر الله، مؤكِّدة هذا بحرف التحقيق (قد)، من أنَّ الشتات سيؤول إلى التآم، وسيكون الغالب في هذا الصراع الحق والعدل، لتورد بعد ذلك نهيًا مؤكّدًا بحرف نون التوكيد في (لا يَعجلنَّ أحد)، قاصدةً به المخاطبين في عدم العجلة والسؤال في كيفية تحقق ما ذكرته من نتيجة لصالحهم، مُرّجِعة ذلك بتوكيد حرف آخر (اللام) في (ليقضي) إلى الله تعالى وقضائه، وتحديداته في عواقب الأمور، محفزّة إياهم على المساهمة في صنع تلك النتيجة بتوكيد آخر بالحرف (إنَّ) بالاتخاذ من دم الجراح خضابًا وزينةً، ولا يكون ذلك إلّا بالتوغل في المعركة واقتحام الخطر، فأرادت من هذا الزخم التوكيدي التمكن من ذهن

(١) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٦٥.

(٢) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٦٥.

المخاطب، فتجعل من رسالتها ذات قوة انجازية عالية المضامين، تسير نحو التأثير بالمتلقي، واستجابته لما تبتغيه من غرض، وهو التفاني في نصرة أمير المؤمنين (عليه السلام)

وأيضًا نجد صورة التوكيد بالحرف في نَصِّ سودة بنت عمارة الهمدانية بقولها:

(إِنَّ الإمام لخا النَّبِي مُحَمَّد علم الهدى ومنارة الإيمان)[1]

فقد أوردت سودة بنت عمارة الهمدانية حرف التوكيد (إِنَّ) في البيت الثالث من مقطوعتها الشعرية الولائية لتؤكد بأَنَّ الإمام أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) علم الهدى ومنارة الإيمان، بعدما عرّفت به تعريفًا ذا مضمون روائي معلوم عند السامع بقولها: (الإمام أخا النبي محمد)، فتبين مؤكِّدة بأَنَّه (صلوات الله وسلامه عليه) شاخصٌ للهدى، ومَعلَمٌ للايمان لترمز بذاك إلى أَنَّه (صلوات الله وسلامه عليه) قد حاز كمالات المراتب، فهو في كل شيء أعلى منتهاه وغاية وصوله بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فهو أتم الهدى وأكمل الإيمان، فتناسب بين الخبر المؤكد والتعريف الروائي (أخا النبي) الذي من أبرز لوازمه اثبات المرتبة التالية لأمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في الكمالات وعلى رأسها الهدى والإيمان .

(١) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٦٧.

وأخيرًا في نصِّ عكرشة بنت الأطش، إذ أكدت في نَصِّها حال الجنة مستعينة بحرف التوكيد (إنَّ) مرغِّبةً فيها، ومقارِنةً حالها مع حال الدنيا؛ لتدعو بهذا البيان إلى انتهاج السبيل الموصل إليها وهو الاستبصار، فقالت: (إِنَّ الْجَنَّة دَار لَا يرحل من قطنها وَلَا يحزن من سكنها وَلَا يَمُوت من دَخلهَا، ... فكونوا قوما مستبصرين)[1]، واوردت تأكيدًا آخرًا بالحرف (إنَّ) مبينة تعبئة معاوية الحربية لهذه المواجهة واستعداده لها، مقدِّمًا جحافل أهل الشام الذين سرعان ما أجابوا دعوته ولبوا نداءه، وفي كلامها المؤكِّد لهيئة قدوم معاوية بجيشة إلى المعركة تنبيه لمخاطبيها من جبهة الولاء بأن لاتكون استجابتكم لهذه الحرب التي أنتم فيها على الحق ويكون مآلكم فيها إلى الجنة بأقل من استجابة الشاميين الملبين لدعوة الدنيا ونداء الباطل، فقالت: (إِنَّ مُعَاوِيَة دلف اليكم بعجم الْعَرَب، غلف الْقُلُوب لَا يعْرفُونَ الإيمان، وَلَا يَدْرُونَ مَا الْحِكْمَة دعاهم بالدنيا فَأَجَابُوهُ، واستدعاهم إِلَى الْبَاطِل فلبوه، فَالله الله عباد الله فِي دين الله...)[2]، فتُحذِّر بعد ذلك من التواكل والتراخي مؤكدة بـ (إِنَّ) التواكل بعدم الاستجابة، أو الاستجابة دون المستوى لنداء الحق يفضي إلى فل عُرى الإسلام ونقضها واطفاء نور الحق...فتقول: (وإياكم والتواكل فإِنَّ ذَلِك نقض عُرى الاسلام، واطفاء نور الْحق، واظهار الْبَاطِل وَذَهَاب للسّنة)[3]، مسَخِّرة توكيداتها المتوالية باتجاه استنفار الطاقات، وعدم التقصير في تحصيل أسباب النصر في هذا اللقاء.

(١) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٣٧ -٣٨.

(٢) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٣٨.

(٣) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٣٨.

ج/ التوكيد بالمصدر: من صور التوكيد الأُخرى المُضَمّنة في بعض النُّصوص المصدر المنصوب بالعامل المحذوف ونجده مضَمّنًا في نَصِّين هما:

نَصِّ أم الخير بنت الحريش في قولها: (فَإِلَى أَيْنَ تُرِيدُونَ رحمكم الله؟ أفرارًا من أَمِير المُؤمنِينَ وَمن الزَّحْف؟ أم رَغْبَةً عَن الإسلام؟ أم ارْتِدَادًا عَن الْحق؟)[١]، قد استعانت في هذا المقطع بثلاثة مصادر لأفعال محذوفة (فرارًا، رغبةً، ارتدادًا)، في بيان احتمالات مُضَمَنة في استفهامها الاستنكاري لمخاطبيها المؤدية إلى ذات النتيجة، إذ استنكرت تغير حالهم نحو الانهزام والتقهقر، وتساءلت أهو فرارًا للنجاة بالنفس والخوف من اللقاء؟ أم رغبة عن الإسلام وزهدًا فيه؟ أم ارتدادً وعدولًا عن جادة الحق؟ مستعينة بالمصادر التي تعطي فائدة التوكيد، وتعود في مقطع آخر تحث مخاطبيها مؤكِّدةً على الصبر والقتال على بصيرة من الربِّ، وثبات من الدين مورِدَةً مصدرًا آخرًا لعامل محذوف (صبرًا) فتقول: (صبرًا معاشر الْمُهَاجِرين وَالْأَنْصَار قَاتلُوا على بَصِيرَة من ربكُم، وثبات من دينكُمْ)[٢]، ثُمَّ أوردت مصدرًا آخر(سعيًّا) لتأكيد فعل العقلاء ذوي الفطنة والدراية، وسعيهم المضاعف الحثيث نحو الآخرة الطويلة الأمد، فقالت: (أيُّها النَّاس إنَّ الأكياسَ استقصروا عمر الدُّنْيَا فرفضوها، واستطالوا مُدَّة الآخرة فسعوا لَهَا سعيا...)[٣]، ثم تعود وتستعين بالمصدر نفسه (فرارًا)، لتعطي مزيدًا من المبالغة في التأكيد والاستنكار بعد أن قدمت لمطالب عدة، مستفهمة باستنكار عن حالهم من التراجع وترك

(١) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٢٩.

(٢) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٢٩.

(٣) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٣٠.

أمير المؤمنين (عليه السلام) الذي فصَّلت في بيان مزاياه وفضائله، ومواقفة قاصدةً بهذا التفصيل تقبيح عملهم، وأنَّهم قد فعلوا أمرًا لا يستقيم وفعل العقلاء الأكياس الذين قدّمت للحديث عن اختياراتهم في الأمور، وبتقديمها الكلام عن العقلاء ذوي الفطنة عرّضت بفرار من فرَّ عن جبهة تجلّى فيها الحق الصريح بتجليات أمير المؤمنين (عليه السلام) المختلفة التي أبانتها، فقالت: (فإلى أين تريدون رحمكم الله أفرارًا عَن ابْن عَم رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ [وآله] وَسلم، وَزوج ابْنَته وَأبي سبطيه، خلق وَالله من طينته وتفرع من نبعته، وَخَصه بسره، وَجعله بَاب مدينته، وَعمَّ بحبه الْمُسلمين، وأبان ببغضه الْمُنَافِقين، فَلم يزل كَذَلِك حَتَّى أيده الله بمعونته يمْضِي على سنَن استقامته، لَا يعرج لراحة اللَّذَّات، هَا هُوَ مفلِّق إلهام، ومكسِّر الأصنام، صلَّى وَالنَّاس مشركون، وأطاع وَالنَّاس مخالفون مرتابون، فَلم يزل كَذَلِك حَتَّى قتل مبارزي بدر، وأفنى أهل أُحْدُ، وَهزمَ الله بِهِ الاحزاب، وَقتل أهل خَيْبَر، وَفرَّق بِهِ جمع هوَازن)[1]

وهكذا نجد أنَّ أم الخير بنت الحريش قد ربطت متواليات خطابها بشبكةٍ من التوكيدات بعلاقات متوازنة بحيث لم تعطِ المتلقي فرصة الهروب بذهنه خارج تأثير رسالتها وغرضها في رفع همَّة المقاتلين بمستويات متصاعدة نحو النصرة .

والتضمين الآخر لهذه الصورة من التوكيد في نَصِّ الزرقاء بنت عدي الهمدانية حين قالت: (فصبرًا يَا معاشر الْمُهَاجِرِي والأنصار على المضض،

(١) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٣٠.

فَكَانَ قد التأم شعب الشتات)[١]، مُضَمّنةً طلبها توكيدًا بالمصدر (صبرًا)، داعيةً مخاطبيها من المهاجرين والأنصار إلى التحلي بالصبر، وأنَّ الأمور ستؤول إلى خير لأن العواقب بيد الله تعالى.

وممّا تقّدم تبيّن أنَّ النُّصوص الولائية لنسوة صفّين كانت زاخرة بالتوكيدات المتنوعة لمعانٍ متعددة تتجه جميعها نحو ذات الهدف (موضوع الرسالة الولائية)، إذ دعونَ إلى النصرة والثبات بصورة مباشرة، وأخرى غير مباشره ببيانات مؤكدة على عواقب التخاذل تارةً، أو بيان فضائل أمير المؤمنين ومزاياه ثانيةً، أو بيان حقيقة تبني الجهة المخالفة للقتال وأصولها في الكفر ثالثةً، أو الترغيب بالجنَّة والطريق الموصلة إليها رابعةً، وهذه البيانات كانت تتجه باتجاه غرض النَّص الأساس في خلق موقف النصرة من لدن الجمهور المخاطب، كما يدل إيراد هذا الكم الزاخر من التوكيدات على أيمان المتكلم وعقيدته برسالته المؤثر باتجاه إحداث التأثير في الآخر السامع.

٢/ الاستفهام:

يعرف بأنَّه (استخبار، والاستخبار هو طلب من المخاطب أن يخبرك)[٢]، والاستفهام قد يكون استخبارًا عمَّا هو مجهول، وقد يكون عمَّا هو معلوم[٣]، ويسمَّى النوع الأول استفهاماً حقيقياً وهو الأصل، أما الآخر فيطلق عليه الاستفهام غير الحقيقي، وهو الذي يخرج إلى دلالاتٍ أخرى يكشف عنها

(١) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٦٥.

(٢) دلائل الإعجاز، عبد القادر الجرجاني: ١٤، ينظر: نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز: ١٥٨.

(٣) ينظر: البرهان في وجوه البيان، أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم بن سليمان ابن وهب الكاتب: ١١٣.

السياق بالاستعانة بالقرائن[١]، والأساس في تمييز غير الحقيقي (أن يكون المستفهِم ليس في حاجةٍ إلى فهمِ شيءٍ من المخاطِب بالاستفهام، بل هو ينشئ معانٍ يقتضيها المقام قاصداً إعلام المخاطب بها، لا أن يستعلم هو من المخاطب عن شيء)[٢]، وهذا ما يُسمَّى بتجاهل العارف، ومن شواهده في النَّص الولائي، ما جاء في خطاب أم الخير إذ ضمّنت خطابها استفهامًا غير حقيقي خرج لمعنى الاستنكار في مقاطع منه تكاد تكون مكررة؛ اقتضاءً للحال الذي استوجب هذا الإيراد، إذ استنكرت حال الفارين من جيش أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه)، مبينةً لهم ما قرأته من أسباب في تراجعهم، فقالت: (فَإِلَى أَيْنَ تُرِيدُونَ رحمكم الله؟ أفرارًا من أَمِير الْمُؤمنِينَ وَمن الزَّحْف؟ أم رَغْبَة عَن الإسلام؟ أم ارْتِدَادًا عَن الْحق؟)[٣]، وتواصل استنكارها (أما سَمِعْتُمْ الله تَعَالَى يَقُول: ﴿ولنبلونكم حَتَّى نعلم الْمُجَاهدين مِنْكُم وَالصَّابِرِينَ ونبلو أخباركم﴾)[٤]، ثم تعود وتؤكد استفهامها مستنكرةً مرة أخرى فتقول: (فَإِلَى ايْنَ تُرِيدُونَ رحمكم الله؟ أفرارًا عَن ابْن عَم رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ [وآله] وَسلم، وَزوج ابْنَته وَأبي سبطيه؟...)[٥]، وكأنَّ أم الخير جعلت من الاستفهام أداة تعليميَّة بيَّنت عبرها أسباب فعلهم المتخاذل، منزلةً إياهم منزلة الجاهل بذلك الفعل، فقدَّمت لهم مجموعة من الاحتمالات التي

(١) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني، البيان، البديع)، الخطيب القزويني جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن أحمد بن محمد: ٣/ ٦٨.

(٢) التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الكريم، د. عبد العظيم المصطفي: ١/ ٥.

(٣)))أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٢٩.

(٤)))أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٢٩.

(٥)))أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٣٠.

تفضي إلى الجرح بالعقيدة، والمخاطب لم يكن جاهلًا بهذه الأسباب، ولكن يمكن أن يكون قد غفل عنها لاستحواذ خطورة الموقف وشدته على خياراته في ذلك الوقت، فجاءت أم الخير لتوقظ غفلته وتعيده إلى حالة التوازن في الموقف من جديد، ومن ثم تمدَّه بشحنة كافية من الاقدام باتجاه القتال، والإيراد الثاني في نصٍّ بكَّارة الهلالية، إذ قالت:

﴿أَتَرَى ابْن هِنْد للخلافة مَالِكًا هَيْهَات ذَاك وإن أراد بعيد﴾[1]

موردةً استفهامًا بوساطة الهمزة (أترى) في الشطر الأول من البيت الشعري المتقدم وأرادت منه معنى التعجب، إذ استفهمت متعجبة من أن يكون معاوية ونسبته إلى إمه مالكًا للخلافة، فترد وتستبعد هذا الأمر لعدم أهليته مطلقًا وهذا المقام.

ويقرأ من إيراد هذا الأُسلوب من الاستفهام المجازي في النصّين المتقدمين توظيفًا للدلالة على الأمور المستنكرة غير المستقيمة والموازين الشرعية أو العُرفية، كما يُقرأ من جانبه الآخر الدعم لموضوع النَّص الاساس في الدعوة إلى النصرة والثبات عليها.

ثانيًا/ الأساليب البيانية البلاغية:

إنَّ تضمين الأساليب البيانية البلاغية في النُّصوص النسوية الولائية يُعدُّ من مؤشرات قوة النَصِّ الإعلامي، وتمكُّن المتكلم من صنعة الكلام، وعلم

(١)))أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٧٢.

البيان فرع من فروع علم البلاغة[١]، (وهو علم يتمكن به من إبراز المعنى الواحد بطرق مختلفة، وتراكيب متباينة في درجة الوضوح،... فالملمُّ بهذا الفن يختار من ضروب الكلام ما هو أبين لغرضه، فيقرب ما بين متباعد الألفاظ، ويؤلف بين مختلفها، ويولدُ منها معانٍ شتى بحسب ما هو من فطنة، وما اكتسب من تجربة ومران)[٢]، وفائدة هذا العلم البلاغي تكمن في توضيح دلالة الكلمات، بعد استنطاق معانيها ضمن سياق الكلام، وسنتاول ثلاثة أساليب بيانية في الرسالة الإعلامية المُضَمنة في النَّص الولائي النسوي في صفِّين وهي :

١/ التشبيه:

من أساليب البيان، (ويقع بين شيئين بينهما اشتراك في معانٍ تعمهما ويوصفان بها، وافتراق في أشياء ينفرد كل واحدٍ منهما بصفتها، وإذا كان الأمر كذلك؛ فأحسن التشبيه هو ما أوقع بين شيئين اشتراكهما في الصفات أكثر من انفرادهما فيها حتى يدني بهما إلى حال الاتحاد)[٣]، وأركانه أربعة هي، المُشَبه، والمُشَبه به، وأداة التشبيه ووجه الشبه، (والغاية منه زيادة المعنى وضوحاً وتوكيداً ومبالغة، فضلًا عن الإيجاز والاختصار)[٤]، ومن موارد تحقق هذا الأسلوب البلاغي في النَّص الولائي ما جاء في نَصِّ أم الخير بنت الحريش، إذ أوردت تشبيهًا للجماعة المنكسرة من جيش أمير المؤمنين (صلوات الله

(١) اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان عمر: ٣١٩.

(٢) اللباب في قواعد اللغة وآلات الأدب النحو والصرف والبلاغة والعروض واللغة والمثل: ١٧١.

(٣) نقد الشعر، أبو الفرج قدامة بنفر الكاتب البغدادي: ١٢٤.

(٤) أدعية الصحيفة السجادية دراسة تداوليَّة، عمار حسن عبد الزهرة: ٧٥.

وسلامه عليه)، إذ شبهت حالهم في الفرار من الشاميين بالحمير المستنفرة أي النافرة، أو المذعورة على قراءتين بفتح الفاء وكسرها[١] فقالت: (فَكَأَنِّ بكم وَقد لَقِيتُم أهل الشَّام كحمرٍ مستنفرة لَا تَدْرِي ايْنَ يسْلك بهَا من فجاج الأَرْض)[٢]، إذ أرادت بهذا التشبيه تقبيح فعلهم، مستلة الحال التي تكون عليها الحمير- من الذعر والانحياش، والفرار إلى حيث لا تدري، ملتمسة النجاة من الخطر ولكن بلا هدى- عند نفرتها أو استنفارها، فتسقطها على مخاطبيها مشبهة لحظة فرارهم من العدوِّ ملتمسين النجاة مع الضلال بحال تلك الحمير، إذ بينت أنَّ بتراجعهم وانهزامهم قد رجحوا الدنيا على الاخرة، والضلال على الهدى والعمى على البصيرة.

والمورد الثاني في نَصِّ أم سنان المذحجية مشبهةً أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) بالهلال من جهة نوره الذي يُهتدى به محفوفًا بالخيرة من الأنصار، متفائلة بالنصر، إذ قالت:

(هَـذَا علـيٌّ كَالْهِـلالِ تَحُـفُّهُ وَسْطَ السَّمَاءِ مِنَ الْكَوَاكِبِ أَسْعُدُ)[٣]

والتشبيه الثالث في نَصِّ سودة بنت عمارة الهمدانية الشعري، حين قالت:

(شمّر كَفعل أَبِيك يَا بن عمَارَة يَوْم الطعان وملتقى الأقران)[٤]

(١) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ٢/ ٨٣٣.
(٢)))أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٣٠.
(٣)))أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٢٤.
(٤)))أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٦٧.

إذ لوّنت الهمدانية تحريضها لأخيها في ملاقاة العدو، وتحميسها إياه في اقتحام خطر المعركة بتشبيه أرادت به من مخاطبها أن يقتفي أثر والده، فيُشمّر ويتهيأ للحرب بفعل كفعل أبيه في الشجاعة والإقدام وملاقاة الأبطال، فينصر به جبهة الحق، ويذل به جبهة الباطل.

أمّا عكرشة بنت الأطش وتشبيهها في نَصِّها الخطابي بقولها:

(فَكَأَنِّي بكم غَدًا وَقد لَقِيتُم أهل الشام وهم كالحمر الناهقة، وَالْبِغَال الشاحجة، يضجون ضجيج الْبَقر وَلَا يروثون رَوْث الْعتاق)[1]، (وأنتم أُسُودُ الشَّرَى)[2]، تخيلت عكرشة في هذا المقطع من نَصِّها الخطابي لقاءً بين جبهتي الحق والبغي مشبهة حال أهل الشام بالحمير والبغال والبقر من جهة اقتصار فعلهم على الأصوات العالية والضجيج، مبينةً من تشبيهها هذا بأن جبهة العدو لا يملكون سوى الضوضاء الفارغة التي لا تستند إلى فعل يخشى منه، فهم لا يرتقون لإحداث فعل أو حتى أثر وإن كان كالروث بالنسبة للجياد العتاق (وعتقت الفرس، أي سبقت فنجتْ)[3]، والعتاق صفة نجائب الخيل[4]، أمّا جهة الحق فشبهتها بأسود الشرى (والشرى: موضع تنسب إليه الأسد، يقال للشجعان: ما هم إلا أسود الشرى، وقال بعضهم: شرى موضع بعينه تأوي إليه الأسد، وقيل: هو شرى الفرات وناحيته، وبه

(١)))أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٣٨.
(٢) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان: ٨/ ٩٤.
(٣) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ٤/ ١٥٢٠.
(٤) الأخبار الطوال، أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري: هامش ٣٠١.

غياض وآجام ومأسدة،...والشرى: طريق في جبل سلمى كثير الأسد)[١]، محفِزةً مخاطبيها بهذه المقايسة التشبيهيه بالتقدِّم نحو الحرب، والاستبسال في القتال بتهوين أثر الجبهة المقابلة قياسًا ببأسهم مزودةً مخاطبيها بجرعة من الثِّقة بالنفس، والاعتداد بالقدرات.

وبأُسلوب التشبيه في النَّص الولائي، أضافت بعض نسوة صفِّين لمسة بلاغية متميزة على المعنى في النَّص محل التضمين.

٢/ الاستعارة:

أسلوب بلاغي آخر، عرفت بتعريفات متعددة وأشهرها (أن تريد تشبيه الشيء، فتدع أن تفصح بالتشبيه وتظهره وتجيء إلى اسم المشبَّه به فتعيره المشبَّه وتُجريه عليه)[٢]، فيعمدُ إليها المتكلم عند رسم دلالات جديدة بعلاقات خارجة عن إطار المألوف بين اللفظ والمعنى غير الموضوع لهذا اللفظ (فيتراجع المعنى الأساس إلى مستوى ثانٍ خلف المعنى الاستعاري)[٣]، وقد زخرت النُّصوص النسوية الولائية بتضمينات استعارية متعددة قد أسهمت في خلق دلالات متنوعة، مع اضفاء رشحةً بلاغية متميزة، داعمةً الرسالة الإعلامية بشحنة إضافية باتجاه التأثير، وسننتخب من تلك الاستعارات الآتي:

في خطاب أمِّ الخير بنت الحريش بمعرض شكايتها ودعائها إذ قالت: (اللَّهُمَّ إِنَّه قد عيل الصَّبْر، وَضعف الْيَقِين، وانتشرت الرَّغْبَة، وبيدك يَا ربِّ

(١) لسان العرب: ١٤/ ٤٣١.

(٢) دلائل الإعجاز في علم المعاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني: ٦٧.

(٣) ينظر: بلاغة الخطاب وعلم النص، د. صلاح فضل: ١٦٦.

أزمَّة الْقُلُوب، فاجمع اللَّهُمَّ الْكَلِمَة على التَّقْوَى، وألِّف الْقُلُوب على الهدى، واردد الْحق إِلَى أَهله)[1]، قد ضمّنت هذا المقطع من كلامها استعارتين الأولى (بيدك يا ربِّ)، وبها شبهت قدرة الله تعالى برمز القدرة والبطش المحسوس عند الإنسان وهو اليد وحذفت المشبه به (الإنسان) مع استعارة اليد للباري (جلَّ وعلا) مشيرةً بهذا التشبيه إلى قدرة الله واحكامه وقوته واستعارة اليد لله تعالى مع إرادة القدرة لم تأت به أم الخير بلا سابق مثال؛ بل احتذت بهذا الاستعمال المجازي حذو الاستعمال القرآني بقوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ)[الفتح :١٠]، ثم تعود وتردف الكلام باستعارة أخرى (أزمَّة القلوب) وبها شبهت القلوب مجازًا بالدواب ثم حذفت المشبه به مع استعارة لازمه وهو الزّمام أي الحبل أو ما شابهه، الذي بوساطته تقاد الدابة ويُتحكم بها للمشبه وهو القلوب، راميةً بهذا الاستعمال البلاغي إلى أنَّ قدرة الله تعالى متحكمة ومتصرفة بتوجه القلوب وميولها في الاختيارات كتحكم سائق الدابة في توجيهها، ومن هذا المعنى دعت الله تعالى بقدرته المتحكمة والموجِهَه؛ أن يجمع من تفرق على كلمة سواء بها يتقون محارم الله تعالى وهو الفرار من القتال، ويتآلفون من جديد على الهدى وهي النصرة والثبات عليها بقرينة ظرف الخطاب، مستثمرة هذا التضَّمين والانتقال في جهة الخطاب لتولي المعنى مزيد اهتمام وعناية ومبالغة في شد انتباه السامعين لمضمون الكلام والتعاطي معه ايجابًا، إذ انتقلت من خطابهم المباشر إلى مخاطبة الله تعالى بالدعاء بمسمع ومرأى منهم لتضفي على رسالتها رشحة بلاغية ذات قيمة دينية عالية في وجدان السامع.

(١) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٢٩.

ومورد آخر لاستعارات أُخرى ضمّنتها بمعرض استعراضها منجز أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) الحربي ودوره في تثبيت الدين، ونصرته بذكر الوقائع المحسومة بسيفه إذ قالت: (فيا لَهَا من وقائع زرعت فِي قُلُوب قوم نفَاقًا، وردةً وشقاقًا)، إذ أعطت صفة الزراعة وهي من شؤون الزارع لهذه الوقائع، وللقلوب صفة الارض في قابلية الانبات، وجعلت من المزروع نفاقًا وردةً وشقاقًا، مُعطيةً المعنى دلالةً بينة واضحة بعلاقة جديدة بين الالفاظ ولوازم المحسوسات المأنوسة لدى المخاطب، مناسِبةً بين المعنى المقصود والاستعمال المجازي، فكما أنَّ الزرع ينتج عن بذار ويحتاج إلى اهتمام ورعاية من لدن الزارع لينمو ويكبر، فكذلك تلك الوقائع قد بذرت بذار النفاق والردة والشقاق في قلوب القوم غير البصيرة ثم تعهدتها تلك القلوب بالتنمية والامداد، فتكبر وتنمو ثم تنتج نتاجًا كصفِّين حدث الخطاب، فتحاول بهذا الاستعمال المجازي المُعرّي لجبهة الخلاف إمداد المقاتلين بجرعة حماسية إضافية باتجاه المواجهة، مضّفيةً على مضمون الرسالة الإعلامية عنايةً في انتقاء المعنى، وتنويعًا في الاسلوب باتجاه غرض النَّص الاساس.

أمَّا الزرقاء بنت عدي الهمدانية فقد وظّفت هذا الأسلوب البلاغي بقولها: (إنَّكم في فتنة، غشيتكم جلابيبُ الظُّلم وحادت بكم عَن قصدِ المَحَجة،... لَا يسمع لداعيها وَلَا ينقاد لسائقها)[1]، إذ استعارت عن معطيات وآثار الفتنة بالظُلم أي الظلمات، وتراكم وتكثر هذه الاثار بالجلابيب و(الجلباب الخِمارُ؛ وَقِيلَ: جِلْبابُ المرأَةِ مُلاءَتُها الَّتِي تَشْتَمِلُ بِهَا، وَاحِدُهَا

(١) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٦٥.

جِلْبابٌ، وَالْجَمَاعَةُ جَلابِيبُ)[١]، وقيل: (ثوب يشتمل على الجسد كلِّه)[٢]، فعبرت عن تأثير تراكم معطيات الفتنة المتعددة في الإحاطة والاحتواء بالجلابيب التي تحيط بالأبدان وتغطيها في معناها الحقيقي، وعلى القلوب والبصائر في الاستعمال المجازي، سالبةً الهداية ممَّن وقعوا في دائرة إحاطتها وتأثروا بها فانحرفوا وحادوا بسببها عن قصد المحجة و(القصد استقامة الطريقة)[٣]، (الْمَحَجَّةُ، وَهِيَ جَادَّةُ الطَّرِيقِ)[٤]، (وَهِي الطَّرِيق الْمُسْتَقيم)[٥]، فعلى وضوح جادة الاستقامة والصواب ينحرف عنها مبتعدًا من يقع تحت تأثير تلك الفتنة المتراكم، والناشئ من توالي الافتراقات عن المنهج الحق، مستحوذةً على قدرته في التحكم والاختيار فلا يعود يسمع الحق، أو يهتدي الصواب بتضمين استعارة أخرى إذ قالت: (لا يسمع لداعيها ولا ينقاد لسائقها)، خارجةً عن دائرة السيطرة، قاصدةً بهذا الايراد الاستعاري في نَصِّها الإعلامي إيقاظ الأذهان، وتوجيه ادراكها نحو حقيقة الحدث وشدته؛ ليستتبع ذلك تفعيل المواجهة المضادة بمبالغة وتأكيد يتلائم مع تلك الشدة والخطورة، دافعةً باتجاه متانة النَّص وقابليته البيانية في ترجمة حقيقة الظرف موضوع الخطاب.

واستعارة أخرى في نَصِّ سودة بنت عمارة الهمدانية الشعري بقولها:

---

(١) لسان العرب: ١/ ٢٧٣.

(٢) معجم اللغة العربية المعاصرة: ١/ ٣٨١.

(٣) كتاب العين: ٥/ ٥٤.

(٤) معجم مقاييس اللغة: ٢/ ٣٠.

(٥) الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري: ٧٠.

(إنَّ الإمام أخا النَّبي مُحَمَّد علم الهدى ومنارة الإيمان)[١]

مستعملة في تشبيهها الاستعاري لأمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) رمزي العلو والدلالة، وهما العَلَم والمَنارة، أمَّا(العَلَمُ: الرّاية، إليها مجمعُ الجُند،... والعَلَمُ: ما يُنْصَبُ في الطّريق، ليكون علامةً يُهْتَدَى بها)[٢]، والمنارة (وَهِيَ الْعَلَامَةُ تُجْعل بَيْنَ الحدَّين)[٣]، (وهي بناء مرتفع كان يؤذَّن عليه قديمًا، والآن يرتفع منه الأذان)[٤]، مستعيرة العَلم والمنارة وهما رمزان محسوسان مشخصان للمعنى الذهني غير المشخص بهيئة في الخارج (الهدى والايمان)، لتنقل باستعارتها الرمز لتلك المعاني، ثم تعود وتوظف هذه الاستعارة وما صيّرته من معنىً له هيئة فتشبه به أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) لتشيرَ إلى أنَّ أمير المؤمنين (عليه السلام) هو علم الهدى أي الدليل إليه، ومنارة الإيمان أي الفارق الواضح المعلوم بين حدِّي الإيمان والنفاق، محاكيةً باستعارتها هذه عقيدة مُتَبَّنة بمضامين شرعية متعددة من قرآنٍ وسنةٍ بهذا الاتجاه، ومناسبةً المعنى الاستعاري في عجز بيتها الشعري مع المضمون الروائي في صدره، لترسم صورة ولائية ملونة بإعلام موضوعي رصين يدفع باتجاه توجيه الجهد واستنفار الطاقة نحو نصرة أمير المؤمنين (عليه السلام) والكون تحت ظلال هدايته وفي دائرة الإيمان به.

(١) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٦٧.

(٢) كتاب العين: ٢/ ١٥٣.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير: ٥/ ١٢٧.

(٤) معجم اللغة العربية المعاصرة: ١/ ٧٩.

والشاهد الأخير من شواهد الاستعارة المنتخبة في النَّص الولائي النسوي لعكرشة بنت الأطش عندما حذَّرت مخاطبيها من التواكل ببيان عواقبه، بتوظيف استعاري بقولها: (واياكم والتواكل فان ذَلِك نقض عُرى الاسلام، واطفاء نور الْحق، واظهار الْبَاطِل وَذَهَاب للسّنة)[١]، اذ استعارت العُرى للاسلام وواحدها عروة والعروة المقبض[٢]، أي مواضع الاستمساك في الدين والتشبث به، فالتواكل والتخاذل عن الجهاد سيُفضي إلى إبطال ثوابت الاسلام، وانطفاء نوره الحق، وغلبة الباطل، ومحو أثر السنة، شارحةً لهم آثار التواكل على مداه البعيد والخطير، ويُقرأ من الوجهة الثانية لهذا التحذير وسرد النتائج المترتبة عليه، تحشيدًا ودفعًا باتجاه المواجهة بأعلى المستويات يتناسب والمستوى الخطير للنتائج المذكورة.

٣/ الكناية:

اسلوب بلاغي ينتمي إلى المجاز، وقد عرفها البلاغيون بقولهم: (لفظ يطلق ويراد به لازم معناه مع جواز إرادة المعنى الأصلي)[٣]، وعرَّفها عبد القاهر الجرجاني بقوله: (أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود، فيومئ به إليه ويجعله دليلاً عليه)[٤]، فدلالة اللفظ على المعنى باللازم أوسع

(١) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٣٨.

(٢) ينظر: التَّلخِيص في مَعرفَةِ أسمَاءِ الأشياء، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري: ١٩٠.

(٣) اللباب في قواعد اللغة وآلات الأدب النحو والصرف والبلاغة والعروض واللغة والمثل: ١٧٦.

(٤) دلائل الإعجاز: ٦٦.

رحابًا، قياسًا بدلالة اللفظ على المعنى الموضوع له، فالألفاظ في الكنايات متحررة شيئًا ما من قيود المعجم وتحديداته، وقد تكرّر توظيف هذا الأُسلوب في النُّصوص الولائية، وسُخِّر لتقديم الدلالات المختلفة باتجاه الغاية الأساس من النَصِّ، وسننتخب من النُّصوص بعض الموارد الكنائية وهي:

في نَصِّ أم الخير بنت الحريش، قد أوردت كنايات متعددة لمعانٍ مختلفة وسنختار منها موردين الأول: (فَلم يدعكم فِي عمياء مشتبهة، وَلَا عشواء مدلهمة)[١] نافيةً أن يكون الله تبارك وتعالى قد تركهم (أي مخاطبيها) في عمياء مشتبهة ولا عشواء مدلهمة كنايةً عن الجهل والضلال، بعد أن قدّمت للحديث عن هذا المعنى بالإثبات بقولها: (إنَّ الله (عزَّ وَجلَّ) قد أوضح الْحق، وأبان الْبَاطِل، وَنوّر السبل، وَرفع الْعلم)[٢]، مناسِبة بين ما اختارت من لوازم مجازية للجهل والضلال وهي: (العمى والاشتباه، والعشو وهو عدم الابصار في الليل دون النهار[٣]، و(الإِدْلِهَامُ، ادْلَهَمَّ الليلُ: إِذا أظلمَ)[٤]، ومعنى كل منهما، للدلالة عليهما، خارجة عن اطار الحقيقة إلى المجاز بالكناية لخلق جو من التفاعل والتنشيط الذهني لدى المخاطب وجعله يدور في فلك الدلالة محاولًا اقتناص المعنى المراد، ويُلحظ أيضًا أنَّها عندما تكلمت مثبتةً الهدى قالت: (قد أوضح الْحق وأبان الْبَاطِل)، والعلم قالت: (وَرفع الْعلم) جاءت بالألفاظ الصريحة في الدلالة، لترمي إلى أن طريق الهدى والعلم واحد

(١) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٢٩.

(٢) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٢٩.

(٣) ينظر: كتاب العين: ١٢/ ١٨٨

(٤) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم: ٤/ ٢١٥١.

بيِّن، أمَّا عندما تكلمت نافية الجهل والضلال استعانت بالمجاز(فَلم يدعكم فِي عمياء مشتبهة، وَلَا عشواء مدلهمة)، لتوسع من رقعة الدلالة على المعنى نفيًا؛ أذ إنَّها عمدت إلى نفي أي احتمال متصور في كون الله تعالى قد ترك عباده يتخبطون في الضلال، أو يرزحون تحت وطأة الجهل، مومئةً إلى تعدد سبل الضلال وطرق الجهل بخلاف الهدى والعلم، فناسبت بين الألفاظ ودلالات المعاني، والمورد الثاني بقولها:

(... لما اخترنا وُرُود المنايا على خفض الْعَيْش وطيبه)[١]، مبينة مفاضلتها واختيارها ركوب الخطر والاقبال على المنايا على خفض العيش أي (سَعَتُه ورَغَدُه)[٢]، أوَ(السِرَّيرُ لَأَنَّ الِإنْسَانَ يَسْتَقِرُّ عِنْدَهُ وَعِنْدَ دَعَتِهِ)[٣]، إشارة إلى الراحة، والركون إلى مواطن الأمن والدعة، وطيب العيش أي (اتساعه)[٤]، و(الحياة الحسنة)[٥]، و(الغضارة)[٦]، فكنّت عن هذه المعاني بخفض العيش وطيبه، مستعينة بالمجاز في الدلالة على أهمية اختيارها -المجانب لطبيعة النفس الانسانية المجردة في الركون إلى السلامة- وترجيحها لأداء المهمة في قلب الحرب اقتضاءً للأسباب التي قدمت لها بقولها: (إِنَّه لَوْلَا أن يبطل الْحق،

(١)))أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٣٠.

(٢) تاج العروس من جواهر القاموس: ١٨/ ٣١٨.

(٣) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٣/ ٦٩.

(٤) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار: ٢/ ٩٣٥.

(٥) معجم اللغة العربية المعاصرة: ٢/ ١٤٢٩.

(٦) مجمل اللغة: ١/ ٦٩٧.

وتُعطَّل الْحُدُود، وَيظْهر الظَّالِمُونَ، وتقوى كلمة الشَّيْطَان لما اخترنا...)[١] من جهة، ودلالة على التعريض بالمخاطب الذي فرَّ من اللقاء؛ ليأمن على نفسه نائيًا بها عن مخاطر الحرب من جهة أخرى، داعمةً خطابها بهذه الاستعمالات البلاغية بغية تمتين محتوى رسالتها الإعلامية، وضبط توجهها باتجاه غايتها الاساس بمعانٍ متنوعة وهادفة.

والاستعمال الكنائي الثاني من نَصِّ أم سنان المذحجية بقولها:

(يَا آلَ مَذْحِجَ لَا مقَام فشمّروا إِنَّ الْعَدُوَّ لآلِ أَحْمَدَ يَقْصِدُ)[٢]

إذ استعانت بلفظة (التشمير) كنايةً عن الاستعداد للحرب، والجدِّية في النصرة وسرعة المبادرة، وتشمير الأزار رفعه[٣]، (وشمَّر فِي أمره تشميراً، إِذا جدَّ)[٤]، بعد أن أخبرت المنادى (آل مذحج) بأنَّ لا مقام لهم ولا مجال للتواني أو التقاعس عن الدخول في هذه الحرب والعدو يلُّوح لها، فعبَّأت لهدفها في الاستنهاض والنصرة بمعنى غزير الدلالة باستعمالها لفظة (شمّروا) المقابلة لعبارة (إنَّ العدو لآل أحمد يقصد)، داعية إياهم إلى تفعيل المبادرة في الصدِّ لقصد العدو.

وكذلك قد وظّفت الزرقاء بنت عدي الهمدانية كنايات متعددة في نَصِّها

(١) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٢٩.
(٢) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٢٤.
(٣) غريب الحديث، إبراهيم بن إسحاق الحربي أبو إسحاق: ٣/ ٩٤٨.
(٤) جمهرة اللغة: ٢/ ٧٣٣.

نورد منها شاهدين كذلك الأول، قولها: (يَا لَهَا من فتْنَة عمياء صماء...)[١] إذ كنّت بوصفي العمياء والصماء عن ضراوة هذه الفتنة وشدة تأثيرها، والمعنى (أي لا ترى منها مخرجًا، أو المراد بها صاحبها، أي يقع منها على غير بصيرة، فيعمون فيها ويصمون عن تأمل الحق، واستماع النصح؛ بل يحاربون عن الجهل والعداوة)[٢]، فاتحة مجال المعنى بدلالات متعددة محتملة لمخاطر هذه الفتنة، ومقصودة في توجيه المخاطب نحو تلك التأثيرات لتنقله بعد ذلك من دائرة استشعار الخطر إلى دائرة التحفظ والاحتراز منها، والثاني قولها: (وإنَّ خضاب الرِّجَال الدِّمَاء)[٣]، والخضاب (ما يُلوَّن به الشَّعر وغيره من حِنَّاء ونحوها)[٤]، داعيةً جمهورها إلى اقتحام أجواء الحدث والتوغل في عمق المعركة نصرة للحق، مُكنِّيةً عن هذا المعنى بخضاب الدم الذي لا يُتَحصّل إلّا بالكون في قلب المعركة، تأكيدًا منها بإيراد هذه الكنايات تفعيل عملية التأثير في الجمهور جهة الخطاب.

أمَّا في نَصِّ عكرشة بنت الأطش فنختار: (إِنَّ مُعَاوِيَة دلف اليكم بعجم الْعَرَب غلف الْقُلُوب)[٥]، مكنِّيةً عن عدم الفهم والإدراك بـ(عُجم العرب) وعن عدم البصيرة والإيمان بـ (غلف القلوب)، بمعرض وصفها أشخاص جبهة العدو، فتعطي اشارة إلى مخاطبيها بأنَّهم الأرجح في الميزان قياسًا

(١) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٦٥.

(٢) مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار، جمال الدين، محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي الفَتَّنِي الكجراتي: ٤/ ٩٩.

(٣) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٦٥.

(٤) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة: ١/ ٦٥٥.

(٥) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٣٨.

بعدوهم، مهوِّنةً جانب العدو داعمةً الجانب النفسي والاستعداد المعنوي بهذا الوصف الكنائي.

وممَّا سبق فقد ظهر أنَّ النساء في نصوصهن الإعلامية قد تعمَّدن الخروج عن الأطر اللغوية العامَّة المتوافق عليها، وخرقن المتوقع للسامع باستعمالاتٍ استعاريَّة وكنائية وتشبيهات، وكل ذلك من أجل رفد الرسالة الإعلامية بزخم من الشحنات العاطفية، إضافةً إلى قصد الاستحواذ على ذهن السامع والتأثير فيه، فجاء النَصُّ النسوي مزينًا وملونًا تلوينًا تركيبيًا وأُسلوبيًا بلاغيًا، كاشفًا عن قدرة المتكلم، وتمكّنه من أداء مَهمته بإحكامٍ وتمعنٍ، وفي الوقت ذاته يكشف أيضًا عن قيمةٍ فنيةٍ عاليةٍ للنَصِّ الإعلامي تم الانتقال بها على حسب متطلبات المعنى المساق في الإيصال والتأثير، فمثلًا على مستوى بيان الجانب العقلي والشرعي في بيان حق أمير المؤمنين(عليه السلام) ووجوب طاعته، تم الإغناء بالأدلة والاستنادات مزينة بالأسلوب المنتخب وهذا البيان، وعند بيان المستوى العاطفي نجد اتكاءً على اسلوب مختار آخر يحاكيه ويلائمه، كما في بيان مثلًا قيمة وأهمية جند جبهة الحق ومنجزهم السابق وأنَّهم الأقدر على الحسم قياسًا بعدوهم استثارة لعاطفتهم وحميتهم، وعند الوقوف على مستوى البيان التحريضي والتحشيدي والدفع باتجاه المواجهة نجد كذلك قولبة ملائمة لهذا المعنى والاسلوب المنتقى وهكذا، ونخلص ممّا تقدّم إلى أنَّ رسالة صفِّين الإعلامية في الولاء قد تم الاعتناء بها من لدن النسوة اعتناءً متناسبًا وشأن الحدث، إذ تم تسخير مختلف المعاني الطولية في موضوع الولاء مع مناسبتها ومختلف الأساليب اللغوية في البيان، من

أجل تفعيل التعاطي الايجابي وتحصيله بأعلى مستوى مع مضمون الرسالة الاعلامية وغايتها في النصرة من لدن المخاطب، وبهذا البيان مع سابقه من عوامل النجاح التي تم رصدها في الرسالة الإعلامية الولائية في صفِّين لهؤلاء النسوة، نخلص إلى أنَّ الرسالة كانت ناجحة وقد أسهمت بقدر مهم في دعم المعركة معنويًا وميدانيًا.

الفصل الرابع
المتلقي للرسالة الإعلامية والأثر منها

أولًا// المتلقي:

تقدّم أنَّ المتلقي هو الجهة المتوجه إليها بالخطاب، وهو الهدف المقصود في الرسالة الإعلامية، ويمكن أن نصنفَه في صنفَّين إلى قسمين هما؛ أجناد جبهة الحق الذين تلقوا الرسالة بالمباشرة وكانت ضمائر الخطاب المباشر تشير إليهم (أفرادًا أو جماعات)، والقسم الآخر الواقع في دائرة القصد أيضًا؛ المتلقي بصورة غير مباشرة وهم أجناد جبهة العدو الذين أوصلوا لنا هذه النُّصوص بعد مدة من الزمن، المتكفلة بتغيير المعطيات والأحداث، إذ إنَّ بعض النسوة وكما مرَّ، قد اخترن التموضع ما بين الصفّين، ورُحنَ يجهرنَ بخطاباتهن على مسمع ومرأى من الطرفين، وبالتالي كانت جبهة العدو منظورة في القصد من لدن هؤلاء النسوة، فتلقت الخطاب كذلك أسوة بجانب جبهة الحق ولكن بصورة غير مباشرة، وإنَّ لمعرفة خصائص المتلقي، وخلفيته الثقافية، ومواطن التأثير فيه، مع مراعاتها بلا مجاملة على حساب موضوعية الرسالة، وصدقها في النَصِّ الإعلامي من لدن المرسل الأثر المهم باتجاه إيصال الرسالة، والتعاطي معها إيجابًا، ونستطيع تقسيم المتلقي في صنفَّين إلى جهتين كما تقدّم بثلاثة مستويات وهي:

١ـ جهة الخطاب الأولى (المباشرة):

جبهة أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) المُجمعون على أنَّ الحق معه في هذه المواجهة، المتفاوتون في فهم أحقيته وشرعية خلافته ولذا فهم على مستويين:

أ/ من كان يعتقد اعتقادًا حقًا بإمامته وخلافته المباشرة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بلا فصل، وهؤلاء يمثلون العنصر العقدي الأهم في جيش أمير المؤمنين (عليه السلام) وغالبهم من المهاجرين والانصار الذين كان يقع عليهم ثقل الاعتماد في مواجهة العدو الباغي سيفًا ولسانًا.

ب/ من كان يعتقد أنَّ أمير المؤمنين (عليه السلام) هو الخليفة الرابع ببيعةٍ صحيحة؛ وعليه فهو صاحب الحق، وأنَّ معاوية بن أبي سفيان بافتعاله هذه الحرب كان معتديًا وباغيًا، فصح تواجدهم على فساد عقيدتهم فهم في الولاء أدون بكثير قياسًا بالفئة الأُولى؛ بل كشفت الأحداث فيما بعد أنَّ غالبهم لا ولاء له بالمطلق، ومن هذه الفئة المُذَبذَبة انطلقت شرارة فتنة الخوارج في صفِّين بعد رفع المصاحف والتحكيم بمقولة (لا حكم إلّا لله) لزرعة بن البرج الطائي، وحرقوص بن زهير السعدي[1]، وبهذا الانقلاب قد شكّلوا عاملاً مؤثرًا في انكسار جيش أمير المؤمنين (عليه السلام) وإبقاء معاوية بن أبي سفيان على العرش في الشام، ومن ثمَّ استيلائه على مقام الخلافة فيما بعد، بعد أن كان النصر وشيكًا لصالح جبهة الحق، ومن شخوص هذه الفرقة الضالة أيضًا

(١) ينظر: الخلاف، الشيخ الطوسي: هامش ١/ ٢٠٤.

الأشعث بن قيس، ومسعود بن فدكي التميمي، وزيد الطائي[١].

٢ـ جهة الخطاب الثانية (غير المباشرة):

وهي الجهة المقابلة أجناد جبهة الشام مستوى المخاطب الثالث، وهم من تربى على الثقافة الأموية المعادية لأمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) المدعومة بالإعلام المُضلِل ذي المادة المزورة، والأشخاص الوضّاعين والكذّابين على مدى زمن ليس بالقليل بتدبير من معاوية بن أبي سفيان، مفعّلين تلك التعبئة المعادية بتواجدهم في جبهة البغاة لقتال أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه)، مصدِّقين ادعاء الثأر لدم عثمان، وقد تقدَّم الكلام عن تعبئة هؤلاء وإعدادهم في الإعلام الأموي والمجتمع الشامي في (الفصل الثاني من الباب الأول)، وفي خصوص هذه الجبهة أيضًا كانت هناك فئة تعلم بأحقية أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) في هذا الصراع، ولكنَّها انضمت إلى جبهة الخلاف زاهدة بالآخرة لاهثةً خلف وعود معاوية بالأموال والسلطان طلبًا للدنيا وزينتها، كعمرو بن العاص الذي دخل معترك صفِّين ممنِّيًا النفس بولاية مصر بعد أن وعده معاوية بها لقاء التحاقه به، وعليه لم يكن تواجده في جبهة الخلاف عقائديًا، أو أنَّه كان يعبأ لدم عثمان بن عفان، ولذا فما أن عزله معاوية عن ولاية مصر مخلِّفًا عليها عبد العزيز بن مروان بن الحكم بدلًا عنه[٢] حتى بدأ عمرو يكشف عمّا كان يعرف من الحق، مغلِّظًا على معاوية في القول بقصيدة تدعى الجلجلية[٣] كاشفًا بها عن

(١) ينظر: تاريخ الطبري، محمد بن جرير الطبري: ٤/ ٣٤، ٤/ ٣٦.

(٢) ينظر: أعيان الشيعة: ١/ ٥١٧.

(٣) ينظر: الغدير: ٢/ ١١٧.

مساوئ معاوية معرّيًا عن حقيقته ومفّصحًا عن سبب اتباعه له نختار منها:

نصرناك من جهلنا يا بن هند ... على النبأ الأعظم الأفضل

وحيث رفعناك فوق الرؤوس ... نزلنا إلى أسفل الأسفل

وكم قد سمعنا من المصطفى ... وصايا مخصصة في علي ؟

وفي يوم «خم» رقى منبرا ... يبلغ والركب لم يرحل

وفي كفه كفه معلنا ... ينادي بأمر العزيز العلي

ألست بكم منكم في النفوس ... بأولى؟ فقالوا: بلى فافعل

فأنحله إمرة المؤمنين ... من الله مستخلف المنحل

وقال: فمن كنت مولى له ... فهذا له اليوم نعم الولي

فوال مواليه يا ذا الجلال ... وعاد معادي أخ المرسل

ولا تنقضوا العهد من عترتي ... فقاطعهم بي لم يوصل

فبخبخ شيخك لمّا رأى ... عرى عقد حيدر لم تحلل

فقال: وليكم فاحفظوه ... فمدخله فيكم مدخلي

وإنّا وما كان من فعلنا ... لفي النار في الدرك الأسفل

وما دم عثمان منج لنا ... من الله في الموقف المخجل

وانّ عليًّا غدًا خصمنا ... ويعتز بالله والمرسل

يحاسبنا عن أمور جرت ... ونحن عن الحق في معزل

فما عذرنا يوما كشف الغطا ؟ ... لك الويل منه غدا ثم لي

إلا يا بن هند أبعت الجنان ... بعهد عهدت ولم توف لي

وأخسرت أخراك كيما تنال ... يسير الحطام من الأجزل

وأصبحت بالناس حتى استقام ... لك الملك من ملك محول

وكنت كمقتنص في الشراك ... تذود الظماء عن المنهل

كأنك أنسيت ليل الهرير ... بصفين مع هولها المهول

وقد بت تذرق ذرق النعام ... حذارا من البطل المقبل

منحت لغيري وزن الجبال ... ولم تعطني زنة الخردل

وأنحلت مصرا لعبد الملك ... وأنت عن الغي لم تعدل

فإنك من إمرة المؤمنين ... ودعوى الخلافة في معزل

ومالك فيها ولا ذرة ... ولا لجدودك بالأول

فإن كان بينكما نسبة ... فأين الحسام من المنجل؟

وأين الحصا من نجوم السما؟ ... وأين معاوية من علي؟[1]

(١) الغدير: ٢/ ١١٥-١١٧.

فعمرو بن العاص كان نموذجًا بارزًا للجماعة التي علمت الصواب ولكنّها حادت عن جادته تقودها المآرب والغايات الدنيوية، إضافة إلى أنَّ الفئة الأكبر المُغَرَّر بهم والمخدوعين بالتضليل الأموي من الشاميين، ما كانت لتكون هذه عاقبتهم لولا أنَّهم قصّروا في طلب الحق، وتقصي سبيله، مسَلِّمين قياد عقولهم للثقافة الأموية فعبئتها بما شاءت، لذا كانت أحدى مهام الجهاز الإعلامي في جيش أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه)، رجالًا ونساءً في صفِّين؛ بيان الحق وإلقاء الحجة على المتلقي بإضاءة الطريق له بإعلام رصين مستند على أساس ديني متين، يقابل حملة التضليل الأموي، ويفنّدُ أباطيلها .

ولأجل أنَّ المتلقي لم يكن على شاكلة واحدة في الاعتقاد والثقافة، فقد جاءت المضامين الطولية في الولاء الاعتقادي الصحيح لهؤلاء النسوة ضمن محتوى الرسالة الإعلامية بمصداقية عالية أريد منها إحداث الأثر مع وجود هذه الفروق الملاحظة في المتلقي، وممّا يدل على ذلك اشتمال النَّص الإعلامي النسوي في بعض مناحيه على مضامين تنزل المتلقي منزلة الجاهل بالحال، ويمكن تحديد أهم ما تم تسويقه (مجتمعًا أو متفرقًا) في الرسالة الإعلامية في النَّص النسوي والواقع ضمن دائرة الولاء وتحصيل النصرة.

١/ بيان مستند الاعتقاد بأمير المؤمنين الديني بإيراد المضمون الروائي النبوي بهذا الصدد الكاشف عن العقيدة الصحيحة في أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) كما في(الوصّي، الصدِّيق، الإمام، أخو النبي، خيرُ الخلائق،...)، مع ارفاق المعضد الساند لهذا الإعتقاد وهو الريادة والسبق

للإنجاز العلوي الكبير الذي شيَّد الاسلام، وكسر شوكة الكفر، فيكون مثل هذا التثقيف تذكيرًا واستئناسًا وزيادة في رفع روح الحماسة لخصوص المتلقي من المستوى الأول من جيش أمير المؤمنين (عليه السلام) لأنَّه تحصيلٌ للحاصل وإيراد للمعلوم بالنسبة إليهم، وتأكيدًا على النصرة مع تصحيح في أصل الإعتقاد للمستوى الثاني من الجيش ذي الخلل في الرؤية والصحة في الموقف، وقد يكون هذا الإيراد معلوم لدى هذه الفئة أيضًا ولكنهم تعاطوا معه بفهم خاطئ، أو قد فهموه ووعوه وعطَّلوه لأسباب معينة، فيكون قصد الرسالة الإعلامية عندئذٍ كسر هذا التعطيل، وتأكيد الفهم الصحيح تحصيلًا لمستوى أعلى من الثبات والنصرة، أمَّا بالنسبة لجهة الخلاف ذات العقيدة الفاسدة فكان هذا المضمون بالنسبة إليهم تبليغ وبيان لغالبهم مع تخطئتهم وبطلان موقفهم.

٢/ التحريض على القتال بأساليب شتى هي: طلب القتال المباشر من المتلقي المباشر (فردًا أو جماعة)، بإثارة الحميّة عند جماعة الخطاب المباشرة كما في تسميتهم بوصف التشريف (المهاجرين والانصار) وبيان أنَّهم أصحاب الإنجاز الاول في الاسلام، ونعتهم بالشجاعة والبطولة، مع تهوين جانب العدو وتعّريته، استعمال رمز الحرب وهو السيف من لدن أحد النساء، والتواجد بالقرب من مركز الخطر، ربط حدث صفِّين في أكثر من نَصٍّ بالصراع الأول بين جبهتي الاسلام والكفر وأنَّه امتداد للمعارك الأُولى بين الجبهتين، والتعريف بمن يمثل كل من هاتين الجبهتين في وقعة صفِّين، أو بيان الحدث على إنَّه فتنة نتجت عن تراكم انحرافات عن جادة السواء، كل ذلك

من أجل تحصيل رفع الروح المعنوية للمتلقي المباشر في جبهة أمير المؤمنين، وإمداده بثقة عالية واشعاره بقيمة موقفه ونصرته، من جانب آخر تثبيط في معنويات المتلقي غير المباشر في جبهة العدو، وإحاطته بجو من القلق والشك، وعدم الثبات النفسي، والرهبة من ملاقاة الخصم، وهذا التأثير السلبي على فرض تحققه في المتلقي غير المباشر، يقع ضمن حدود التأثير الإيجابي للرسالة الإعلامية الولائية وتحقق غايتها.

ونستطيع القول أيضًا أنَّ دائرة المتلقي لمحتوى النَّصِّ الولائي النسوي تتسع متجاوزة شخوص الحدث ظرف الرسالة الإعلامية آنذاك، لتشمل كل متلقٍ وصله النَّصُّ الولائي وإن لم يكن مقصودًا بشخصه، إذ إنَّ الموضوع المتناول في النَّصِّ النسوي لم يكن موضوعًا وقتيًا طارئًا تمخض عن ظرف معين فينتهي بانتهائه؛ بل هو موضوع عقدي أصيل في الدين؛ لذا فهو باقٍ ما بقي الدين، وما معركة صفيِّن وما سواها من الأحداث الفارقة بين جبهات الحق والباطل إلّا محطات كشف وإعلام عن هذه العقيدة، فينتهي الحدث وتستمر العقيدة متنقلة مع تعاقب الأجيال، فهذا القرآن الكريم وسنة المعصومين المطهرة (صلوات الله وسلامه عليهم) تتلقاها الأجيال بلا توقف على مرِّ العصور متأثرة بها، وعليه فالتثقيف لعقيدة الولاء يقع في طول هذا التلقي غير المنحصر بفئة أو زمان أو مكان فهو يحاكي مضمونًا لأصلٍ متين في القرآن والسنة لم تنقطع الحاجة إليه، فالتثقيف لولاية أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) غير منحصر بخصوص اشخاص صفِّين، وإن كانوا هم المقصودون مباشرة بالخطاب آنذاك؛ بل يتعداهم إلى كل من يصله النَّص،

وممّا تقدم من حديث نعدُّ أنفسنا أيضًا ضمن دائرة المتلقي أسوة بمن وصله النَّص، ومطالبين كذلك بتفعيل النصرة لأمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) بالشكل الذي يتناسب مع الأساليب المستجدة للعدو في الصراع .

ثانيًا// الأثر.

ويسمى أيضًا (رجع الصدى أو التغذية الراجعة)، وقد تقدّمَ الحديث عن أثر الرسالة الإعلامية النسوية في صفِّين في كلام سابق، إذ به تمَّ الاستدلال على بلاغة هؤلاء النسوة، التي تُعدُّ من مقومات نجاح المرسل وتمكّنه من أداء مَهمته بنحوٍ جيد، إذ إنَّ هناك ارتباط بين بلوغ المتكلم غايته من الكلام والأثر من المتلقي؛ بل إنَّ بلوغ غاية المرسل هو إحداث التأثير والاستجابة لدى جمهور الخطاب .

وبصورة عامة تتباين الاستجابة وردة الفعل إزاء محتوى الرسالة الإعلامية فتتخذ أشكالًا منها[1]:

* أن يفهم المتلقي الرسالة ويكتفي بذلك، ممّا يعني عدم وجود تغذية راجعة.

* أن يفهم المتلقي الرسالة ويعمل بمقتضاها، وهذا يشجع على استمرار قيام الوسيلة الإعلامية بأدوارها لتحقق غايتها في التأثير .

* أن يفهم المتلقي الرسالة ولا يقتنع بها، بل يعمل بالضد من مضمونها.

* ألّا يفهم المتلقي الرسالة، ممّا يتطلب إعادتها بشكل أوضح .

(١) ينظر: مدخل إلى علم الاتصال والإعلام، د. زاهر زركار: ٤٦.

وبإسقاط هذا الكلام على أثر رسالة صفّين الإعلامية النسوية، مع ملاحظة أنَّ المتلقي كان متعددًا ومتباينًا في الإعتقاد والموقف؛ ولذا فمن المتوقع جدًا أن ينوّع في الاستجابة حال تحققها حيال الخطاب سلبًا أو إيجابًا تبعًا لذلك، ومن الطبيعي جدًا ألَّا تنتج العملية الإعلامية مهما كانت تمتلك من مقومات نجاح متكاملة استجابة إيجابية تامة وشاملة مع مضمونها، لاسيّما عندما يكون (أي المضمون) مخالفًا في الإعتقاد لنسبة كبيرة من أفراد المتلقين، وما يهمنا من هذه الأشكال هو الشكل الذي تحقق فيه أثر العملية الإعلامية - مهما كان مستواه في الجمهور المخاطب برسالة النسوة الولائيات- وتبعًا للمتلقي سنقسم الأثر على صورتين مع بيان الشواهد الكاشفة عن كل منهما:

١ـ الأثر المتحقق في جهة الخطاب المباشرة:

وهو الإقدام على ملاقاة الأعداء، وقتالهم بروحية عالية الحماسة مع استبسال بمستوى عالٍ، تحصيلًا للنصرة المطلوبة في جانب جبهة الحق ومن شواهد تحقق هذه الصورة في الأثر:

ما جاء في وصف أثر مقالات بكَّارة الهلالية (ولها هناك (أي في صفّين) مقالات حماسية جعلت كل من سمعها يقدم على الهلاك بدون مبالاة بالعواقب)[1]، ممَّا يعني أنهَّا عبأت مقالاتها بزخم حماسي هادر شحذ من همم الرجال، وشحن كل من تلقاه بالروحية القتالية العالية، مندفعًا نحو القتال والنصرة غير آبهٍ بسلامته وما ستؤول إليه الأمور محققةً برسالتها أثرًا

(١) الدر المنثور في طبقات ربات الخدور، زينب بنت علي بن حسين بن عبيد الله بن حسن بن إبراهيم بن محمد بن يوسف فواز العاملي: ٩٩.

بمستوى عالٍ. ممَّا يعني أنَّ القوة الإنجازية لخطابها قد بلغت غايتها فأثَّرت بمتلقيها حدَّ الاستجابة؛ بل أقصى ما يرمي إليه الفعل وهو خوض غمار المعركة دون الالتفات إلى شيء آخر، مهيمنة بذلك على مدركات التلقي لدى المخاطب، وموجهةً إياه بسهولة نحو أثر الرسالة المطلوب .

أمَّا الشاهد الآخر يتجلى فيوثق قراءة في كل من الجبهتين، مرتسمة منه ملامح كلا الصورتين في الأثر للنصِّ الإعلامي لجانبي النزاع في صفِّين لسودة بنت عمارة بن الأشل الهمدانية، إذ قال لها معاوية متذكرًا مقالتها (هيه يَا ابنة الاشل ألست القائلة لأخيك يَوْم صفّين...)[1]، محرضةً إياه دافعة به نحو القتال، والكون أمام لواء الإمام (صلوات الله وسلامه عليه) وتفديته له بنفسه، فقال لها: (...هيهات ما مثل مقام أخيك ينسى وما لقيت من أحد ما لقيت من قومك وأخيك قالت صدق فوك لم يكن أخي ذميم المقام، ولا خفي المكان كان والله كقول الخنساء:

وإنَّ صخرًا لتأتم الهداة به ... كأنَّه علم في رأسه نار[2]

مستذّكِرًا فعل أخيها، وما أبلاه في المعركة من بلاء متميز منتصرًا به لجبهة الحق، وإنَّ ما انعكس من شدة بلائه في المواجهة أنبأ عن إيجابية متميزة في النَّصِّ التحريضي لسودة بنت عمارة على مستوى كل من الجبهتين، فعلى مستوى جبهة الحق تجلّى أثر النصِّ من تفعيل التحريض القولي من لدن

(١) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٦٧.

(٢) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٦٨.

المرسل إلى استبسال عملي بأعلى مستوى من لدن المتلقي، فجسَّد النصرة بأبهى صورة، أما من جانب جبهة العدو فالأثر الإيجابي للنَّص يلوح بتصريح معاوية بن أبي سفيان إذ وصف فعله مع قومها بأنَّه الأشد عليه ولم يرَ من غيره ما رآه منه، يضاف إلى أنَّ نفس استذكار مقولتها من لدن العدو لدليل على شدة وقعها عليه وتأثره بها.

٢ـ الأثر المتحقق في جهة الخطاب غير المباشرة :

وهو الإسهام بقدرٍ ما في تثبيط معنويات العدو وشحنه بشحنة من القلق والتردد والرهبة من القتال، ووثق هذا الأثر بالقول: (كان جنده(أي أمير المؤمنين) أحفل الأجناد بذوات القول الفصل، والرأي الجزل من النساء، ولهن في صفِّين مقامات ومواقف، أشجت حلوق العدو، وصكت أسماعهم، وروعت نفوسهم، ومن هؤلاء بَكَّارة الهلالية، وسودة ابنة عمارة، وآمنة بنت الشريد، وأم سنان بنت خيثمة، وكثيرات من نظائرهن وأشباههن، ممن أوتين جوامع الكلم، وجمعن أشتات الحكم)[1] ويقسم هذا الأثر في هذه الصورة على عام وخاص:

أ/ العام:

هو ما تحقق في جميع الرسائل الإعلامية لنسوة صفِّين المواليات والمتضمن الاستذكار للنُّصوص الولائية التحريضية من لدن جبهة العدو بتفاصيلها وتفاصيل بعض الهيئات التي ظهرت بها بعض النسوة وقت الخطاب آنذاك، وفيه دلالة واضحة على تأثر المستذكِّر بالنَّصِّ تأثرًا جعله يعلق في نفسه

(١) المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها: ٢/ ١٢٠.

ويختزن في ذاكرته بحيث ينقله بتفصيله، وشواهد استذكار النُّصوص هي:

تذكير معاوية لأمِّ البراء بنت صفوان بن هلال فيما بعد بأبياتها التحريضية في وقعة صفِّين بقوله: (قَالَ شتان بَيْنك الْيَوْم وَحين تَقُولِينَ...)[1]، وقيل إنَّ (عمرو) المخاطب في أبياتها هو عمرو بن العاص ظهير معاوية بن أبي سفيان بالحرب وصاحب الرأي عنده، خاطبته في أبياتها متحديةً إياه، ناصحةً له بالانضمام إلى جيش أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه)[2]، ومع أنَّ الاستجابة لم تتحقق من لدنه، إلّا إنَّنا نستطيع القول بأنَّ تلك المرأة الموالية قد حاولت إحداث الأثر حتى مع عدم احتماله في المتلقي ايمانًا منها برسالتها، ومبالغة في أداءً مَهمتها حتى مع فرض عدم تحقق الأثر في شخص المخاطب المباشر غير المنحصر بدائرة القصد التي تتعداه إلى كل مقاتل يسمع تحريضها ودفعها باتجاه ملاقاة العدو، وأيضًا عندما انبرى أحد جلساء معاوية بن أبي سفيان بطلب منه يستذكر كلام أمِّ الخير بنت الحريش بدقة واصفًا حفظه له كحفظه لسورة الحمد المتيسر حفظها للجميع، فيستطيع استذكار الكلام بسهولة ودقة كمًّا لو أراد أن يستذكر سورة الحمد، مع تفصيل في وصف هيئتها حين الخطاب، ممَّا يعني أنه كان ملتفتًا لكلامها متأثرًا به (ثمَّ الْتفت إِلَى اصحابه فَقَالَ أَيُّكم يحفظ كلامها فَقَالَ رجل من الْقَوْم يَا ... أَنا أحفظه كحفظي سُورَة الْحَمد قَالَ: هاته، قَالَ: نعم كأَنِّي بهَا فِي ذَلِك الْيَوْم وَعَلَيْهَا برد زبيدي كثيف الْحَاشِيَة وَهِي على جمل وبيدها سَوط منشورة الضفيرة وَهِي

(١) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٤٤.

(٢) ينظر: شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام: ١٨٤.

كالفحل يهدر فِي شقشقته وَهِي تَقول...)[١]، واستذكار معاوية لأبيات أم سنان الحماسية التي خاطبت بها قومها محرِّضةً إياهم على القتال، والاستبسال بمواجهة جبهة الشام، عند دخولها عليه فيما بعد وتعريفها بنفسها فيسألها ناقمًا: (ما الذي أقْدَمَكِ علينا اليوم، وبالأمسِ تشتمينا، وتُحرِّضين علينا عدوَّنا؟... فقال: أنسيتِ قولكِ: ...)[٢] كما وقد استذكرت أبيات بَكَّارة الهلالية من لدن حاشية معاوية وزبانيته فيما بعد (فَقَالَ عَمْرو بن الْعَاصِ هِيَ وَالله القائلة...، فَقَالَ مَرْوَان بن الحكم وَهِي القائلة ...، فقال سعيد بن الْعَاصِ وَهِي القائلة ...)[٣]، أمَّا الزرقاء بنت عدي الهمدانية، تم استذكارها مع نشاطها التحريضي الحماسي من لدن حاشية معاوية المقربة كما نُقِل (... حَدثنِي جمَاعَة من بني أُميَّة مِمَّن كَانَ يسمر مَعَ مُعَاوِيَة بن أبي سُفْيَان قَالَ: كُنَّا نبيت مَعَ مُعَاوِيَة بن أبي سُفْيَان ذَات لَيْلَة نسمر مَعَ عَمْرو بن الْعَاصِ، ومروان بن الحكم، وَسَعِيد بن الْعَاصِ وَعتبَة بن الْوَلِيد (ذكروها وما فعلت بصِفِّين))[٤]، فيسألهم معاوية (أَيُّكم يحفظ كلامها يَوْم صفّين قَالَ الْقَوْم كلهم نَحن نَحْفَظهُ)[٥]، ويستذكر معاوية بن أبي سفيان مرة أخرى مقالة عكرشة بنت الأطش مع هيئتها آنذاك بقوله: (...الست صَاحِبَة الكور المسدول وَالْوسط المشدود والمتقلدة بِالسَّيْفِ ذِي الحمائل وَأَنت واقفة بَين الصفين يَوْم

(١) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٢٨-٢٩.

(٢) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان: ٨/ ٩٥.

(٣) خبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٧١-٧٢.

(٤) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان: ٨/ ٩١.

(٥) اخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٦٣.

صفّين تَقُولِينَ ...)[١]، فسخَّر الله تعالى العدو سببًا باستذكاره لهذه النُّصوص في حفظها وتدوينها، ومن ثم انتقالها عبر الزمن، ووصولها إلى الأجيال المختلفة.

ب/ الخاص:

ويقصد به الأثر المختص بكل نصٍّ، والمستشف من بعض المقولات من جانب جبهة العدو عند استذكاره لنَّصٍّ بعينه وشواهده:

ما ظهر من تعقيب معاوية على كلام أمِّ الخير بنت الحريش بعد استذكاره إذ قال (... يَا أُمَّ الْخَيْرِ وَالله مَا أردْت بِهَذَا الكلام إِلَّا قَتْلِي)[٢]، كاشفًا بقسمه هذا وبإيراده أُسلوب الحصر اللغوي عن تأكيد مضاعف لزخم الحماسة، والتحريض المعبأ في خطابها، الذي تم توظيفه من أجل تحشيد للطاقات، واستنفار الإمكانات على مستوى النوع والكم، بنحو متصاعد باتجاه أبعد الغايات ألا وهي الوصول إلى رأس البغي وتصفيته، وأيضًا ممّا جاء في حق أم سنان (وجعلت أُمُّ سنان المذحجية تحرِّض قومها على قتال معاوية، وتشتم أهل الشام وتذكرهم بكل قبيح، ومعاوية يسمع ذلك كله إلى أن جاء الليل فحجز بين الفريقين، فبات معاوية ليلته وليس عليه شيء أشد من تحريض أم سنان في ذلك اليوم)[٣]، ممّا يعني أنهَّا نجحت في ايذاء العدو بإحباطه نفسيًا، وشحنه سلبًا بالقلق والتوجس، بحيث وُصِف أثر مقالاتها الحماسية

(١) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٣٧.

(٢) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٣١.

(٣) الفتوح: ٣/ ٦٥.

التحريضية بأنه الأشد على معاوية في ذلك اليوم، ويتجسد الشاهد الثالث لهذا النوع من الأثر متجليًّا بنقمة حاشية معاوية بن أبي سفيان على الزرقاء بنت عدي الهمدانية، بعدما استذكروا مواقفها وما أبلت فيها من بلاءات، فأجابوا معاوية بقتلها بعدما استشارهم في أمرها (قَالَ: مَا تشيرون عَليّ فِي أمرهَا قَالَ بَعضهم: نشِير عَلَيْك بقتلها قَالَ بئس الرأي أشرتم...)[1]، وهذا الطلب يُعَدُّ مؤشرًا جليًّا عمَّا تركته هذه المرأة الموالية في نفوس جبهة العدو من أثرٍ موجعٍ لم يبرأ مع الوقت، جعلهم يطلبون قتلها جزاء لتحريضها وانتقامًا لموقفها في ذلك الوقت، وشاهد رابع يتضح ببيان معاوية بن أبي سفيان لذروة تأثير كلام عكرشة بنت الأطش في مخاطبيها ولأقصى استجابة من لدن كلا الفريقين بقوله: (... وَكَأَنِّي أراك على عكازتك هَذِه وَقد انكفأ عَلَيْك العسكران يَقُولُونَ هَذِه عكرشة بنت الاطش فإن كدتِ لتؤلبين عَليّ أهلَ الشَّام لَوْلَا مَا قدّر الله وَمَا جعل لنا من هَذَا الامر...)[2]، وهذا القول يدل صراحةً على ما كانت تمتلكه هذه المرأة من مقومات أرسال ناجحة أنتجت أثرًا متميزًا، فالتفعيل العملي للتحريض القولي في رسالة هذه المرأة قد تعدى جبهة الحق ليُلحظَ له أثرٌ في أجناد جبهة البغي ضد من حشدهم وعبأهم لهذا اللقاء فكادوا أن ينقلبوا عليه تأثرًا بكلامها.

وهنا تم الكلام في أثر الرسالة الإعلامية لنسوة صفِّين، ونخلص إلى أنَّ الجهاز الإعلامي الولائي النسوي في صفِّين قد نجح بشكل ملحوظ - لما تقدّم من شواهد- في أداء مَهمته الإعلامية الحربية التي تنوّعت في أساليب إيصال

(١) اخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٦٣.

(٢) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ٣٨.

مضمونها التثقيفي العقائدي في الولاء لأمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه)، من تبليغ وكشف للحقائق وتصحيح في الإعتقاد وتحريض وحماسة، فأضافت الرسالة النسوية في صفِّين مع أثرها نصرة حقيقية للعقيدة، وكمَّا مرَّ أَنَّ المتلقي لهذه النُّصوص غير منحصر بأشخاص صفِّين المعاصرين بعينهم، وأَنَّ دائرته تتسع لكل متلقٍ يصله النّصُّ على اختلاف الأزمنة والأمكنة، كذلك الأثر أيضًا يمتد متجاوزًا حدود صفِّين، زمانًا ومكانًا، فيتحقق مع استجابة وتأثر المتلقي للنصِّ بأي مستوى كانت، يضاف إلى أنَّ لنصرة أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) بوصفها أثر للنَّصِّ مفهومٌ واسعٌ متكثر المصاديق غير مقتصر على الكون بمعرض قتال العدو، الذي أُخذ في النص مناسبةً للحدث، وعليه فإن تفعيل النصرة والاستجابة لمضمون النَّصِّ الولائي للمتلقي خارج حدود صفِّين ستحدده الإمكانية المتاحة له، والنَّحو الذي يستدعيه ظرف النصرة المطلوبة .

نتائج الدراسة:

نخلص ممَّا تقدَّم من مادة إلى النتائج الآتية :

١- بيَّنت الدراسة أنَّ التأصيل الشرعي للتثقيف الولائي، كان مبكِّرًا جدًا إذ تزامن وبداية الدعوة المباركة مفعَّلًا من لدن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، إذ حفل تاريخ تبليغه بالعديد من الممارسات والتطبيقات العملية لفحوى الآثار الشريفة (قرآنًا وسنةً) بهذا الخصوص، ليأخذ بعد ذلك التثقيف العملي للولاية منحى النصرة في قلب المواجهة مع مصادري حق أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) في خلافة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من لدن أهل البيت، وبعض الصحابة .

٢- حدَّدت الدراسة أنَّ أول من تصدّت للممارسة الإعلامية الولائية النسوية بمعرض المواجهة المباشرة مع العدو الغاصب، هي الصدِّيقة الطاهرة فاطمة الزهراء (صلوات الله وسلامه عليها)، مؤصِّلةً بنهضتها اقرارًا شرعيًّا للمرأة (كون فعلها حجة) بالخروج والتصدي لمثل هذه الوظيفة مع الإمكان، وعليه فإنَّ كل امرأة مارست وتمارس تلك الوظيفة بمواجهة صريحة مع العدو لها بسيدة النساء أسوة حسنة، ونساء صفِّين من أبرز نماذج هذا التأسي.

٣- اجترحت الدِّراسة مصطلح الإعلام الولائي، وقد عرَّفته بعد التقديم لكلٍّ من مفهومي الإعلام والولاء بأنَّه: (تزويد الجمهور المتلقي بالحقائق

الثابتة والمعلومات الصائبة المستندة في الحجية على كل من النُّصوص الشرعية من (كتاب أو سنة)، والأدلة العقلية، حول أحقية أولياء الله تعالى بالطاعة والإتباع والنصرة من غيرهم، على وفق منهجية موضوعية، بهدف خلق إقناع وتأثير لدى المخاطبين يتصاعد إلى استجابة وموقف).

٤- كشفت الدراسة بأن المجتمع الشامي كان متبنِّيًا الإعلام الأموي بالكلية تقريبًا، إذ عمدت السلطة إلى إسكات كل صوت يكون بالعرض من إعلامها، الذي كان معتمدًا في جُلِّ مادته على الموضوعات، وموجَّهًا للتثقيف باتجاه بغض أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه)، فكان لتلك السياسة الإعلامية النصيب الأوفر في تسهيل عملية النفير الشامي إلى الحرب ضد أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) في صفِّين.

٥- كشفت الدراسة إنَّ القضية الإعلامية الأبرز في جانب جبهة العدو كانت الثأر لدم عثمان بن عفان، والقصاص من قتلته، أمَّا في جانب جبهة الحق فكانت القضية الأبرز شرعية خلافة أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه)، مع تباين في فهم تلك الشرعية .

٦- رصدت الدراسة الأهداف الأبرز في الإعلام النسوي الولائي في صفِّين، وحدَّدتها بثلاثة أهداف، ظهرت متمازجة داخل النَّص الإعلامي الواحد في أغلب النُّصوص موضوع الدراسة وهي، العقدي والسياسي والجهادي، مع بيان عملية الربط والتكامل بين هذه الأهداف بالشكل الذي يُغني متطلبات ظرف النَّص.

٧- رجَّحت الدراسة مسألة التخطيط المسبق للجهاز الإعلامي الولائي النسوي في المعركة، وادراجه بوصفه فقرة مهمة ضمن هيكلية المعركة، على مسألة كون تلك الممارسات محض اجتهادات شخصية من لدن نساء صفِّين، مع بيان أنَّ هؤلاء النسوة استندن شرعًا في الخروج، والكون في قلب الحدث، على إقرار أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) ذلك.

٨- رصد العوامل المؤثرة في نجاح إعلاميات صفِّين وهي: الإيمان بمحتوى الرسالة، والشجاعة والجرأة والثبات على الموقف، والفصاحة البلاغة في طرح موضوع الرسالة، والإحاطة والإلمام بالموضوع المثَقَف له مع توظيف ملائم للأدوات الساندة باتجاه إيصال الرسالة، وتحصيل الاستجابة.

٩- قسَّمت الدراسة العوامل المؤثرة في نجاح رسالة إعلاميات صفِّين، بعد بيان محورها على قسمين بعد رصدها وهما العوامل غير اللغوية، وهي الصدق والموضوعية في طرح موضوع الرسالة، تضمين المرجعيات الدينية من قرآن، وسنة نبوية مُطهرة، وكلام لأمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) فضلًا عن تضمين التحليل الموضوعي للحدث ظرف النَّص، والعوامل اللغوية المشتملة على تضمين الأساليب التركيبية النحوية كالتوكيد، والاستفهام، والبيانية البلاغية كالتشبيه، والاستعارة، والكناية.

١٠- تم تقسيم المتلقي في العملية الإعلامية لنساء صفِّين إلى جهتين بثلاثة مستويات، جهة الخطاب المباشرة (أفرادًا أو جماعات) في جبهة أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) المتضمنة مستويين من المتلقي هما: من كان يعتقد بأحقية أمير المؤمنين بالخلافة المباشرة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله

وسلم)، والمستوى الثاني من كان يعتقد بشرعية خلافته بعد الحكام الثلاثة، وجهة غير مباشرة وهم أجناد جبهة البغي، المتضمنة المستوى الثالث ممَّن كانوا يرون في أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) خصمًا يجب مقابلته.

١١- بيَّنت الدراسة بأنَّ عنوان المتلقي غير منحصر في التقسيم السابق بخصوص من حضر صفِّين؛ بل يتعداه ليشمل كل من يصل إليه النَّص على اختلاف الأزمنة والأمكنة والأحوال .

١٢- تم تقسيم الأثر من العملية الإعلامية لنساء صفِّين إلى نوعين هما: الأثر المتحقق في جهة الخطاب المباشرة، والمتضمن رفع روح الحماس، والتحريض على الجهاد، والأثر المتحقق في جهة الخطاب غير المباشرة والمتضمن تثبيط معنويات العدو، وشحنة سلبًا بالقلق، والخوف من الملاقاة، مع تقسيم الأثر الواصل من هذه النُّصوص في جانب جبهة العدو إلى عام، وخاص.

١٣- بيَّنت الدراسة بأنَّ أثر الرسالة الإعلامية في صفِّين غير منحصر كذلك بما تم تحقيقه آنذاك في حدود ظرف صفِّين؛ بل يتسع ليشمل كل استجابة تتحقق خارج الظرف مع انتقال النَّص عبر الزمان والمكان، فتأخذ أشكالًا مختلفة بحسب ما تتطلبه الظروف التي تستدعيها .

توصيات الدراسة:

نرى أنَّ إعلاميات صفِّين عناصر خصبة، وجديرة بالبحث والدراسة والمتابعة، سواء أكان على المستوى التاريخي، أم على المستوى الاجتماعي،

أم المستوى السياسي، أم على المستوى الشرعي (الفقهي)، أم على المستوى اللغوي، ولذلك يمكن أن نقترح محاور للدراسة والبحث في خصوص أولئك النسوة تتضمن الآتي:

١- الاتخاذ من جزئية التوازن الشرعي بين أداء المهمة الإعلامية، وخصوصية الحجاب للمرأة المؤمنة، محور بحث، إذ من المتيقن أنَّ هؤلاء النسوة قد حققن نقطة التوازن تلك، إذ استندن شرعًا على إقرار المعصوم (صلوات الله وسلامه عليه) في صحة موقفهن وسلامته، مع ارفاق الدراسة بالمحدِّدات ذات الدخالة في تحقيق جزئية التوازن هذه كأهمية الداعي لممارسة مثل هكذا دور، وقيمة الثمرات المترتبة على ممارسته، لتكون نتائج مثل هكذا دراسات مرجعًا مهمًا للمرأة المؤمنة بشكل خاص، من جهة بيان الحدود والضوابط والمحدِّدات الشرعية، إذا ما أرادت ممارسة مثل هكذا دور أو أدوار مماثلة في المجتمع.

٢- إفراد دراسة لغوية تتضمن البحث عن الأساليب البيانية والبلاغية التي احتوتها خطب وأشعار إعلاميات صفِّين، لاسيَّما أنَّ كلامهن قد انتمى إلى عصر الاستشهاد في تقنين القواعد اللغوية.

٤- اقتراح دراسة ضمن حقل الأدب تتناول الأثر الجمالي والابداعي لنُّصوص هؤلاء النسوة .

المصادر والمراجع:

- الاجتماع والاتصال والإعلام، غريب سيد أحمد، دار المعرفة الجامعية الاسكندرية، (ط١)، ١٩٩٦ م.
- الآحاد والمثاني، الضحاك (ت: ٢٨٧هـ)، تحقيق: باسم فيصل أحمد الجوابرة، دار الدراية للطباعة والنشر والتوزيع، (ط١)، ١٤١١هـ- ١٩٩١م.
- الاحتجاج، الشيخ الطبرسي (ت: ٥٤٨هـ)، تحقيق وتعليق وملاحظات: السيد محمد باقر الخرسان، دار النعمان للطباعة والنشر - النجف الأشرف، (د ط)، ١٣٨٦هـ- ١٩٦٦م .
- الأخبار الطوال، أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري (ت: ٢٨٢هـ)، تحقيق: عبد المنعم عامر، مراجعة: الدكتور جمال الدين الشيال، دار إحياء الكتب العربي- عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، (ط١)، ١٩٦٠م.
- أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان، العباس بن بكار (أو ابن الوليد بن بكار) الضبي (ت: ٢٢٢هـ)، تحقيق: سينة الشهابي، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، (ط١)، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .
- أدعية الصحيفة السجادية دراسة تداوليَّة، عمَّار حسن عبد الزهرة، دار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع، طُبع برعاية العتبة الحسينية المقدَّسة، (د ط)، (د ت).

- الأربعين في حب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، علي أبو معاش، دار الاعتصام، (د ط)، ١٤٢٨هـ .
- الإرشاد، الشيخ المفيد، تحقيق: موسسة آل البيت لتحقيق التراث، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بروت - لبنان، ط٢، ١٤١٤ - ١٩٩٣ .
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت: ٤٦٣هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، (ط١)، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- أسس النظام السياسي عند الإمامية، الشيخ محمد السند، تحقيق: محمد حسن الرضوي، مصطفى الإسكندري، سرور، باقيات، (ط١)، ١٤٢٦هـ.
- الأسلوب، أحمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية، (ط ١٢)، ٢٠٠٣م.
- أصول الإعلام الإسلامي، إبراهيم إمام، (ط١)، ١٩٨٥م.
- الإعلام الإسلامي في مواجهة الإعلام المعاصر بوسائله المعاصرة، عبد الله قاسم الوشلي، دار البشير للثقافة والعلوم الاسلامية، دار عمان للنشر والتوزيع، اليمن – صنعاء، (ط٢)، ١٤١٤هـ - (١٩٩٣ - ١٩٩٤م)
- الاعلام الاسلامي، مفهومه، مشروعيته ضوابطه، عادل السيد محمد علي، (د ط)، (د ت).
- إعلام الورى بأعلام الهدى، الشيخ الطبرسي (ت: ٥٤٨ هـ)، تحقيق: مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث، ستارة – قم، مؤسسة

آل البيت (عليه السلام) لإحياء التراث - قم المشرفة، (ط١)، ربيع الأول ١٤١٧هـ.

- الأعلام من الصحابة والتابعين، الحاج حسين الشاكري، ستارة، الناشر، المؤلف، (ط٢)، ١٤١٨هـ.
- الإعلام موقف، محمود محمد سفر، مطبعة تهامة (السعودية)، جدة، الكتاب العربي السعودي، (ط١)، ١٩٨٢م- ١٤٠٢هـ.
- الإعلام والاتصال بالجماهير والرأي العام، سمير محمد حسين، القاهرة، عالم الكتب، (د ط)، (د ت) .
- الإعلام والدعاية، عبد اللطيف حمزة، دار الفكر العربي، (د ط)،١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي (ت: ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، (د ط)، الخامسة عشر- أيار/ مايو٢٠٠٢ م.
- أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين (ت: ١٣٧١هـ)، تحقيق وتخريج: حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت – لبنان، (د ط)، (د ت) .
- الاقتصاد، الشيخ الطوسي (ت: ٤٦٠هـ)، مطبعة الخيام – قم، منشورات مكتبة جامع چهلستون – طهران، (د ط)، ١٤٠٠هـ.
- الأمالي، الشيخ الصدوق (ت: ٣٨١هـ)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية

- مؤسسة البعثة – قم، مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة، (ط١)، ١٤١٧هـ.

- الأمالي، الشيخ الطوسي (ت: ٤٦٠هـ)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية- مؤسسة البعثة، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع– قم، (ط ١)، ١٤١٤هـ.

- الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، أحمد الرحماني الهمداني، المنير للطباعة والنشر_ تهران، (ط ١)، ١٤١٧.

- الإمامة والتبصرة، علي ابن بابويه القمي، (ت: ٣٢٩هـ)، تحقيق: مدرسة الإمام المهدي (عليه السلام)- قم المقدسة، مدرسة الإمام المهدي (عليه السلام) - قم المقدسة،(ط١)، ١٤٠٤ - ١٣٦٣ ش.

- الإمامة وأهل البيت، محمد بيومي مهران، نهضت، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، (ط٢)، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

- الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني، البيان، البديع)، الخطيب القزويني جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن أحمد بن محمد (ت: ٧٣٩هـ)، وضع حواشيه إبراهيم شمس الدين، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، (ط١)، ٢٠٠٣م.

- الإيضاح، الفضل بن شاذان الأزدي(ت: ٢٦٠هـ)، تحقيق: السيد جلال الدين الحسيني الأرموي المحدث، مؤسسة انتشارات وچاپ دانشگاه تهران، (د ط)، ١٣٦٣ ش.

- بحار الأنوار، العلامة المجلسي (ت: ١١١١هـ)، تحقيق: يحيى العابدي الزنجاني، محمد الباقر البهبودي، يحيى العابدي الزنجاني، السيد كاظم الموسوي الميامـوي، مؤسسة الوفاء - بيروت – لبنان، (ط٢) المصححة، ١٤٠٣ هـ- ١٩٨٣م.

- البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، (ط١)، ١٤٢٢هـ.

- البداية والنهاية، ابن كثير(ت: ٧٧٤هـ)، تحقيق وتدقيق وتعليق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، (ط١)، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .

- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي(ت: ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة، (د ط)، (د ت).

- البرهان في وجوه البيان، أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم بن سليمان ابن وهب الكاتب، تحقيق أحمد مطلوب ود. خديجة الحديثي، بغداد، (ط١)، ١٩٦٧م.

- بشارة المصطفى، محمد بن أبي القاسم الطبري(ت: ٥٢٥هـ)، تحقيق: جواد القيومي الإصفهاني، مؤسسة النشر الإسلامي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، (ط١)، ١٤٢٠ه.

- بصائر الدرجات، محمد بن الحسن بن فروخ (الصفَّار) (ت: ٢٩٠هـ)، تصحيح وتعليق وتقديم: الحاج ميرزا حسن كوچه باغي، مطبعة الأحمدي– طهران، منشورات الأعلمي– طهران، (د ط)، سنة الطبع: ١٤٠٤ - ١٣٦٢ ش.

- بغية الطلب في تاريخ حلب، عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي، كمال الدين ابن العديم (ت: ٦٦٠هـ)، تحقيق: د. سهيل زكار، دار الفكر،(د ط)، (د ت).

- بلاغات النساء، أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر ابن طيفور (ت: ٢٨٠هـ)، تحقيق : صححه وشرحه: أحمد الألفي، مطبعة مدرسة والدة عباس الأول، القاهرة (د ط)، ١٣٢٦هـ - ١٩٠٨م.

- بلاغة الخطاب وعلم النص، د. صلاح فضل، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، (د ط)، ١٩٩٢م.

- تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني أبو الفيض الملقّب بمرتضى الزَّبيدي (ت: ١٢٠٥هـ)، مجموعة من المحققين، دار الهداية، (د ط)،(د ت).

- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ) تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، (ط٢)، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

- تاريخ الطبري، محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ)، مراجعة وتصحيح وضبط : نخبة من العلماء الأجلاء، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان، (د ط)، (د ت).

- تاريخ اليعقوبي، اليعقوبي(ت: ٢٨٤هـ)، دار صادر، بيروت – لبنان، (د ط)، (د ت).

- تاريخ بغداد، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بم مهدي الخطيب البغدادي،(ت:٢٤٠هـ)، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي-بيروت، (ط١)، ١٤٢٢هـ -٢٠٠٢م .

- تاريخ خليفة بن خياط، أبو عمرو خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني العصفري البصري (ت:٢٤٠هـ)، تحقيق: د. أكرم ضياء العمري، دار القلم مؤسسة الرسالة –دمشق بيروت، (ط١)، ١٣٩٧هـ.

- تاريخ دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (ت: ٥٧١هـ)، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (د ط)، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م .

- تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة، السيد شرف الدين علي الحسيني الأستر آبادي(ت: ٩٦٥هـ)، تحقيق: مدرسة الإمام المهدي (عج)، أمير– قم، مدرسة الإمام المهدي (عج)، الحوزة العلمية- قم المقدسة، (ط١)، رمضان المبارك ١٤٠٧ هـ - ١٣٦٦ ش.

- التحصين، السيد ابن طاووس(ت: ٦٦٤هـ)، تحقيق: الأنصاري، نمونه –

قم، مؤسسة دار الكتاب (الجزائري)، (ط١)، ربيع الثاني ١٤١٣هـ.

- التذكرة الحمدونية، محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون أبو المعالي بهاء الدين البغدادي (ت: ٥٦٢هـ)، دار صادر، بيروت، (ط١)، ١٤١٧هـ.

- ترتيب الأمالي الخميسية، يحيى بن الحسين بن إسماعيل بن زيد الحسني الشجري الجرجاني (ت: ٤٩٩ هـ)، رتبها: القاضي محيي الدين محمد بن أحمد القرشي العبشمي (ت: ٦١٠هـ)، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، (ط١)، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

- تصحيح اعتقادات الإمامية، الشيخ المفيد (ت: ٤١٣هـ)، تحقيق: حسين درگاهي، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت – لبنان، (ط٢)، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

- التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الكريم، د. عبد العظيم المصطفي، مكتبة وهبة، (ط٢)، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

- تفسير جوامع الجامع، الشيخ الطبرسي (ت: ٥٤٨هـ)، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، (ط١) ١٤٢٠هـ.

- تفسير فرات الكوفي، فرات بن إبراهيم الكوفي (ت: ٣٥٢هـ)، تحقيق: محمد الكاظم، مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي– طهران، (ط١)، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

- تفضيل أمير المؤمنين (عليه السلام)، الشيخ المفيد (ت: ٤١٣هـ)، تحقيق: علي موسى الكعبي، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت– لبنان، (ط٢)، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م .

- التَّلخِيص في مَعرفَةِ أسمَاءِ الأشياء، المؤلف: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت: نحو ٣٩٥هـ)، عني بتَحقيقِه: الدكتور عزة حسن، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، (ط٢)، ١٩٩٦ م.

- تهذيب سيرة ابن هشام، عبد السلام هارون، دار التراث العربي، بيروت، (د ط)، (د ت).

- التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت: ١٠٣١هـ)، عالم الكتب، عبد الخالق ثروت- القاهرة،(ط١)، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.

- الثاقب في المناقب، ابن حمزة الطوسي (ت: ٥٦٠هـ)، تحقيق: نبيل رضا علوان، الصدر – قم، مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر- قم المقدسة، (ط٢)، ١٤١٢هـ.

- الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، أبو الفرج المعافى بن زكريا بن يحيى الجريرى النهرواني (ت: ٣٩٠هـ)، تحقيق: عبد الكريم سامي الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، (ط١)، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م .

- جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت: ٣٢١هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين – بيروت، (ط١)، ١٩٨٧م.
- جوامع السيرة وخمس رسائل أخرى لابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (ت ٤٥٦هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار المعارف – مصر، (ط ١)، ١٩٠٠م.
- جواهر المطالب في مناقب الإمام علي (عليه السلام)، محمد بن أحمد الدمشقي الباعوني الشافعي، (ت: ٨٧١هـ)، تحقيق: الشيخ محمد باقر المحمودي، پاسدار إسلام، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، قم – ايران، (ط١)، ١٤١٦.
- حلية الأبرار، السيد هاشم البحراني (ت: ١١٠٧هـ)، تحقيق: الشيخ غلام رضا مولانا البروجردي، بهمن، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم– ايران، (ط١)، ١٤١٤هـ.
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت: ٤٣٠هـ)، السعادة- بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.
- الحياة الأدبية في عصر صدر الإسلام (٤١هـ - ١٢ق. هـ)، محمد عبد المنعم خفاجي، (ط١)، ١٩٧٣م.
- الخطابة أصولها، تاريخها في أزهر عصورها عند العرب، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، (د ط)، ١٩٨٠م.

- الخطابة واعداد الخطيب، عبد الجليل عبده شلبي، دار الشروق، (ط١)، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.
- الخلاف، الشيخ الطوسي (ت: ٤٦٠هـ)، تحقيق: جماعة من المحققين، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، (د ط)، جمادي الآخرة ١٤٠٧م.
- الدر المنثور في طبقات ربات الخدور، زينب بنت علي بن حسين بن عبيد الله بن حسن بن إبراهيم بن محمد بن يوسف فواز العاملي (ت: ١٣٣٢هـ)، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، (ط١)، ١٣١٢هـ .
- الدعوات (سلوة الحزين)، قطب الدين الراوندي (ت: ٥٧٣هـ)، تحقيق: مدرسة الإمام المهدي (عليه السلام)، أمير – قم، مدرسة الإمام المهدي (عليه السلام) – قم، (ط١)، ١٤٠٧هـ.
- دلائل الإعجاز في علم المعاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (ت: ٤٧١هـ)، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية- بيروت، (ط١)، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- دلائل الإعجاز، عبد القادر الجرجاني (ت: ٤٧١هـ)، حققه وقدم له الدكتور محمد رضوان الداية، والدكتور فايز الداية، مكتبة سعد الدين، دمشق، (ط٢)، ١٤٠٧ه-١٩٨٧م.
- الرجال، أحمد بن محمد بن خالد البرقي(ت ٢٧٤هـ)، چاپخانه دانشگاه تهران، انتشارات دانشگاه تهران شماره ٨٥٧، (د ط)، (د ت).

- الروضة في فضائل أمير المؤمنين (عليه السلام)، شاذان بن جبرئيل القمي (ابن شاذان) (ت: نحو ٦٦٠هـ)، تحقيق: علي الشكرچي، (ط١)، ١٤٢٣ه.
- روضة الواعظين، الفتال النيسابوري(ت: ٥٠٨هـ)، تقديم: السيد محمد مهدي السيد حسن الخرسان، منشورات الشريف الرضي– قم، (د ط)، (د ت).
- الرياض النضرة في مناقب العشرة، أبي جعفر أحمد (المحب الطبري) (ت: ٦٩٤هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت – لبنان، (د ط)، (د ت).
- سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي (ت: ١١١١هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود- علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، (ط١)، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م: ٣/ ١٤٣.
- السنن الكبرى، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (ت: ٣٠٣هـ)، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة – بيروت، (ط١)، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
- سيكولوجية الاتصال والإعلام، اصوله ومبادئه، عبد الفتاح محمد دويدار، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية،(ط١)، ٢٠٠٤م .
- شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، جمعه ورتبه ووقف على طبعه، بشير يموت البيروتي (ت: بعد ١٣٤٧هـ)، المكتبة الأهلية، بيروت، (ط١)،

١٣٥٢ هـ - ١٩٣٤ م .

- شرح الأخبار، القاضي النعمان المغربي(ت: ٣٦٣هـ)، تحقيق: السيد محمد الحسيني الجلالي، مطبعة مؤسسة النشر الإسلامي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، (د ط)، (د ت).
- شرح المفصّل، موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش النحوي (ت: ٦٤٣هـ) تحقيق: أحمد السيد سيد أحمد، راجعه ووضع فهارسه: اسماعيل عبد الجواد عبد الغني، المكتبة التوفيقية القاهرة ـ مصر، (د ط)، (د ت)
- شرح جمل الزجاجي، لأبي الحسن علي بن مؤمن بن محمد بن علي ابن عصفور الاشبيلي (ت: ٦٦٩هـ)، قدّم له ووضع هوامشه وفهارسه : فواز الشعار، إشراف: د. إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، (ط١)، ١٩٩٨م.
- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد (ت: ٦٥٦هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع، (د ط)، (د ت).
- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميرى اليمني (ت: ٥٧٣هـ)، تحقيق: د. حسين بن عبد الله العمري، مطهر بن علي الإرياني، د. يوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر، بيروت - لبنان، دار الفكر، دمشق- سورية، (ط١)، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م .
- شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، الحاكم الحسكاني (ت: ق ٥)، تحقيق: الشيخ محمد باقر المحمودي، مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة

والإرشاد الإسلامي- طهران، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية- قم، (ط١)، ١٤١١ ه- ١٩٩٠ م.

- صبح الأعشى في صناعة الإنشا، أحمد بن علي القلقشندي، (ت: ٨٢١ هـ)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، (د ط)، (د ت)

- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت،(ط٤)، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين- بيروت، (ط٤)، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

- الصراط المستقيم،: علي بن يونس العاملي النباطي البياضي (ت: ٨٧٧ هـ)، تصحيح وتعليق: محمد الباقر البهبودي، الحيدري، المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية، (د ط)، (د ت).

- طبائع النساء وما جاء فيها من عجائب وأخبار وأسرار، أبو عمر شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم المعروف بابن عبد ربه الأندلسي (ت: ٣٢٨ هـ)، مكتبة القرآن - القاهرة، (د ط)، (د ت).

- الطبقات الكبرى، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء البصري البغدادي المعروف بابن سعد (ت: ٢٣٠هـ)، تحقيق: محمد عبد

القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، (ط١)، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

- الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف، السيد ابن طاووس(ت: ٦٦٤هـ)، الخيام – قم، (ط ١)، ١٣٩٩.

- العقد الفريد، أبو عمر شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم المعروف بابن عبد ربه الأندلسي (ت: ٣٢٨هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، (ط١)، ١٤٠٤هـ.

- العلاقات العامة، عبد الرزاق الشيخلي، د. فاخر جاسم سلمان، فضيلة صادق زلزلة، (ط٢)، ١٩٨٦م.

- علي في الكتاب والسنة والأدب، الحاج حسين الشاكري، مراجعة: فرات الأسدي، ستاره، الناشر: المؤلف، (ط ١)، ١٤١٨ه.

- عمدة عيون صحاح الاخبار في مناقب إمام الأبرار، ابن البطريق (ت: ٦٠٠هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، (د ط)، جمادي الأولى ١٤٠٧ه.

- عيون أخبار الرضا (عليه السلام)، الشيخ الصدوق، تصحيح وتعليق وتقديم: الشيخ حسين الأعلمي، مطابع مؤسسة الأعلمي، بيروت– لبنان، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، (د ط)، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

- عيون المعجزات، حسين بن عبد الوهاب (ت: ق٥)، الحيدرية – نجف، الناشر، محمد كاظم الشيخ صادق الكتبي، (د ط)، ١٣٦٩هـ.

- الغدير، الشيخ الأميني (ت: ١٣٩٢هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، (ط٤)، ١٣٩٧ - ١٩٧٧ م.
- غريب الحديث، إبراهيم بن إسحاق الحربي أبو إسحاق (ت: ٢٨٥هـ)، تحقيق: د. سليمان إبراهيم محمد العايد، جامعة أم القرى - مكة المكرمة، (ط١)، ١٤٠٥ه.
- غريب الحديث، جمال الدين، محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي الفَتَّنِي الكجراتي (ت: ٩٨هـ)، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، (ط٣)، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.
- الفتوح، أحمد بن أعثم الكوفي (ت: ٣١٤هـ)، تحقيق: علي شيري (ماجستر في التاريخ الإسلامي)، دار الأضواء، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، (ط١)،١٤١١هـ.
- الفرق، أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان الجشمي السجستاني (ت: ٢٤٨هـ)، تحقيق: حاتم صالح الضامن، مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد ٣٧، (د ط) ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت: نحو ٣٩٥هـ)، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر، (د ط)، (د ت).
- الفصول المختارة، الشيخ المفيد (ت: ٤١٣هـ)، تحقيق: السيد نور الدين

جعفريان الاصبهاني، الشيخ يعقوب الجعفري، الشيخ محسن الأحمدي، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت – لبنان، (ط٢)، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م .

- فضائل الصحابة، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: ٢٤١هـ)، تحقيق: د. وصي الله محمد عباس، مؤسسة الرسالة– بيروت، (ط١)، ١٤٠٣ هـ– ١٩٨٣م.
- الكافي، الشيخ الكليني، (ت: ٣٢٩ هـ)، تحقيق : صححه وعلق عليه علي أكبر الغفاري، مطبعة چاپخانه حيدري، دار الكتب الإسلامية - تهران – ايران، (ط٥)، تابستان ١٣٦٣ ش.
- كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: ١٧٠هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (د ط)، (د ت).
- الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (ت: ٢٣٥هـ)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد– الرياض، (ط ١)، ١٤٠٩هـ .
- كتاب سليم بن قيس، سليم بن قيس الهلالي الكوفي، (ت ق١)، تحقيق: محمد باقر الأنصاري الزنجاني، نگارش، دليل ما، (ط١)، ١٤٢٢- ١٣٨٠ ش .
- كشف اليقين، العلامة الحلي، (ت: ٧٢٦هـ)، تحقيق : حسين الدرگاهي، (ط١)، ١٤١١هـ.

- كفاية الأثر، الخزاز القمي (ت:٤٠٠هـ)، تحقيق : السيد عبد اللطيف الحسيني الكوهكمري الخوئي، الخيام – قم، انتشارات بيدار، (د ط)، ١٤٠١هـ.
- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت: ١٠٩٤هـ) تحقيق: عدنان درويش – محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت، (د ط)، (د ت) .
- كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق(ت: ٣٨١هـ)، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، (د ط)، محرم الحرام ١٤٠٥ – ١٣٦٣ ش.
- كنز العمال، المتقي الهندي (ت: ٩٧٥هـ)، ضبط وتفسير: الشيخ بكري حياني، تصحيح وفهرسة: الشيخ صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، بيروت– لبنان، (د ط)، ١٤٠٩ه– ١٩٨٩م.
- كنز الفوائد، أبي الفتح الكراجكي (ت: ٤٤٩هـ)، غدير، مكتبة المصطفوي – قم (ط ٢)، ١٣٦٩ ش.
- اللباب في قواعد اللغة وآلات الأدب النحو والصرف والبلاغة والعروض واللغة والمثل، محمد علي السَّراج، مراجعة: خير الدين شمسي باشا، دار الفكر – دمشق، (ط١)، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.
- لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي (ت: ٧١١هـ)، دار صادر – بيروت، (ط٣)، ١٤١٤ هـ.

- اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان عمر، عالم الكتب، (ط٥)، ١٤٢٧هـ -٢٠٠٦م .
- لقد شيعني الحسين، إدريس الحسيني المغربي، مهر، منشورات أنوار الهدى / الاعتصام للطباعة والنشر، (ط١)، ربيع الأول ١٤١٥ هـ.
- مائة منقبة، محمد بن أحمد بن علي بن الحسن القمي (ابن شاذان)(ت ح ٤١٢هـ)، تحقيق: مدرسة الإمام المهدي (عليه السلام)، إشراف: السيد محمد باقر بن المرتضى الموحد الأبطحي، أمير – قم، مدرسة الإمام المهدي (عليه السلام) بالحوزة العلمية - قم المقدسة، (ط١) المحققة المسندة، ذي الحجة ١٤٠٧هـ.
- مجمع الزوائد، الهيثمي(ت: ٨٠٧هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، (د ط)، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.
- المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت: ٤٥٨هـ)، تحقيق: خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي– بيروت، (ط١)، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.
- مدخل إلى الإعلام والرأي العام، د. محمد عبد الملك المتوكل، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة – مصر، (د ط)، (د ت).
- مدخل إلى علم الاتصال والإعلام، د. زاهر زركار، مركز الاشعاع الفكري للدراسات والبحوث، فلسطين، (ط٢)، ٢٠٠٤م.
- مدخل الى وسائل الاعلام الجديد، عبدالرزاق محمد الدليمي، دار المسيرة،

عمان، (ط١)، ٢٠١٢م.

- مدينة المعاجز، السيد هاشم البحراني(ت: ١١٠٧هـ)، تحقيق: الشيخ عزة الله المولائي الهمداني، بهمن، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم- ايران، (ط١)، ١٤١٣هـ.

- مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قِزْأُوغلي بن عبد الله المعروف بـ «سبط ابن الجوزي»(٥٨١ - ٦٥٤هـ)، تحقيق وتعليق: محمد بركات، كامل محمد الخراط، عمار ريحاوي، محمد رضوان عرقسوسي، أنور طالب، فادي المغربي، رضوان مامو، محمد معتز كريم الدين، زاهر إسحاق، محمد أنس الخن، إبراهيم الزيبق، دار الرسالة العالمية، دمشق – سوريا، (ط١)، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م .

- المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها، عبد الله بن عفيفي الباجوري (ت: ١٣٦٤هـ)، مكتبة الثقافة، المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية، (ط٢)، ١٣٥٠هـ - ١٩٣٢م .

- مروج الذهب ومعادن الجوهر، المسعودي (ت: ٣٤٦هـ)، منشورات دار الهجرة ايران- قم، (ط٢)، ١٤٠٤ه-١٣٦٣ش-١٩٨٤م.

- مسالك الأفهام إلى آيات الأحكام، الجواد الكاظمي(ت: ق ١١)، علق عليه وأخرج أحاديثه: الشيخ محمد باقر شريف زاده - أشرف على تصحيحه السيد محمد تقي الكشفي، چاپخانه حيدري، (د ط)، (د ت) .

- المستخرج من كتب الناس للتذكرة والمستطرف من أحوال الرجال

للمعرفة، عبد الرحمن بن محمد بن اسحاق، ابن مندة العبدي الأصبهاني، أبو القاسم (ت: ٤٧٠هـ)، تحقيق أ. د. عامر حسن صبري التميمي، وزارة العدل والشؤون الإسلامية البحرين، (د ط)،(د ت).

- المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (ت: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية– بيروت، (ط١)، ١٤١١ه – ١٩٩٠م.

- مستدركات علم رجال الحديث، الشيخ علي النمازي الشاهرودي(ت: ١٤٠٥هـ) حيدري – طهران، الناشر، ابن المؤلف، (ط١)، رجب المرجب ١٤١٥هـ.

- مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، (د ط)، (د ت).

- مسند أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: ٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، (ط١)، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

- معاني الأخبار، الشيخ الصدوق، (ت: ٣٨١هـ)، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم

المشرفة، (د ط)، ١٣٧٩ - ١٣٣٨ ش.

- معاوية بن أبي سفيان - شخصيته وعصره، عَلي محمد محمد الصَّلاَّبي، دار الأندلس الجديدة للنشر والتوزيع، مصر، (ط ١)، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت: ٣٦٠هـ)، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين- القاهرة، (د ط)، (د ت).
- معجم الشعراء العرب، تم جمعه من موقع الموسوعة الشعرية، (د ط)، (د ت).
- المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت:٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية – القاهرة،(ط٢)، (د.ت).
- معجم اللغة العربية المعاصرة، د.أحمد مختار عبد الحميد عمر(ت: ١٤٢٤هـ)بمساعدةفريقعمل،عالمالكتب،(ط١)،١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.
- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار)، دار الدعوة، (د ط)،(د ت).
- المعجم لابن المقرئ، أبو بكر محمد بن إبراهيم بن علي بن عاصم بن زاذان الأصبهاني الخازن، المشهور بابن المقرئ (ت: ٣٨١هـ)، تحقيق: أبي عبد الحمن عادل بن سعد، مكتبة الرشد، الرياض، شركة الرياض للنشر والتوزيع، (ط١)، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، (د ط)، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت: ٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق، بيروت، (ط١)، ١٤١٢هـ.
- مقاتل الطالبيين، علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم المرواني الأموي القرشي أبو الفرج الأصبهاني (ت: ٣٥٦هـ)، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعرفة- بيروت، (د ط)، (د ت).
- المقنعة، الشيخ المفيد (ت: ٤١٣هـ)، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي، ط٢، سنة الطبع : ١٤١٠، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
- مقومات رجل الإعلام الاسلامي، تيسير محجوب الفتياني، (د ط)،١٩٨٧م.
- مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب(ت: ٥٨٨هـ)، تصحيح وشرح ومقابلة: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، الحيدرية - النجف الأشرف، المكتبة الحيدرية - النجف الأشرف، (د ط)، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٦م .
- مناقب الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)، محمد بن سليمان الكوفي، (ت: ح ٣٠٠)، تحقيق: الشيخ محمد باقر المحمودي، النهضة، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية - قم المقدسة، (ط١)، محرم الحرام ١٤١٢هـ.

- مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، علي بن محمد بن محمد بن الطيب بن أبي يعلى بن الجلابي، أبو الحسن الواسطي المالكي، المعروف بابن المغازلي(ت: ٤٨٣هـ)، تحقيق: أبو عبد الرحمن تركي بن عبد الله الوادعي، دار الآثار – صنعاء، (ط١)، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- المناقب، الموفق الخوارزمي، (ت: ٥٦٨هـ)، تحقيق: الشيخ مالك المحمودي - مؤسسة سيد الشهداء (عليه السلام)، مؤسسة النشر الإسلامي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، (ط٢)، ربيع الثاني ١٤١٤هـ.
- مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، أمين الخولي، دار المعرفة، بيروت، (د ط)،١٩٦١م.
- المنطق، الشيخ محمد رضا المظفر (ت: ١٣٨٣هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، (د ط)، (د ت).
- المنهجية في تحصيل الخبرة الإعلامية، سلسلة تدريبية للمجاهد الإعلامي، تحت شعار نحو ترشيد الاعلام الجهادي وأداء إعلامي متميز، الحلقة الثامنة، أهداف الاعلامي المسلم، مؤسسة الفرقان، (د ط)، ١٤٣٣هـ.
- مهارات الاتصال الإداري والحوار، عبد الله حسن مسلم، دار معتز للنشر والتوزيع، عمان – الاردن، (ط١)، ٢٠١٥م.
- موسوعة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في الكتاب والسنة والتاريخ، محمد الريشهري، تحقيق: مركز بحوث دار الحديث وبمساعدة

السيد محمد كاظم الطباطبائي، السيد محمود الطباطبائي نژاد، دار الحديث، دار الحديث للطباعة والنشر، (ط٢)، ١٤٢٥هـ .

- موسوعة طبقات الفقهاء، اللجنة العلمية في مؤسسة الإمام الصادق (عليه السلام) اشراف: جعفر السبحاني، اعتماد – قم، مؤسسة الإمام الصادق (عليه السلام)، (ط١)، ١٤١٨هـ .

- النجم الثاقب، ميرزا حسين النوري الطبرسي(ت: ١٣٢٠هـ)، تقديم وترجمة وتحقيق وتعليق: السيد ياسين الموسوي، مهر- قم المقدسة، أنوار الهدى، (ط١)، ١٤١٥هـ.

- النحو والدلالة – مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي، د. محمد حماسة، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، (ط١)، ١٩٨٣م.

- نقد الشعر، أبو الفرج قدامة بنفر الكاتب البغدادي (ت: ٣٣٧هـ)، تحقيق: محمد عبد المنعم الخفاجي، دار الكتب العلمية بيروت، (د ط)، (د ت).

- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، فخر الدين محمد بن عمر الرازي (ت: ٦٠٦هـ)، تحقيق: د. نصر الله حاجي مفتي اوغلي، دار صادر بيروت، (ط١)، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

- النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير(ت: ٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى، محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية- بيروت، (د ط)، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

- نوادر الخلفاء المشهور بـ «إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس»، محمد المعروف بديباب الإتليدي (ت: ق ١٢هـ)، تحقيق: محمد أحمد عبد العزيز سالم، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، (ط١)، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م .
- وظيفة الأخبار في سورة الأنعام، سيد محمد ساداتي الشنقيطي، الرياض، دار عالم الكتب، (د ط)، ١٤٠٨.
- وقعة صفين، ابن مزاحم المنقري (ت: ٢١٢هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، المدني – مصر، المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع – القاهرة، (ط٢)، ١٣٨٢هـ.
- اليقين، السيد ابن طاووس (ت: ٦٦٤هـ)، تحقيق: الأنصاري، نمونه، مؤسسة دار الكتاب (الجزائري)، (ط١)، ربيع الثاني ١٤١٣هـ.
- ينابيع المودة لذوي القربى، القندوزي (ت: ١٢٩٤هـ)، تحقيق: سيد علي جمال أشرف الحسيني، أسوه، دار الأسوة للطباعة والنشر، (ط١)، ١٤١٦هـ.

المواقع الالكترونية:

- symposi"،www.dictionary.com،".Retrieve2018630. Edited

المحتويات

المقدِّمة ١١

التمهيد: الانتصار للولاية بين الداعي والتأصيل العملي ١٧

- اختلاف المسلمين ... طرح الانحراف عن نهج الرسالة ١٩

- الزهراء والريادة في تفعيل الولاء... .... ٢٢

- ترجمة نساء صفِّين ٣٢

١/ أم البراء بنت صفوان بنت هلال ٣٢

٢/ أم الخير بنت الحريش... .... ٣٤

٣/ أم سنان بنت (جشمة) خيثمة بن حرشة (خرشة) المذحجية ٣٨

٤/ بكارة الهلالية خَالَة مَيْمُونَة زوج النَّبِي (صلى الله عَلَيْهِ [وآله] وَسلم) ٤٠

٥/ الزرقاء بنت عدي بن غالب بن قيس الهمدانية ٤٣

٦/ سودة بنت عمارة بن الأشل بن زهير بن الاشتر بن الأسد الهمدانية اليمانية ٤٥

٧/ عكرشة بنت الأطش الأطرش بن رواحة ٤٩

الباب الأول: الإعلام .. قراءة في المفهوم والإجراء والحدث.... .... ٥٣

الفصل الأول

الإعلام .. المفهوم والاجراء

أولاً/ الإعلام في اللغة والاصطلاح. ٥٥

أ – الإعلام لغة ٥٥

ب – الإعلام اصطلاحًا.... .... ٥٧

ثانيًا/ وسائل الإعلام (القديمة) ٦٠

١. الكتابة.... .... ٦١

٢. الندوة ٦٢

٣. البعثات ٦٢

٤. القصيدة الشعرية... .... ٦٣

٥. الخطابة ٦٤

ثالثًا/ عناصر العملية الإعلامية ٦٦

رابعًا/ أهداف الإعلام. ٦٨

خامسًا/ الإعلام الولائي ٧٠

سادسًا/ (الحب والبغض في الله) سنة الهية ٧٦

سابعًا/ الولاء في النص الروائي والأدبي ٧٩

ثامنًا/ الإعلام الولائي بدايته، وممارسوه.. .... ٨٣

الفصل الثاني

الإعلام الولائي الحربي النسوي في صفِّين

- **قراءة في الدواعي والأسباب** ٩٥

أولًا/ معركة صفِّين ٩٥

ثانيًا/ الإعلام الأموي والمجتمع الشامي ٩٨

أ- إعلام السلطة وتفرده في المشهد الديني والسياسي.... .... ٩٨

ب- تأثر المجتمع الشامي بإعلام السلطة ١٠٠

ثالثًا/ صفِّين والإعلام الحربي ١٠٤

الجهة الأولى/ الإعلام المضلِّل ١٠٥

الجهة الثانية/ الإعلام الولائي المضاد للإعلام المُضَلِل ١٠٨

رابعًا/ صفِّين والإعلام الولائي النسوي الحربي.... .... ١١٢

خامسًا/ الهدف أو الوظيفة الإعلامية في النص الولائي النسوي الحربي ١١٥

أ- الهدف العقدي. ١١٥

ب - الهدف الجهادي.. .... ١٢٣

جـ - الهدف السياسي ١٣١

الباب الثاني: عناصر العملية الإعلامية والعوامل المؤثرة في نجاحها ... ١٣٥

توطئة ١٣٧

الفصل الأول

نساء صفِّين والعوامل المؤثرة في نجاحهن بوصفهن قائمات بالارسال

أولًا/ المرسل (إعلاميات صفِّين) ١٣٩

ثانياً/ عوامل نـجاح إعلاميات صفين الولائيات ١٤١

١ – الإيمان بمحتوى الرسالـة ١٤١

٢ – الشجاعة والجرأة والثبات في الموقف ١٤٦

٣– البلاغة والفصاحة في طرح الرسالة... ... ... ١٤٨

أ – القوة في التأثير ١٥١

ب – تعدد المشاركات الولائية الإعلامية للنسوة في صفِّين ١٥٣

٤ – الإحاطة والإلمام بموضوع الرسالة مع ترتيب الأولويات.... ... ... ١٥٥

٥ – الأدوات المساعدة ومدى توظيفها باتجاه إيصال الرسالة ١٥٨

الفصل الثاني

رسالة إعلاميات صفِّين وعوامل نجاحها (العوامل غير اللغوية)

أولاً – الرسالة الإعلامية في صفِّين ١٦٣

ثانياً – عوامل نـجاح رسالة إعلاميات صفين (غير اللغوية) ١٦٣

١/ الصدق والموضوعية في طرح الحقائق. ١٦٣
٢/ تضمين المرجعيات الدينية الساندة لموضوع الرسالة. ١٦٤
أ/ القرآن الكريم ١٦٥
ب/ السنة النبوية الشريفة ١٧٢
ج/ كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) ١٨٨
٣/ تضمين المأنوس والمركوز في الذهن من أحداث ووقائع ساندة لموضوع الرسالة. ١٩١
٤/ تضمين التحليل الموضوعي للأحداث داخل النص ١٩٤

الفصل الثالث

رسالة إعلاميات صفِّين وعوامل نجاحها (العوامل اللغوية)

- **الصياغة اللغوية والأساليب البلاغية في النِّصّ** ٢٠٧
أولًا- الأساليب النحوية (التركيبية) ٢٠٧
١/ التوكيد ٢٠٨
٢/ الاستفهام ٢٢٢
ثانيًا/ الأساليب البيانية البلاغية ٢٢٤
١/ التشبيه... .... ٢٢٥
٢/ الاستعارة ٢٢٨
٣/ الكناية: ٢٣٣

الفصل الرابع

المتلقي للرسالة الإعلامية والأثر منها

أولًا/ / المتلقي ٢٤١

١- جهة الخطاب الأولى (المباشرة) ٢٤٢

٢- جهة الخطاب الثانية (غير المباشرة)... .... ٢٤٣

ثانيًا/ / الأثر ٢٤٩

١- الأثر المتحقق في جهة الخطاب المباشرة: ٢٥٠

٢- الأثر المتحقق في جهة الخطاب غير المباشرة ٢٥٢

نتائج الدراسة... .... ٢٥٩

-توصيات الدراسة.... .... ٢٦٢

المصادر والمراجع.. .... ٢٦٥

المواقع الإلكترونية.. .... ٢٩٠